الإفتتاحية

اخي القارئ :-

هاهو العدد الثاني في السنة الخامسة لمجلة الاكليل بين يديك . . وهو في نفس الوقت ثاني عدد يطبع محليا . . واسرة التحرير يسعدها ان تبدأ المجلة خطواتها الطباعية داخليا بثبات كثمرة من ثمرات قرار وزارة الاعلام بايقاف عملية الطباعة في الخارج تمشيا مع الانجازات الاقتصادية في مجال الترشيد وتنمية القدرات الذاتية . .

وهـذا العـدد يمثـل ثمـرة جهـد ثقـافي متعدد ومتنوع وهو كما نظن مادة (دسمة) للقارئ والمتخصص معا فقد حاولنا فيه الجمع بين الكتابة العلمية المسئولة والمتخصصة وبين الكتابات الاكاديمية البحتة والى جانب ذلك برزت المحاولات الشابة الطموحة وهو بالتالي ما يعطي نكهة خاصة للعدد .

ففي المجال العلمي المتخصص برز موضوع الدكتور يوسف محمد عبدالله بعنوان «الصورة التاريخية لليمن القديم» وهذا الموضوع في اعتقادنا دراسة علمية هامة يحتاجها المتخصص والقارئ المتطلع الى فهم أوسع للتاريخ اليمني ، (أما مجال هذه الدراسة فهو محاولة لرسم اطار زمني لعصر مايصطلح عليه «بالتاريخ القديم» أي فترة تاريخ اليمن القديم . . أو فترة تاريخ الحضارة الراقية في اليمن القديم . . وهي تمثل حينا من الدهر قبل الميلاد برز فيها سكان بلاد اليمن من غسق التاريخ الى ضحاه ودلت على دورهم التاريخي لقى اثرية مميزة وتومئ الى حضارتهم قرائن خارجية ثابتة تدل ان امما أخرى في فلك الزمان تناقلت طرفا من أخبارهم وتبادلت شيئا من سبل معاشهم . .

ثم تأتي دراسـة علميـة اخرى عن عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله وهي دراسة علمية صيغت باسلوب شيق تناقش موضوعا جدليا هاما يطرح بين الفينة والاخرى . . وتستطيع ان تسير مع كاتب الدراسة الى ان تخرج معه بالنتائج التي اراد ايصالها اليك بدون عناء . .

وفي المجال الاكاديمي برزت دراسة الدكتور محمد احمد علي بعنوان «تطور التنظيم القانوني للتجارة الخارجية في اليمن واثر ثورة سبتمبر عليه» وهذه الدراسة طغت عليها الصبغة الاكاديمية البحتة عند معالجة القضايا التي طرقها الموضوع وخاصة في جانب التنظيم القانوني المعاصر للتجارة الخارجية في اليمن . .

ومن وجهت نظرنا ان العمل الاكاديمي البحت رغم اهميته العلمية الا انه لايكون كامل الفائدة اذا لم يستند الى الواقع «المستهدف دراسته» من خلال التغييرات التي تحدث بين فترة واخرى وتقتضيها ظروف المرحلة وخاصة في ناحية هامة وخطيرة في نفس الوقت هي الناحية الاقتصادية . .

وعلى ذلك فان الدارس للتطورات التشريعية في مجال الاقتصاد بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م عن طريق عمل مقارنة للممارسات الفعلية لابد اولا ان يدرس التركيب الاجتماعي والموارد الذاتية في اطار المخلفات الامامية والاستعمارية ثم المراحل التي مرت بها الثورة ابتداء بمرحلة الدفاع المسلح التي استمرت حوالي ثمان سنوات والتي تلتها أهم مراحل الدفاع الحقيقية في نطاق الجبهة الداخلية وبالذات أمام التيارات والقوى التي أتيح لها العودة والانضواء تحت لواء الثورة لانها كانت لازالت تحمل مفاهيم مغايرة ولديها في نفس الوقت القدرة المالية على التحرك بعد ذلك جاءت مرحلة بناء الدولة واصدار التشريعات المنظمة وانشاء المؤسسات الفاعلة في عملية التغيير الصحيح . . وأخيرا مرحلة الاستقرار والتوجه الديمقراطي . . هذه المراحل بكل ما فيها لابد أن تؤخذ بعين الحسبان لكل باحث ودارس سيما في مجال الدراسة المقارنة اذ تحقق افضلية القوانين بما تحدثه من أثر في عملية التغيير والتقدم . .

كما احتوى العدد على بعض المحاولات الشابة في مجال دراسة الآثار مثل الدراسة المقدمة عن حصن هران بمنطقة ذمار وكذلك دراسة المواقع الاثرية في منطقة ريمه ـ وهذه المحاولات الشابة تعتبر في حد ذاتها مؤشرا طيبا لمستقبل الدراسات الاثرية والتاريخية في بلادنا والتي لازالت بحاجة ماسة الى الكثير من الجهود والابداعات في هذا الجانب الحيوي الهام . .

اما الجديد الذي سيلمسه القارئ في هذا العدد هو موضوع الحكايات والاساطير الشعبية والمجلة حين طرقت هذا الجانب انطلقت من اهمية ذلك في مجال الدراسات الاجتماعية واللغوية والحضارية . . فالحكايات الشعبية تعتبر جزءا مهما من تاريخ الشعوب أصدق من أي تاريخ رسمي من خلال معرفة اللهجات المتداولة والاساليب التي تحكم عملية العلاقات الاجتماعية وأهمية هذا النوع من الأدب تستحثنا ان نتقدم من هنا بدعوة عامة لكل القراء والمهتمين بأن يوافونا بما أمكن لهم تدوينه من القصص الشعبي بشرط التقيد الحرفي باللفظ واللهجة والاسلوب وعدم التدخل في شيء من ذلك (معنى ومبنى) حتى يكون العمل خالصا من اية شائبة ويعكس الواقع بكل صدق ليتمكن الدارسون من استخلاص النتائج كما هي على طبيعتها . .

وحيث ان المجلة متخصصة بالتراث والفكر الحضاري فقد رؤي استكمالا للفائدة جمع ما كتبه الاستاذ علي بن علي صبره على حلقات في صحيفة الميثاق تحت عنوان مدخل الى الثقافة الانسانية من منظور منظومي في هذه المجلة تمهيدا لمواصلته للبحث والنشر . .

ولايفوت المجلة وشعبنا يحتفل بالعيد الفضي لثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة ان تبدأ من هذا العدد نشر كتاب الهيئات الشعبية اليمنية ودورها في الحركة الوطنية على حلقات تأليف الاستاذ علوي عبدالله طاهرة . .

مدخل في الثقافة الإنسانية من منظور منظومي

الأستاذ/ علي بن علي صبره

صار معلوما اليوم أن كل فعل متحقق في الخارج تسبقه صورته في الداخل ويسبق الصورة اعتمال الرغبة في الذات بدافع الغرائز والشهوات المركبة فيها وبهذا الاعتمال تكتمل الارادة بالانجذاب الى الخارج في تحقيق الفعل - الوجود وتميزه وتحققه بالغير.

لذلك فقد انحصر البحث والتفكير الانسانيان في الوجود كمركز وفي مركباته الموجبه لوجوده وفي فعله كحصيلة موضوعية لصبغته موضوعا غائيا للذات في الخارج غير منفصل عنها كعلاقة المحور بالمركز.

إذا فالوجود عين ذاتية كائنة بالقوة حاضرة بالذات متحققة بالفعل فثبت أن تحقق الفعل لايكتمل إلا بالغير والتميز في زمان ومكان معينين بل ذهب البعض الى ان الزمان والمكان ليسا سوى اسمين لمسمى واحد.

وذهب البعض الأخر الى استحالة تصورهما كائنين منفصلين عن كل فعل ووجود وأن تعينهما يتبع تعين الذات وتحقق الفعل ولايشترط التموضع في الواقع في كل الأحوال بحيث يمكن ادراكهما بالحواس إذ من الممكن ادراكهما بالعقل والنقل والروح ويمكن تحققهما أيضا في الأخبار عنهما من عدل أو تواتر أو في الكتب السماوية والأساطير ونحو ذلك كالقيم والمثل وإلا بطلت أشياء كثيرة من التراث الانساني والأعمال الخالدة لأناس قد مضوا وانقضوا وما يحكم المجتمعات من عادات وتقاليد،وأصبحت مصداقية كل وجود هي تحققه في الخارج المدرك فقط وهذا مالم يقل به عاقل وإن وجد من آمن بالتجربة كوسيلة فريدة للايمان بحقائق الأشياء فإنما ذلك في مسائل فرعية تتعلق بماهية الموجودات الجزئية المركبة والتي هي في متناول وسائل البحث والتحليل ولبطل كذلك دور الأحاسيس والمشاعر على أننا بالمقابل لاينبغي أن نبالغ في التقليل من دور

التجربة كما لاينبغي أن نقلل من دور العقل والنقل في إثبات مصداقية المسائل المتعلقة بالوجود فقد ثبت من تقدم البحث العلمي التجريبي بالتحليل وتقدم وسائله إن امورا كثيرة لم تكن في حسبان من شغلوا بالتفكير في الوجود دوما وماهياته وفي العقل الانساني وعلاقته بالماوراء وذلك منذ آلاف السنين .

وإن مايخفي على العلماء اليوم ايضا رغم التقدم الملاحظ لهو أكثر مما قد وقفوا عليه بما لايحصي ولا يحد بزمن أو وزن أو كيفية ومن ثم أثبت العلم كذلك أن الذين مالوا الى الاعتماد على العقل كلية وقعوا في قيد محدوديته ، وفاتهم ادراك الكثير عن الوجود إذ أهملوا جانب مايمكن ادراكه عن طريق الوجدان والأنشطة الروحية المختلفة مثل الالهام والوحي والتخاطب من بعد وما يسمى بالجلاء البصري والنفوذ السمعي حيث أثبتت التجربة والبحث العلمي مصداقيتها .

كما أن البعض منهم كانوا على حق الى حدما اذ هم مع تخلف الوسائل ومحدودية النظر بالنظر الى مايتوفر اليوم قد ادركوا في وقت مبكر جدا وبالبداهة والتأمل أن المادة لاتاتي من العدم ولا تفنى فيه واكتشفوا تبعا لذلك العلاقة الغيرية القبلية للوجود فيما وراء الطبيعة والعلاقة البعدية لمركباته وكذلك العلاقة بين المادة والروح وبين الانسان والوجود ووصفوها بالحتمية وأقرها العلم التجريبي التطبيقي لأن حقيقة الوجود هي وحدة مركبة متكاملة وكل جزء من جزئياته ينطبق واقعه على واقع الكل ابتداء من النوات والذرات الى صورة الوجود الكلية .

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وما يؤخذ عليهم في هذا الصدد بالذات هو رفضهم الكلي لدور العقل والفرد والجماعة وانصرافهم الى الاستغراق كلية الى الغيبيات بحجة أن العقل قاصر عن الاحاطة بكل الأشياء وغير قادر على اختراق حدود طاقته الأمر الذي جعل بعض الفلاسفة المتاخرين ممن صنفوا بالوجوديين أن يكون التموضع في العقل كلية أو الغيب أو في المجتمع ويركز على دور الفرد وحريته بشكل مطلق .

ومن هنا اتجه اهتمام الكثير من المتقدمين والمتأخرين صوب بحث ماهية العقل فلم يقفوا على طائل وذلك عبر البحث عن العلاقة بين الوجود والموجودات وبالذات بين الانسان الذي يتصور من خلاله العالم وذلك لسبب بسيط هو أن العقل ليس كائنا بذاته يشغل حيزا مستقلا أو شبه مستقل عن الانسان ومجتمعه كذلك الروح إذ ينتهي دورهما تماما بالموت وما أشبههما بمصباح الكهرباء الذى يضيء لعدة عوامل لايمكن تحديد أيهما أكثر أهمية في وجود الاضاءة - أكثر علاقة - وكذا الانسان الذي لايمكن تصور وجوده قائما بذاته فقط بمعزل عن أي علاقة غيرية قبلية أو بعدية .

إذ لايمكن تصور الوجود الكلي بدون حركة ولا حركة بدون مفاعله ولا مفاعله بدون الغيرية ولا كل ذلك بدون حيز في الزمان والمكان ولا حيز بدون أولئك جميعا ولا اكتمال لذلك كله الا بالمفارقات سواء في الذوات وأفعالها أو في الماهيات وعلاقاتها فالعقل والروح والنقل والشعور كل ذلك ممكن والممكن لايقدر على المستحيل إلا - تواضعا - بمعنى ماكان من الممكنات مستحيلا اليوم لأسباب قد يصبح ممكن التحقق بانعدام أسباب الاستحالة وتوفر اسباب الامكان وكل الممكنات الوجودية تحكمها قوانين طبيعية ونظام فوقي دقيق وإرادة واعية وراعية يصعب ادراكها الا من خلال أثارها في الكون والحياة وبصورة ممكنة محدودة أيضا والا لزم علينا الحكم

بوحـدة كل كائن على حده واستقـلاله عن الغير في الوجود والماهية واستقلال الكينونة يتبعـه استقلال الصيرورة بالحتمية وهذا محال ولا يقبل به عقل بل ترفضه البديهة والفطرة .

ومن خلال البحث في الماهية والعلاقة جاء دور مشكل الخصاصات والميزات هل تندرج ضمن منطق المسلمات المطلقة نفيا أو اثباتا أم انهـا من قبيـل ماأطلق عليـه الفرادة لا التفرد بل انهـا نفس ماعنينـاه بالمفارقات الضرورية كشرط للوجود الحي وما نظرية وحدة الوجود إلا رؤية بالممكن الجزئي الى الممكن الكلي وهكذا اكتشفنا أن كل أساليب التفكير والبحث تؤدي الى غاية واحدة هي معرفة بل الاقرار بعظمة الخالق المدبر وهو ماأطلق عليه بالقوة التي هي فوق كل ادراك وكل تصور بل فوق كل علم وكل ايمان وعليه فإنـه ماكـان بالضرورة بمكـان أن يقف كل فريق من المفكرين المتقدمين والمتأخرين من بعـضهم تلك المـواقف المتخـاصمـة وهم يتدرجون ضمن الامكان الوجودي بمفارقاته ويقفون جميعا مسلّمين بهذه القوة القادرة لولا ماعتـرض ذلك من أسبـاب التموضع المتجردة عن أغـراض البحث الى اغـراض التموضع في الذات والغير تموضعا مصلحيا انانيا تموضع الأنا - في الهو باتجاه التاله ..

الثنائية الطبيعية واثرها في الفكر الانساني . .

منذ أن احس الانسان بأنه كائن حي متميز بين سائر الكائنات التى تحيط به وفي تناول ادراكه على اختلاف انواعها وأشكالها ، وعـرف في نفس الوقت انـه لااستغنـاء له عنها في حياته باي شكل من الأشكال ، وفي مختلف الدواعي والحـالات كما لااستغنـاء لاحدى هذه الأشياء عن غيرها ايضا حفظا لبقائه ونسله وبعده وإطار لفعله الفاعلة «الغاية من الوجود» .

منذ تلك اللحظة دفعه شوق فطري لاقدرة له على مقـاومتـه لانـه وليد التجاذب لتلك الثنائية نحو التحقق بالمعرفة ، ومرَ في سبيل ذلك في عدت أطوار عبـر سلم النـشـوء والارتقـاء الطبيـعي التقليدي طور الطفولة فطور المراهقة فطور الاستكمال مع تداخل وتشـابـك هذه المـراحل في مختلف الأزمنة والأمكنة والتجمعات البشرية وما يتخللها من فراده فردية أو جمعية وتنوع اختيارات السبـل والمنـاهـج وتفـاوت في الوقت طبقا للعوامل والمقومات والدواعي والضرورات المتعددة .

وكمـا أن للأشيـاء أعمـارا كما قلنا ذات أطوار فإن لكل نتاج عمرا ذا أطوار كذلك بما فيهـا الأعمـال الانسانية التى هي حصيلة الوجـود الانسـاني بل بدونه يفقد الوجود انسـانيتـه مادية كانت تلك الأعمـال أو معنـويـة تستكمل تحققها وخلال البحث الانساني الواثب عن الكمال لذلك كان حب الاستطلاع ومحاولة اقتحام مغاليق الغيب والانجـذاب الى كل غريب وجديد ومجهول فطرة أودعهـا الله الانسـان منذ أن قرر أن يخلقه وأن يجعله خليفة له على الأرض .

وإذا كان الوجـود بمـركبـاتـه وحـركته (الحيـاة) هو الصـورة الحيـة الماثلة أمام الانسان والمدركة بسائر حواسه صباح مساء بصفتهـا جدله الواقعي الطبيعي فإن من الطبيعي كذلك أن يكون الوجود بحر كته ميدان تأمل الانسان وفعله وموضوع بحثه سيمـا بعـد أن تجـاوز مرحلة الشيئيـة الحيوانية الى المركزية الانسانية في الوجود ولهذا فلنا أن نفترض الأسئلة التى حاول بها الانسـان أن يتحسس مغاليق اللغز الكبير هنـا وهنـاك بفكـره وفعله ليحصـل على الاجابات المقنعة عن :

ماهذا الكون الفسيح الذي يعج بالحركة والمتناقضات ويسير طبق نظام دقيق ماسر

وجوده ضمنه وما موقعه فيما يجري من حوله ومانوع علاقته في سبيل تبوء مكانه اللائق به .

ولا غرابة بعدئذ أن يكون المرئي الماثل في الواقع والمترتب في الذهن هو أول صورة لتصور الانسان لكيفية الغائب وشكله .

ومن المدى المتناهي للأشياء والوجود مدّ بصره وأطلق عنان فكره الى اللامتناهي .

هذا القلق الحي مر الآخر بمرحلة ثنائية من قلق سالب إزاء الطبيعة ومفاجآتها الى قلق ايجابي نحو التحقق والاتساق بين الداخل والخارج فكان الدافع الأول للانسان لاقتحام آفاق التأمل والعقل وتشغيل القدرات الكامنة في تكوينه وإخراجها في شكل أفعال وعلاقات «مؤهلات الاستخلاف» وخلق المناخ الآمن بتوفير أسباب الاستقرار في الخارج لزرع الطمأنينة في النفس بهدف خلق توازن وتكافؤ وتكامل في حياة تزخر بالمنافع والمصالح المشتركة والمتبادلة وبالممكنات المختلفة .

لم يكن من العبث أو الترف الفكري أو العملي أن يشغل الانسان نفسه بالتامل والبحث ويرهق نفسه أيضا في التجربة تلو التجربة وفي الصراع من أجل الحقيقة ، إن هذا هو عمله الواجب فعله والمترتبة عليه حياته وقيمته «ديناميكية الحياة» ولا شيء غيره .

كل كائن حي يفعل ذلك ولكن في مداره وحسب ماحدد له الله سبحانه من قدرات وآفاق تتطابق مع ماوضعه عليه من واجبات ومسئوليات ذاتية وموضوعية مايخصه ومايخص الغير منه ..

ومن هنا وبما أن غريزة الخوف والاحساس بالألم النفسي والجسدي وهو أول الدلالات على الحياة قد خلق حب الحياة لدى الانسان وإصراره على المحافظة عليها شانه في ذلك شان الكائنات إذ هو القاسم المشترك بينه وبينها .

وبما أن غريزة القصور الفطري في تركيبه وهي العنصر الجذري في الكائنات الوجودية والدليل العقلي والفعلي على مخلوقيتها .. فالكل إذن في قيد الحاجة والضرورة بعض لبعض من أجل التكامل والكل في قيد الحاجة والضرورة للتكامل المطلق لتحقيق التكامل النهائي «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لاتعلمون . وعلّم آدم الأسماء كلها .....» الآية .

ومن الصورة المماثلة في الوجود المترتبة في الذهن المدركة بالحس والفعل كما قلنا استنبط الانسان منها المثل لتصور ماوراء المحسوس وقايس عليها أحكامه على الغائب حتى بلغ به الأمر الى التجسيد (المثل ـ الكاء ـ القرين) في نسيج من المقابلة والمطابقة والتضاد والازدواج الواضحة في الأمثلة التالية، السماء والأرض، الذكر والأنثى، الأب والأم، الليل والنهار، الشمس والقمر، الخوف والأمن، البر والبحر، الضحك والبكاء، الحزن والسرور، الفشل والنجاح، الحسن والقبح، وغيرها من الحقائق الثنائية أصلية ومنشطرة مثلما هو كائن في الأبعاد والمقاسات الشرق والغرب والشمال والجنوب فوق وتحت أمام وخلف خارج وداخل صغير وكبير ، ومثلما هو كائن في المناخ كالحر والقر السهل والجبل الشيء وظله وفي الغرائز: كالعطش والارتواء الشبع والجوع النوم واليقظة الذل والشجاعة .

وفي المحيط الاجتماعي أيضا :

مثل القوي والضعيف الحاكم والمحكوم السيد والعبد وغيرها من الثنائيات المادية والمعنوية الأصلية والمنشطرة الى مالانهاية هذا على سبيل المثال لا الحصر .

مدخل الى الثقافة الانسانية من منظور قومي ..

كان يطيب لرواد التبشير الغربي في عصر التنوير وما تلاه (التمبلازر) أن يصنفوا حضارة العصور القديمة الى صنفين شرقي وغربي انطلاقا من التقليد السائد كما اطلقه فلاسفة ذلك العصر ذوو النزعة السوبرمانية بأن الشرق شرق والغرب غرب ولكل منهما مميزاته البيولوجية والسايكولوجية المؤثرة في الفعلية لمجمل الأعمال الذهنية الوطنيه وتمهيدا لدورة استعمارية غربية جديدة بعد فشل الغزو الصليبي .

وعلى هذا المنوال نسج كذلك المتلقفون لرياح التغير في مستهل العصر الغربي الحديث (رواد الثقافة المعاصرة) وهم (تنابلة) التحديث وأعني بذلك المعنى الحقيقي للكلمة التى وردت في النقوش اليمنية القديمة (الطلائع) (تنبلة) ولا اعني بالضبط المعنى الاصطلاحي الشائع اليوم فخلقوا ماسمي بازمة الحضارة المعاصرة وساهموا الى حد مافي اسدال ستار على كل موروث شرقي لم يفض على حد زعمهم الى مافضت اليه حركة الاحياء العربية للتراث اليوناني وللروماني (اللاتينية) .

وكتحد معاصر لم يثر استجابة منطقية بقدر ماأثار الانتباه الى التمسك السلفي بالموروث الثقافي الاجتماعي بما في ذلك الديني مما شكل احباطا ذاتيا لامكانات التلقي والتمثل والامتزاج امتدادا لرد فعل الاختلاط الثقافي في العصور الوسطى ساهم في ذلك التباين الاجتماعي وطبيعة مراحل التطور بين شطري العالم ، وكان ذلك هو الهدف الاستراتيجي من حركة التبشير الغربية عدا ظاهرة مايمكن او مايسمى بمدرسة جمال الدين ومحمد إقبال وطاغور لكي يظل الشرق يرسف في قيوده كمناخ ملائم للاستعمار القادم الذي بشروا به .

كما خلق نوعا من الطبقية الثقافية ظلت مشغولة بصراعات لاتخدم التوجه الجديد نحو أفاق العصر تستجر الماضي وتصر على التشبث به والخوض فيه وبقيت القضية الاجتماعية وهي مدار كل تفاعل وتقدم رهينة المسلمات الديدنيه التى تستند على مقولة «احترام ماهو سائد» وليس في الامكان ابداع مما كان .

بدليل أن آثارها مازالت تشكل إشكالية العصر بالرغم من جلاء الاستعمار من أكثر من منطقة بعد أن خلف وراءه لنا نفاياته المبعثرة .

الذي اريد قوله: هو أن توفر امكانات البحث ومناهجه العلمية والتقدم التكنولوجي قد اثبت بصورة تلقائية خطأ المتطلعين النظريين للشرق والغرب معا وصار هنالك تراجع عن المطالعات الفكرية الاجتماعية والسياسية الغربية والشرقية كغاية معلولة فقدت فاعليتها بفقدان العلة كما يقول الأصوليون .

وصار من المحتم على أي باحث أن يتناول مثل هذه القضايا ذات الطابع الانساني من أبعد مدى تاريخي متجاوزا علامات الأميال وركام المخلفات في سياق الدعوة التى عمت الغرب والشرق الى ضرورة العودة الى المنابع الصافية سواء منها الاجتماعية ومنها (الدين) أو كلما يندرج ضمن تعريف الحضارة الانسانية مقوماتها وروافدها ومعطياتها وهناك وقع البحث المعاصر في مطبات التخصص أو النظرة ذات البعد الواحد لكل فن على حده هروبا من اللجوء الى التحليل المادي للتاريخ (السلاح الشرقي المعادي) أو خشية الوقوع فيما يجانب النصوص المرعية أو يضطر الى حملة تاويل قد تؤثر على الموروث ومصداقيته .

وأصبحت هنالك عدة مناهج للنظر

تختلف باختلاف اصحابها وثقافاتهم ومقاصدهم في البحث الأمر الذي اثار جدلا جانبيا قاد الى ردود أفعال اتسمت بالتطرف المطلق ، أو بالعدمية من جهة ومن جهة أخرى خلف وسطا فلسفيا حاول أن يوائم بين الموروث وبين مقتضيات العصر ومتطلبات المعاصرة بعد فشل الكتبه العربية ودراويش السياسية الشرقية في الثبات أو التحول .

كما حدث بالضبط في العصور الوسطى عندما عجز الجدل أن يقود الى الأفضل أو يستنزف مستقبلا لامعا للثقافة الشرقية حيث تأطر في اطره القديمة المتخلفة مذهبيا وقبليا وشكل الواقع السياسي بصورة الشارع الاجتماعي المتنافر ومهد السبيل الى ضياع حصيلة هائلة من حضارة الشرق وأعني هنا الحضارة الاسلامية التى هاجرت هي الأخرى تبحث لها عن مكان ملائم في العالم فكانت حضارة الغرب المعاصرة .

واليوم ترى الى اين تهاجر حضارة العصر وماهو الوليد البديل القادم هذا مايمكن أن نستقرئ ظواهره ونتعرف على ملامحه في النهاية إن شاء الله سيما عندما يستغرقنا الحديث عن التقدم التكنولوجي وأثاره الايجابية والسلبية كنتاج لتفكير وتعاط مادي في كثير من جوانبه ومعطياته أدى الى اختلال التوازن الخلقي والخلقي وأثار مخاوف الكثيرين ليس حول استمرار الحضارة المعاصرة وضمان تقدمها وحسب ولكن أيضا حول الكون والحياة الانسانية .

بعد هذه التوطئة الممكنة القصيرة حان الوقت أن ندخل مباشرة الى رحاب الثقافة الانسانية وطريق تاريخي فلسفي للرصد والاستنباط والبحث عن عوامل وعلل وحالات نسيت أو تناساها الباحثون بقصد أو بغير قصد لاضافتها الى الرصيد التاريخي الفلسفي الاجتماعي (السوسولوجي) بقدر المستطاع .

اللغة الكائن الثنائي .. الرمز والدلالة ..

يري البعض من الباحثين بل يكاد يجزم بانه لايمكن للانسان ان يفكر بدون لغة حتى التفكير الصامت ولايمكن له ان يحلم في المنام او يتمنى بدونها ولايتاتى له ان ينقل افكاره او يعبر عن رغباته او يرسل اخباره الى الغير إلا بها وبذلك يعلل قدم وجود اللغة على اية ظاهرة ثقافية لانها اداتها ووسيلتها وكان هذا الراي سائدا لدى اوساط المختصين كما هو كذلك من حيث المنطق والمنطق من حيث هو فن قياسي في الاحكام محكوم هو الاخر بشروط بيئية وبمعارف سائدة كاصول للقياس ..

وهذه الاصول تفقد ثبوتيتها كلما تقدمت او اختلفت وسائل التحولات ومعطياتها في حياة البشر لتحل محلها اصولا جديدة تكون المسلمات الى حد ما حتى ياتي ما ينقل عنها كما يقول الفقهاء وهكذا دواليك ..

المهم ان تقدم البحث العلمي ووسائله في مجال التنقيب ودراسة اللقئ والظواهر الانسانية وتحليلها قد اثبت ما يسمى بثقافة ماقبل التاريخ التي أودعت في جدران الكهوف ومرابض الانسان الأول ومن ثم استنطاقها لمعرفة احوال البشر وطريقة معاشهم وتعاملهم وطقوس معتقداتهم وان ما يمكن ان يسمى بالجذور الاولى للفن التشكيلي والفعل التعبيري والرمز الايحائي والتجريد وما احتوته تلك الموروثات من حركات والوان واوضاع وادوات ليس الا لغة كانت تقوم بالمقصود بين المجاميع البشرية بل ووسيلة للتخاطب والتعاطي مع ما وراء الطبيعة والتدوين بغرض التخليد والتوثيق .

واثبتت كذلك ان الانسان منذ ان وعي وجوده وحاجته للبقاء وبالتالي وعن امكاناته المتميزة والامكانات الطبيعية

المتاحة له بدأ يفكر ويخترع ..

وصار من الثابت كذلك ان اللغة هواجس داخلية تصنعها الرغبات الحيوانية لترسل اشعاعاتها الى الاعضاء الخارجية تامرها بالحركة لتحقيق تلك الرغبات ويستوي في ذلك الانسان والحيوان بل والنبات ولكننا لاندركها وقد ادركها القرآن في حكايته عن سليمان والطيور والنمل فهي اذن لازمة تكوينية لاظاهرة ثقافية ..

وثبت علميا ان الحضارات اللاحقة للعصور الحجرية ماقبل التاريخية بمختلف اشكالها ومعطياتها واماكنها وازمانها ماهي الا امتدادا متطورا لما قبلها ماضيا في التطور وان ما يسمى بمراحل التحول في الحضارات الانسانية ليست الا مؤشرات لدخول عناصر جديدة في حياة الانسان وحوافز مستجدة استغلها او كيفها وكيف حياته على ضوئها بطريقة او باخرى على اختلاف المناخات والظروف كالتحول من السهول الى الجبال ومن الجبال إلى السهول والهروب من الجليدية الى المناطق الدافئة ومن المناطق الجافة الى حيث تتوفر وسائل الحياة والهجرات الناتجة عن ذلك وما تتركه الحروب من اثار في حياة الانسان ومخترعاته وفي تقاليده وعاداته ومعارفه وكالزراعة والتعدين ..

على ان هذه المقولات لاتملك الاطلاق على كل المجموعات البشرية في كل الاحوال والمراحل كاصول ثابته للقياس المنطقي في الحكم عليها والاعتماد اثناء البحث في هذا المجال فالصيادون البدائيون كانت لهم ثقافة اجتماعية دينية وحياتية تاثر بها المزارعون من بعدهم كموروث ثقافي انحدر إليهم عبر الاف السنين ان لم نقل ملايينها ، ونسجوا على منواله واضافوا عليه اشياء كثيرة من وحي حياتهم ومعطياتها ، فالادب الخرافي - البطل الخارق للعادة لما قبل التاريخ ظل مرتكزا اساسا للفكر الديني الكهنوتي السلطوي فيما بعد وحتى اليوم ، الا ان كل مرحلة من مراحل التطور البشري كانت وما تزال تسبغ عليه لون ثقافتها وما الساحر والكاهن والعراف وما السماء الى الزعيم الاوحد او الملهم ، ما كل ذلك الا ايقونات متعددة متجددة لذلك المعني التصوري القديم وما تقديس الاماكن والمرتفعات والانهار والبحيرات والشلالات الا تعبير عن هذا المعنى ذاته ..

وكذلك ما يتعلق بالحياة الاخرى وما نسج حولها عبر مراحل تطور الفكر الانساني من تصورات مختلفة وطقوس متعددة وما نتج عن ذلك من تحولات في انماط الحياة والعلاقات والاداب الاجتماعية كالعمران - الهياكل - المساجد - التراتيم القرابين - الوعي الخلقي والنسك التعبدي ومن تبدلات ظاهرية في البنية الاجتماعية كالطبقة والوظائف الاجتماعيةوالمصالح الاقتصاديةوالتخصصات كل ذلك ماهو إلا موروث تحدر من العصور الموغلة في القدم كمقابل ضروري لتوق الانسان للتحرر والتقدم وقس على ذلك كثيرا من الظواهر والممارسات التى ماتزال قائمة حتى يوم الناس هذا كتدجين الحيوانات وصناعة الخزف وأدوات الطعام ووسائل الصيد والزراعة والتعدين .

بل إن علم التكنولوجيا الذي يعتبر ابرز خصائص الحضارة المعاصرة قد تناسل هو الآخر من أول فاس أو سكين أو مدارس حجربة أو قوس صنعه الانسان الأول .

وكم تمازجت حضارتان او ثقافتان صيدية وزراعية في أكثر من مكان سيما مناطق الشرق الأوسط حيث لايزال يوجد فيها من يسكن البيوت ويعتمد على الزراعة والصناعة والبدو الرحل الذين يعتمدون في حياتهم على الصيد نتيجة تعدد المناخات وضعف المعطيات التحولية الطبيعية

والانسانية وسيطرة الموروث على الحياة المعاشة ووقوع الجميع تحت طائلة السائد من الاوضاع والمفاهيم كما ان مظاهر التخلف الموروثة ماتزال شائعة في استراليا والأكسيمو ولم تزل الانشطة الخيالية الميثولوجية هي القاعدة الأساسية للتصورات النظرية والوقائع من العملية الحياتية في كثير من مناطق عالم اليوم .

- .فالقتل للصيد الذي اتسم بالمسحة الصوفية وتزامل مع طقوس واعتبارات سحر دينية لكونه منحة سماوية ضرورية لحياة الانسان الأول واكله الذي كان يصاحبه ترانيم وشعارات ورقصات تعبدية سحرية ذات دلالة لاعتقادهم بأن حياة الضحية أو روحها المغادرة تحل في اجسام آكليها حيث تتموه في مادة الألوهية ـ البقاء ـ هذا المفهوم أو هذا المنطلق الاعتباري قد جعل الملوك والطبقات الاستقراطية تشن حروبها على المستضعفين أو المستبدين طبقا لأوامر الآلهة ورغبتها وكذلك مطاردة الحيوانات المتوحشة قد سوغت غزو الأقاليم ومطاردة المتمنعين أو المعارضين حتى اليوم .

واكبردليل على ذلك مافعله الاخائيون الهيلنيين والأرواد والجرمان والاسبرطيون والأشوريون والايرانيون والترك منغوليون والسبئيون وغيرهم عبر التاريخ حتى مرحلة الاستعمار الأوروبي ..

كما ضادر الصيد هواية شخصية ورياضية رسمية جماعية فروسية دينية لها من الطقوس المصاحبة والعادات والآداب وتعطي فيها الاوسمة للفائزين وللمتفوقين [للذي يقتل اكثر] ..

والاساطير والملاحم والحكايات التي خلقتها لنا العصور القديمة ما هي الا موروثات ثقافية من عصور سابقة اتيحت لها فرصة ووسيلة التدوين فيما بعد من الحكاية الشعرية الى المدونة الرقمية ..

ومن فكرة التزاوج بين السماء الفضاء الماء الاب وبين الارض الام قد انجبت الكائنات الحية ومنها الحبوب التي ماتزال نسمي بعضها في يمننا بالمنزلة وتصبغ عليها الصبغة القدسية [مراعاة النعمة ـ تقبيل الحثرة التي سقطت على الارض ووضعها على الرأس،اكل الحارق من الخبز لانه يشهد لنا عند الله يوم القيامة ـ احترام الاكل واختيار الحديث اللائق اثناءه والجلوس حوله بتقوى واعتدال وغير ذلك] ..

ومن هنا اكتسبت الانثى قداستها ووظيفتها الاجتماعية والبحث عن مركز الكون والحياة الدورية للعالم او التجديد الكوني الذي ما يزال هم الباحثين والعلماء في الارض والفضاء كان قد امن به انسان ما قبل التاريخ من خلال تجربته مع متغيرات ومعطيات الحياة اليومية واهمها الموت والحياة اتضح ذلك من خلال الشعائر الدينية والسحرية والسيناريوهات المتعلقة بالاحتفالات والمناسبات الموسمية كالاعياد الشهرية في ايران القديمة وتسمية الشهور باسماء الالهة والاعياد السنوية كذلك في مختلف مناطق العلم إذتمخض عنها علم النجوم الفلك عند الكلدان والاغريق واليمانيين القدامى وحتى اليوم ..

وان تماثل كل الكائنات الحيوانية والنباتية في هذه الدورة قد قاد الى فكرة وحدة الوجود الفلسفية والى الابحاث المستجدة حول العلاقة بين المادة والروح ..

يقول العلامة «ميرسيا الياد» ان علوم الكون والعقائد المتعلقة بالعالم الاخر وانتظار المسيح المخلص التي سادت خلال مئات الالاف من السنين في الشرق و في عالم البحر المتوسط تمد جذورها في مفاهيم (النبوليتيك) ان الفتحة الكائنة في سقوف

المنازل القديمة قد فسرت تفسيرا ماديا روحيا معا في وقت مبكر ايضا فبقدر ما كانت لدخول الهواء او تجدده وصعود الهواء الفاسد وتلاشيه فهي «باب السماء» الذي يتطلع منه ومن خلاله الى الملكوت الاعلى وتتطلع السماء الى ساكني المنزل بعين رعايتها ..

وكان البيت هو الصورة المصغرة للكون الذي هو بيت الكائنات واعتبر القبر هو بيت الاخرة لذلك كان يزود الميت بما يحتاجه من ماعون وغذاء وسلاح واكتسب حرمته [من الثرى الى الثريا] من كوّنه جزءا من الاخرة .. الى ان صار حرما مقدسا ويحج اليه وتقدم له القرابين كقبور الانبياء والاولياء .. والعظماء وما يزال يطلق على بعض القصور صفات مثل دار الحمد والشكر وبيت الدين ويكتب على واجهاتها بعض العبارات ..

والشعارات القدسية والتفاؤلية مثل - هذا من فضل ربي ما شاء الله - ياداخل البيت صلي على محمد ويعلق في اركانها التعاويذ والرقي مثل قرني الوعل وحبات الحنضل وكذلك نظرية اختراق البعد وتجاوز الزمان والمكان في صناعة الاسلحة الحديثة وعلوم الفضاء قد اكتشفها الانسان الاول منذ ان صنع القوس والنبلة محاكاة للسماء والبرق .. ومن مضمون محتوى ما اسلفنا، فان من التزاوج والتمازج والتكامل بين ثنائية الانشطة الخيالية والانشطة العملية قد نشات اللغة ككائن حي .. تتمثل فيه وحدة الوجود الكونية وتتحد فيه العلاقات الجزئية بالكلية ويسري عليه ما يسري على الكائنات الاخرى ..

في الاستشراق قديما وحديثا والاشكاليات اللغوية

لايمكن لاحد مهما كان موقعه الفكري والسياسي او معتقده الديني او القومي ان ينكر ما للاستشراق والمستشرقين من دور بارز وفعال في بعث واحياء العلوم والفنون والاداب الانسانية ومن فضل كبير كذلك في دراستها دراسة علمية منهجية في مختلف جوانبها الانطلوجية والاثنولوجية والبتولوجية والجيولوجية والاركلوجية وفك رموز اللغات الشرقية القديمة وسبر اغوار الثقافات الشرقية وابعادها التاريخية والانسانية واستخدام مختلف الوسائل العلمية لذلك مثل الاشعة الكربونية وغيرها

مهما كانت النوايا والنوازع والاسباب والمقاصد وان ما صنعه هؤلاء لايضاهيه في التاريخ البشري كله حدث مثله اللهم الا الدور الذي قام به المؤرخون الكلاسيكيون من اغريق ورومان ويهود وسوريون فينيقيون مثل هيرودوت وتيودور الصقلي وسترابون وفيلو الجبيلي ويوسفوس اليهودي ، وما نتيون المصري وغيرهم وذلك قبل الميلاد وبعده مع الفارق الكبير بينهم وهو التقصي والتخصص والمتابعة ووقوف الاكاديميات العلمية والمؤسسات التجارية والسياسية وراء اعمالهم ولكل من اعمال الفريقين جوانبه السلبية والايجابية كأي عمل انساني انطلاقا من القانون الطبيعي الذي يحكم الانسان والعالم وهو القصور المخلوقي مقابل الكمال المطلق الالهي وان كل شيئ مهما كان فهو نسبي في فعله وفي اثره فبينما نجد ان اعمال المؤلفين والمؤرخين الكلاسيكيين قد ازاحت لنا الستار عن ماضي اسلافنا وطبيعة حياتهم وحضارتهم وثقافتهم والدور السياسي الذي لعبته دولهم وامبراطورياتهم من عمران ونحوه ووضعوا اللبنات والمؤشرات الاولى لمن يجيئ بعدهم كالمستشرقين الغربيين والمستغربين الشرقيين ووضعوا العلامات على مواطن ومكامن الثقافات الاجتماعية الاثرية والمعتقدات الدينية والمدن والمعابد وغيرها اذ لولاهم ماتسير لهم ذلك بما في تلك

المقاصد خدمة التورات ..
نجد تاثير الهوى الشخصي والثقافة التراثية والانتماء الديني والسياسي واضحا فيما تركوه من مدونات في رواهم المختلفة وفي الوصف والتحليل كما فعل «امين مرسلين» مثلا وهيرودت الاغريقي وفيلو الجبيلي ومدونو التورات بعد الاسر البابلي ..
كما ان العلماء الذين حملوا في مستهل عصر النهضة على عاتقهم اعباء البحث والتحقيق حول ماوصلهم عن اسلافهم قدموا اعمالا في هذه المجالات ودراسات مايزال العالم الى ما شاء الله يعول عليها ويستند اليها ويستدل بها وهي التي فتحت للمعاصرين والمتأخرين جدار الصمت التاريخي ولو لم يكن لهم من اثر وفضل غير فك رموز اللغات القديمة كالفينقية والارامية والسومرية والمصرية واليمنية والسنسكريتية وغيرها وابرزوا اولى معالم التأثر والتأثير المتبادل بين ثقافات الامم السالفة والتاريخ الانساني المشترك ..

نجد البعض من هؤلاء بل الاغلب منهم كان مدفوعا في توجهاته تلك بغرض البحث عن مصداقية ، التورات وتحقيق جغرافيتها البشرية والتاريخية والثقافية على صعيد الواقع وعلى ضوء الحضارات والثقافات المعاصرة لها ..

للاهتداء بذلك كله في تفسير غواضمها وحل ما اختلف علماء الكهنوت اليهودي المسيحي حوله منذ مستهل العصر المسيحي وكذلك ما اختلف حوله رجال الجمعيات الكنيسية الغربية والشرقية وشراح ادبيات التورات ومثيولوجياتها وبالاخص ما يتعلق بالعهد القديم المتفق عليه تقريبا بين مختلف الفرق اللاهوتية وذلك فيما يتعلق بالخلق والطوفان وانساب الامم ومواطنها وبحقيقة موسى وهو شع والتورات والعبور ومعرفة خط الهجرات العبرانية ومدى علاقة بني اسرائيل بمصر ومدى استقرارهم السياسي والديني في الشام بالاضافة الى مدى تطابق خريطة التورات الديموغرافية والسياسية على الواقع هذا من جهة .. ومن جهة اخرى نجد البعض الاخر كان مدفوعا من قبل الطموحات الامبراطورية الغربية والنوازع الصليبية الاستعمارية والمؤسسات والشركات التجارية .. والبعض الاخر وهو الاقل عددا.. والاكثر نفعا وايجابية وهم عشاق التاريخ والعلم والمعرفة فجزا الله الجميع عنا خير الجزاء .

فقد ذهبت النوازع المؤقتة وبقيت الحقائق العلمية الثابتة وصار من المعروف اليوم الاثار السلبية لتلك المنطلقات وامكن تميزها والوقوف عندها بمنهجية واعية واخذها بعين الاعتبار عند النظر مثل سيطرة السبق الذهنيُ الذاتي على البرهان الواقعي الموضوعي بما يشبه وضع العربة قبل الحصان كما يقال او البحث عن مقدمات تكون صالحة لخدمة نتائج مترتبة في الذهن مسبقا ومثل اثار التحيز القومي والديني والسياسي وهي قواسم خلقية مشتركة بين البشر الا من عصم ربك من العلماء والمصلحين والانبياء ..

بالاضافة الى تاثرهم الواضح في وصف المسارات الدينية والمصطلحات الكهنوتية وتفسيرها على النمط التوراتي اليهودي او المسيحي ووفق المنطق الكنيسي حتى بلغ الحال ببعضهم الى جعل اللغة العبرية هي اللغة الاساس التي ينبغي ان تفسر على ضوئها مشكلات اللغات الاخرى التي اصطلحوا على تسميتها بالـ (سامية) طبقا للتورات التي قسمت العالم بعد الطوفان الى سامي وحامي وعرف نتيجة لذلك ماسمي بالدراسات السامية في اوائل القرن الثامن عشر وتركبت عليه النظرية الصهيونية العالمية ..

وهذا لعمري يشبه ما اضطلع به رجال التدوين الاسلاميين في مستهل التاريخ

العربي الاسلامي حيث محوروا اغلب انشطتهم الثقافية حول خدمة القرآن وعلوم القرآن تفسيرا ورواية ووضعوا ما وصل اليهم من موروث انساني حضاري ميثولوجي قديم في هذا السياق وابرز ملمح الى ذلك هو بعض الاحاديث الضعيفة والموضوعة والمدسوسة كما يسميها علماء الاثر وكذلك ما يتعلق بتفسير قصص الانبياء والملوك والكوارث التي جاء ذكرها في القرآن الكريم على حساب مختلف اوجه النشاط العربي الانساني جاهلية واسلاما وبالاخص الجانب الجمالي في الحضارة العربية واليمنية بالذات وكان قريشا ومكة مبدا الامم والعصور وكان الاسلام لاصلة له بمحيطه الجغرافي والبشري ولا علاقة له بالتاريخ،الامر الذي يتناقض تماما مع القرآن والرسالة المحمدية من ذلك التعارف المركزي السائد على ان لغة قريش هي لغة القرآن مع ان الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن [قرآنا عربيا غير ذي عوج] ونسوا انهم اذا حصروا العروبة في قريش فقد القرآن عروبته وعالميته فاساءوا من حيث ظنوا الاحسان الى الدين والعرب وهذا هو نفس الهوى الذي انتقدناه في المؤرخين الكلاسيكيين قبل الميلاد وبعده وفي مستشرقي العصر الحديث والذي يشكل اهم واخطر الاشكاليات اللغوية التي سنتناولها بالتفصيل في دراسة لاحقة

الايمان بالاول الاعظم الدين والتدين فطرة ازلية . .

ومن فضائل تقدم وسائل البحث العلمي حل معضلات ظلت سنين طويلة مثار اهتمام الباحثين على مختلف تخصصاتهم منها معضلة الدين والتدين في عصور ما قبل التاريخ التي منهم من انكرها انكارا مطلقا ومنهم من افترض وجودها افتراضا وكانت لدى البعض الاخر من جملة الاحتمالات التي لايملك الباحث ادلة اثباتها او رفضها حتى جاء دور العلم الحديث فاثبت بعد فحص وتحليل للاثار الانسانية في الكهوف والمغاور والمقابر وبقايا المدن القديمة لاجل معرفة اوجه النشاط العقلي والابداعي للانسان القديم في مختلف الامكنة والعصور وكذلك معرفة مدى الانسجام والتكامل في تلك الاثار بين الروح والمادة لمعرفة ماذا كان لاسلافنا اديان او تدين يوائم بين الحياة الروحية للانسان والواقع المادي الذي يعيشه ويتعاطى معه فاصبح اليوم في حكم المقرر والمتفق عليه ان التجارب الانسانية المتمحورة حول المقدس والقداسة والتي عثر على ادلتها في المعابد والمقابر والبيوت وفي الرسوم والانصاب المختلفة لتدل دلالة قاطعة علميا بانها عنصر مركب في بنية الشعور الانساني واستدل من تشريح بقايا الجثث والعظام والمصنوعات اليدوية المختلفة على وجود الذكاء الانساني في تلك الاعمال على الاقل فيما يعزي منها الى العصر الحجري الاول وان كان الباحثون قد احتاروا في تحديد ماهية تلك الاديان الا انه باستخدام المنظور المنظومي وتجنب المنظور ذي البعد التخصصي الواحد امكن الاقتراب من حقيقة امرها وطبيعته.فدراسة الزمان والمكان والمناخ والمؤثرات المحيطة والموروثات التاريخية وما نتج عن ذلك من فعل انساني متكامل ولو بشكل بسيط قد قاد الى نتيجة مؤكدة بان ذلك كله لم يضمن بقاء الجنس البشري واستمراره وتوطينه في بقعة ما من الارض فحسب ولكن افرز كذلك نتاجا ثقافيا ميثولوجيا مليئا بالقيم الاسطورية الدينية وان هذا النتاج ذاته لم يكن نسيج وحدة ولا نتاج انقلاب في الحياة الطبيعية الانسانية بل يمد جذوره الى اعماق مجهولة في تاريخ الارض والانسان

ناهيك عما احدثته الثورة الزراعية والتعدينية من تقدم ..

فالحراب التي تغوص في كبد السماء سيصعد قاذفوها بواسطتها الى العالم العلوي او تلك التي تخترق الغيوم لتطرد الشياطين او الارواح الشريرة التي تحبس الامطار وتحول دون تنزل حنان ورحمة الالهة ما هذه وامثالها من الادوات المصورة في جدران الكهوف والبيوت والمعابد الا دليل على ذلك التمازج والتكامل في الفعل الابداعي للانسان في حياته المادية والروحية وقدر لبعضها زمن تاريخي يعود الى الثلاثين الف سنة قبل الميلاد ..

بل وربما دلت الموروثات للصيادين البدائيين قبل ملايين السنين على كثافة الجانب الروحي في حياتهم او انها كانت الحافز الاول لاي نتاج عملي ومنها ما ينبيء عن علاقات غامضة بين اي شخص ما مع حيوان ما وان اعتقادا كان سائدا لديهم بالارواح المرافقة او الحارسة للانسان والحيوان معا ومن احكامها ان لايقتل الصياد من الحيوانات الا ما كان بحاجة اليه مقسومة له من الاله او ما يخشى منه على نفسه واهله اعتقادا منه انه انما يبعث بروحه الى وطنه الروحي كلما فعل ذلك ..

ومن ذلك شعائر وطقوس الاحتفالات بالدب او الثور او الماموث او الوعل او الخنزير البري ونحو ذلك بل ان بعض الشعوب (عصر الصيد) كانت تقدم قطعة من الفريسة للكائنات العليا ومنها ورث اطفالنا ان يرموا باسنانهم المخلوعة الى عين الشمس لكي تبدلهم بخير واقوى منها وان من اعضاء الفريسة مايحرم اكله ومنها مايحتفظ به لقداسته حيث كان اليمنيون قبل الاسلام لاياكلون القلب حتى امرهم النبي بذلك .. وكذلك عادة الاحتفاظ بجماجم الموتى في كهوف واخراجها سنويا لتنظيفها والتي ماتزال تمارس في قبائل بعض شعوب شرق آسيا وفي استراليا استعدادا لعودة الحياة اليها ثانية (المعاد البعث) وكذلك تلطيخ جدران البيوت بالدم واستبداله فيما بعد بالصباغ الترابي الامغر التي كانت منتشرة عالميا من شو - كوتن في الصين حتى الشواطئ القريبة لاوروبا وفي افريقيا حتى راس الرجاء الصالح وفي استراليا وتاسمانيا واميركا حتى ارض النار اذ كانت جثث الموتى ترش بهذا التراب وان حالة اغلب القبور المكتشفة من تلك العصور لتدل على عقيدة استمرار الحياة بعد الموت ومنها العينة التي عثر عليها في مقبرة المومياء اليمنية في بني حشيش.اما في الشرق على وجه الخصوص فقد كان لاعتقادهم بالشمس الاثر الكبير في اعمالهم ومعتقداتهم فابواب بيوتهم ووضعية قبورهم والجذور التشكيلية لفنهم التصويري وغيرها تتجه نحو الشمس وتتمحور حول قرص الشمس ..

وعلى سبيل الاستدلال على الماضي بحالات مشابهة من الحاضر في اوساط القبائل التي ما تزال بدائية ومعزولة عن الاحتكاك بالغير مثل هنود كوجي الناطقة بلغة «شيبشا» والتي تسكن في صحراء - سيرانيفادا من سانتا مارتا في كولومبيا - اكتشف العالم (دولماتوف) عام ١٩٦٦ طقوس دفن شامانية دينية وسجل لنا عبارات تلقينية رددها الشامان اثناء دفن احد هؤلاء الهنود فوق قبره تقول (ان البيت مغلق وسافتحه) ثم يعلن الشامان (لقد فتح البيت) ثم يدل الناس على المكان الذي يجب ان يحفروا القبر فيه وبعد ان يسجى الميت بثوب ابيض ناعم خاطه الاب عادة وخلال هذا الوقت يروي لنا العلامة «ميرسيالياد» يدمدم اقرباء الميت اغنية غير ملفوظة وتوضع بعض الرموز العقيدية في

القبر من الاصداف والقواقع ويحاول الشامان بعد هذا رفع جسد الميت ويتظاهر بعدم استطاعته ذلك لثقله تسع مرات ويوضع الجسد والراس باتجاه الشرق ويغلق البيت ويستغرق الدافنون في اداء طقوس معينة زهاء ساعتين مما يوحي باعتقادهم بعودة الحياة وان الارض هي الرحم الاكبر للكائنات ..

ومن هذا المنطلق فقد صار لدى الباحثين المختصين في هذا المضمار مصطلحات شائعة في دراساتهم مثل البحث في اديان الكهوف والمغاور وصنفوا الديانات على ضوء هذه المصطلحات لاعلى ضوء الازمنة والامكنة والعصور او الامم القديمة الثقافة او الديانة الصيدية ـ الزراعية ـ التعدينية ـ المعاصرة .

وقد اذهلهم ان تتشابه ان لم تتطابق كل المعطيات في كل من اوروبا الغربية وروسيا حتى الدون وكذلك في اسبانيا وفرنسا وجنوب ايطاليا والمقدر زمنها بـ ثلاثين الف الى تسعة آلاف سنة قبل الميلاد كمغا رة تيوز او الاخوة الثلاثة وكبريرتز حيث عثر على رموز شعائرية مساربة تلقينية توحي بخلود روح الفريسة او الانسان الميت وتوحي كذلك بضرورة التآلف بين الانسان والحيوان كمؤشر الى مرحلة التدجين .

كما ان المكتشفات الحديثة لعلم الحفريات تشترك كما يقول «الياد» فيما بينها في الانتماء لما هو ابعد كثيرا عن زمن بدايات الانسان والثقافة حيث ان الانسان يظهر اكثر قدما بنشاطه العقلي والنفسي واستطاع (الكسندر مارشان) البرهان على وجود نسق رمزي موحد في العصر الحجري الاعلي مبني على ملاحظة المظاهر القمرية وان بعض الطقوس الاحتفالية الفصلية الدينية، كانت مثبتة في زمن طويل مسبق بنفس الطريقة التي تحصل في زماننا لدى السيبريين وهنود اميركا وقدر عمرها باكثر من خمسة وعشرين الف سنة وان الكتابة والحساب والتقويم والكيمياء كلها اثبتت من ضرورة دينية حياتية او مطلب ديني حياتي ولاهداف دينية وحياتية معا واصطلح على تسميتها بالممارسات السحر دينية وان البنى الاصلية للديانات البدائية المعاصرة لم تتزحزح عن موقعها الجذري والايدلوجي القديم واكثر من هذا الاعتقاد الذي ساد وما يزال سائدا بأن روح الانسان تستطيع ان تلتقي بالكائنات العليا وان تطلب منها المساعدة وبالكائنات السفلى ايضا حيث تعيش ارواح الموتى في فترة اخصاب او بيات جنيني في انتظار الميلاد الثاني الاسمى (التشغيل ـ المسفلة الوحي) كما ان بامكان الارواح العليا والسفلى ان تدخل في اجساد الاحياء وتتملكها ولا فرق في ذلك ان تكون روح انسان او حيوان وهو ما يوحي بقدم فكرة الحلول (التوحش - الطهبشة ـ الزار) وهكذا فان الاول الاعظم ومعاونوه الآلهة المتخصصة الاخرى (الملائكة) قد تأكد في عقائد الاسلاف منذ القدم حيث اوحت به اساطير وميثولوجيات ((اسشاكونية)) اصل الانسان ومنشؤه، الطريدة ـ الموت ـ والحياة، وباختصار نظرية (المبدا والمعاد) التي ظلت الاساس للافكار والفلسفات والمذاهب الدينية عبر العصور وسنتناولها في موع مستقل باذن الله عندما نقارن في دراستنا بين الكتب والاديان وبين القرآن ..

وحدة الجذور اللاهوتية والاجتماعية واللغوية

[اولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما] قرآن كريم ..

كان تصور اسلافنا لبداية الخليقة والالوهية طبقا لمقتضيات الطبيعة واستجابة لتحدياتها انطلاقا من قانون

التصور الخلقي ... الذي سبق ان المحنا اليه لذلك فقد اتحدت الروى في الاديان جميعها بان في البدء كان الـ «العماء» كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه (١) والماء [وكان عرشه على الماء] البحيرة الزرقاء في التصور المصري - البحر المحيط - في التصور السومري (الكاوس) - الحوري والحثي - وان هذه الكتلة التي لاتملك اسماء انشطرت الى سماء وارض الا ان الديانات الشرق اوسطية ذات المجتمع الامومي تجعل الارض الام حيث تكون من الـ (ابسو) الماء العذب و (تيامت) تهامه - المتراكمة من تفاعل البحر والطمي وامتزاج الماء المالح بالماء العذب بفعل عنصر ثالث هو الحرارة (حمو) بالالف المضخمة - حما - ومن هؤلاء جميعا تكون - لخمو - ولخامو) الاحماض الاخلاط - المستنقعات - البكتريا الطبيعية كما يقول العلم الحديث ..

ومن لخموا ولخاموا تصاعد (انشار وكيشار) ويعني البخار والكثافة اللذين تكون منهما الغلاف الجوي كما يقول العلم الحديث ايضا ومن الاخير تكون (آنو) - ايوان ذرفان ذروان زروان مينون - وافروديت..

فالأول بالمصطلح السومري والثاني بالمصطلح السومري والأناضولي الايجي والثالث بالمصطلح السيبري السيكيثي (الارشاكي) الروسي القديم (البرتي) ثم الحوري والحثي ثم الاشكاني الاخميني الايراني القديم واخيرا بالمصطلح الكريتي اليوناني ..

وايل - وبعل - وتي لي بينون بالكنعاني والفينيقي والعبري القديم ، واذا تأملنا الاشتقاقات اللغوية ومدلولاتها في مختلف التسميات السالفة لوجدناها ذات جذر لفظي ومعنوي واحد

فانو السومري قد ركب من - اي انا - بالالف المضخمة - و - التي تعني المكان والزمان فاي بيت ظرف وهو (الايك) الذي ركب منه الهيكل - باضافة ايل - الـ الاله اليه مع ملاحظة تناوب الهاء والالف في اللهجات الشرق اوسطية وبالاخص الجزرية .. وآنو الافق العلو والارتفاع البعد الذي هو في المصطلح العربي الحديث - (الفصحى) (العنان) عنان السماء وهكذا ظل يطلق على انو السماء - ومنه في العربية النو والانواء ومنه اشتق بالفصحى الحديثة الظرف الزماني المكاني - الـ «أين والان والمستخدمة للاستفهام .

وعند الصينيين الين واليانغ ومنهما تكون الثالوث التكنيكي المعروف بالـ تاو المشتق منه اسم جزيرة تايوان المركبة من الاي - تايو - ومن «آن» آنو ..

واخذ المجمع المقدس الملوكي الساساني اسمه من (آيوان).. وكذلك دي ايوان - ديوان بالاكدي الارامي اليمني - العربي الحديث الذي يعني كذلك مجمع او مكان الاجتماع ذي الاعتبار غير اعتيادي وبالعودة الى الجذور السومرية الاولى نجد ان الكاوس - الهيولي مركب تصحيفي او مصحف تركيبي من كاء وهو المثل عند المصريين القدامى الذي لااسم له ولا عين وانما هو هو وهو غيره وليس غيره هو كما يقول المتصوفة لان هذه المرحلة البدئية لم تكن الاسماء قد خلقت فيها بعد بما في ذلك اسماء الآلهة ومن (اوس) التي تعني الحشد المضطرب الفوضوي الذي له علاقة بالبحر ومنه اوسن اسم المملكة اليمنية القديمة (اوسان) التي كانت مسيطرة على البحر الاحمر والشاطئ الافريقي اما تيامت تيامه - تهامة فهي الارض المتكونة من الطمي المترسب من السيول والقريبة من البحر وقد ترجمها بعض العلماء بـ «تعامه من العمى وسواء كانت بالعين او بالهاء نظرا لتناوب الحرفين هذين مع الياء في اللهجة السومرية والاكدية فلدينا من لهجتنا اليمنية المحلية

ما يرجعها الى معنى اصلي واحد فمن (تعامه) العمى - ياتي عندنا العمياني الذي هو الضباب وكذلك من تهامه ياتي في لهجتنا - التاهم الذي يعني بدوره هو الاخر - الضباب المتبخر من البحر والصحراء ..

واما (انتشار وكيشار) الذي تكون منهما الغلاف الجوي فالأول بدخول ان عليه التي تفيد العلو فيعني السحاب التي تنتشر في السماء - ولهذا يقال لدينا في المطر «مملكة» وشار او انشار ملك ومنه «شاري كلي شاري» الملك الاكدي ..

واما الثاني فبدخول - كي - التي تعني التحت العمق - الارض فيعني القشرة الارضية الكتلة الجبال القائمة على الشريط الساحلي ومنها (كيشران) في مخلاف التعزية وهو واد في سفح جبل كبير قائم على سهل المخلاف وكذلك «كشر - بضم اوله » ناحية متكونة من اودية متعددة بين جبال متعددة مترابطة شبه نسقة بركانية تحاذي وتطل على تهامه ..

ومنها كذلك اشتقت كلمة الفعل الفصيح (كشر يكشر) ومصدره واسم فاعله (كيشار ومن ناحية اخرى من حيث التخريج اللفظي ووفق قانون التناوب في (كاوس) اذا اعتبرنا ان المترجم اعتبر الفاء الفهلوية الاشورية ذات الثلاث نقاط واوا كما هي عادة المستشرقين فان العبارة تعني الكافوس والكافوس في لهجتنا اليمنية التراكم الفوضوي بالقوة وكذلك الكابوس عند من يعتبر الفاء الفارسية باء او يؤدي نفس الدلالة ونفس المعنى في لهجتنا ايضا

ومنه (ذو كُباس) احد الاقيال (اليمانية القدماء وكذلك مرض (الكرفس) وهو الكساح والكرسف بالتصحيف ما يسد به فرج الحايض في حالة النزيف غير الطبيعي لكي تتوضى وتصلي كما يقول الفقهاء الاسلاميون (الفطن) وكفس فلان فلانا اذا طرحه ارضا وحشره حشرا في مكان ماء تحته وآل شار - تركب منها اسم الاله السومري الاشوري اشور بعد اختصار النون والاكتفاء بالالف الممدودة المضخمة والتي تعني عينان وعنان (عنان) ومنها معان وداعان وبعد تضخيم الف الوسط حتى بدت واواوا في شور فصار (آشور)- اي عنان الافق وهو السحاب كما جاء في حديث عن ابن عباس (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع مجموعة من اصحابه فمرت سحابة بيضاء فقال : (الا اخبركم ما هذه قالوا اخبرنا قال : انها العنان التي كان يتعبده قوم من قبلكم)أوكما قال وهذا لايخرج عن المعنى المقصود وعن سياق تخريجنا له وعلى هذا فان (اوس) الآلهة القديمة هي آبسو بالاشورية والاسيوية الغربية واذا افترضنا الالف عينا كما في البابلية والاكدية - الارامية اليمنية القديمة وكما هو سائد في لهجة تهامة اليوم فانها عبسو عبس ، وعبس قبيلة ومدينة يمنية في تهامه وفي الحجرية حيث كانت تسيطر مملكة اوسن وقبيلة حجازية ايضا هي عبس غطفان والعبس - العبوس - التكشير بغضب (عبس وتولى) والغطفان نوع من العمى العتمة ضياع الرؤية الاعشاء وهو ما يفسر معنى الكتلة الاولى الهيولي هذا وقد اختلط على الباحثين تفسير معني «حمو» وانفردت به كما ترون وبعضهم احل محله «ممو» المركب من الكلمة الفينيقية - مي - ماء - وماو البحر الكبير بدليل التضخيم بالواو والذي يعني الماوية النواة الهيولي وهو عند المصريين اصل الخليقة وكذلك (يمو) بالسريانية الاكادية الارامية اليم الذي يعني البحر كما جاء في القرآن حكاية عن موسى «والقيه في اليم» وكلمة موسى العبرية الكنعانية تشير كذلك الى المقصود وتصحف «يمو» في السريانية الارامية الفينيقية فيقال مايو الماء مثل قولهم

عماخ مايو يابثيونا معك ماء يا بنت وكما هي دارجة الان في لهجة تهامة وعدن والـ «تيمم» استبدال الماء بالتراب «وتيمموا صعيدا جرزا»..

وحدة الجذور التاريخية والقواسم المشتركة . .

واذا اعتبرنا الواو في (كاوس) تضخيما للالف كما هي عادة اللغة الارامية الغربية (لان العلماء قسموا اللغة الارامية في مرحلة تطورها الى غربية وميزوها بالترقيق والف الاطلاق والاماله) والى شرقية وميزوها بالتضخيم والقطع او الترخيم) فانها تعني الكأس - الكوب وهنالك امة اصطلحوا على تسميتها بالكاسيين الكاشيين وكذلك الكوشيين ومن قبل الاخيرة - كاشان مدينة فارسية اشتهرت بالبلاط الكاشاني - الفسيفساء ومن الاخيرة امة «الكوش» التي وهمت الثورات بنسبة السبئيين اليها وكذلك الاحباش .. وفي التقسيم الطبقي للمجتمع العراقي القديم طبقة (الكوش) - الجماعة العاملة في جمع الغلال والذين لايتبعون الهيكل ولا القنانة الاقطاعية مثل العبيد المملوكين او الاسراء المسترقين وانما يأخذون اجورهم من فضلات ما يجمعون . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى لايستقرون في مكان كموطن معين لهم فهم من بقايا المجتمع البدائي المتنقل او من الافاقين الذين تركوا مواطنهم الاصيلة لاي سبب من الاسباب ولذلك فلا ينتمون الى ارومة واحدة مثل قريش والاحباش ومهما يكن الامر فان العبارة في لهجتنا الشعبية تأتي من كرش بكرش وقش يقش على اعتبار تناوب القاف المرقق مع الكاف القديم الذي ميزته البهلوية والسومرية بخطين متوازيين وكذلك الاردية والكرش والقش يعني التجميع والالقاء بالاشياء بعيدا في نفس الوقت وهو نفس المدلول الذي عنته التسميات القديمة ومن ذلك «الكرش» التي هي المعدة تستوعب الاشياى ثم تلقي ما فضل منها وعلى اعتبار ان (الكاوس) هي الكاس ايضا فقد وجد بين اللقاء الاثارية العراقية القديمة لوحة رسم عليها كاس يفيض من كلا جانبيه الماء ويسيل على الارض مكونا نهرين او مجريين لعلهما يرمزان الى دجلة والفرات واللوحة بمجموعها ترمز هي الاخرى الى الخصب والفكرة من اساسها صارت نواة فلسفة الفيض الاغريقية الافلاطونية ..

وهكذا اطلق العراقيون القدامى على بلاد مابين النهرين اسم (ميز ابوتياما) ميزاب تهامه - يعني الارض الواقعة على مجرى الماء .. والميزاب في لهجتنا الدارجة وما تزال حتى اليوم مستعملة تعني مجرى الماء ..

ومن اوس المضخمة جاء (اوس) بمعنى العوض كما جاء في القاموس ولسان العرب واسى فلان فلانا واساه عزاه اي عوضه عن حزنه او عن افتقاده لشيء ماء سواء كان ماديا كالمعونة المالية (المواساة) في لهجتنا الدارجة او معنويا ومنه اشتق اسم القبيلة اليمانية (الاوس) وفي البابلية الاكدية (آسو) الطبيب واياس مثل عياض في الفصحى وزنا ومعنى وعاس، في اللهجة اليمنية (الحجرية) قرص الخبز الناشف ولعله اكتسب هذه التسمية من كونه يوزع في الماضي على العاملين في الحقول كأجر مقابل (عوض) في (عصر القنانة) وسيأتي لنا عند الكلام عن الثقافة في المجتمع المصري القديم (ابشوت) اله الكائنات السفلى والذي يأتي احيانا في بعض المصادر (جب) ومعلوم في اللهجات العربية القديمة تناوب الشين بالجيم المعطشة ويعني شوب الثنائي الحثي الاناضولي (في شوب وهبا) وكذلك الجيم والكاف - وهنا يجدر بنا ان نستعرض بعض الحروف المتبادلة او المتناوبة لكي يسهل

علينا استيعاب ما نتوصل اليه من تخريج للتراكيب اللفظية وبالتالي تفسير مدلولاتها على ضوئه ..

وقد سبق في ما مضى لنا من الكلام ان المحنا الى هذه الظاهرة السائدة في جميع اللهجات العائدة الى العوائل اللغوية القديمة ونعني بها تلك التي كانت شائعة من المنطقة المعروفة بجنوب الاتحاد السوفياتي (تركستان) وسهوب آسيا الوسطى وآسيا الصغرى (الاناضول) والمنطقة المحيطة ببحر قزوين الممتدة على جزر بحر ايجه وما صاقبها (كريت واليونان والبلقان) غربا والمتسلقة في وادي السند جبال طوروس وزاكروس وهضبة ايران وافغانستان والمنصبة في سوريا الكبرى عبر (حران واطنه) والملتفة الى وادي الرافدين ملتقية مع المد القادم من الجزيرة العربية عبر قناتيه التاريخيتين ، الخليج العربي وجنوب العراق من الشرق ، ومصر والبحر الأحمر والصحراء العربية إلى الشام من الغرب ، هذه هى منابع وخطوط مسار العائلتين اللغويتين ذات الاصل الشرقي الواحد ويليها او يواجهها في المد والجزر ما تولد منها والمتعارف عليه بعائلات اللغات الهنداوربية ثم الهند آرية كما ستفصله فيما بعد ...

التمثيل والتجسيد بداية المأساة الانسانية ..

والنئوب في اللهجة الخليجية الكويت مثلا موجة الحر الشديد وهذا يقابل مدلول تشوب الحثية التي تعني اله العواصف الحارة بدليل وجود الثنائي المعادل الاخر التي هي (هبا ـ هبابا ـ) وتعني الهبوب الريح الباردة المعتدلة وهذان الالآهان الاناضوليان يرمزان الى الصيف والشتاء حيث جعل الاسلاف القداما لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلهاً خاصا بها يتقربون اليه بالاضاحي والقرابين والصلواة طلبا لمساعدته واتقاءا لغضبه لان التكنيك الفكري اللاهوتي قد ربط منذ القدم بين الطبيعة والالهة وبينهما وبين الانسان بنفس الدرجة التي ربط بها بين الالوهية العلوية الخالصة الغيبية المتمثلة في الطبيعة ومظاهرها وبين التحقق العيني للوجود الالوهي الغيبي على الارض في عملية ميكانيكية التجسيد الذي برز في الشمس والقمر والزهرة وسائر النجوم السيارة والثابتة لما لهذه الافلاك من اثر فعال على المناخ والانتاج ومناحي الانشطة الخيالية والعقلية الانسانية سيما في عصر الزراعة وعليها اكتشفوا الدورة اليومية الكونية والدورة الفصلية ولذلك حفلت الاشهر والقصور بمناسبات مسارية احيائية وتلقينية منها أشهرها عيد رأس السنة الجديدة الذي كان يعني التجديد لكل شيء سيأتي لنا فيما بعد . .

وقد كان السحر والسحرة هو اول دور تمثيلي لتجسيد سلطة الآلهة عينا في المجتمعات البشرية لحل الالغاز التي لفتت انتباه الانسان اليها وتفسير النذر الطبيعية والكوارث الكونية واستقراء رغبة الآلهة في فعل بعض الاشياء او تركها واستشراف المستقبل القريب للانسان مثل هل يحصل على صيد سمين غدا هل سينتصر على بعض الحيوانات المتوحشة هل سيجد غذاءه من جذور النباتات هل سيوفق فيما اذا ترك موقعه بموقع اخر تتوفر فيه حاجته هل سينجب فيما لو تزوج فلانه الى غير هذه القضايا التي لايجدها جوابا مقنعا مسموعا من الآلهة . .

ومن هذه الضرورة ايضا تطور دور السحر والسحرة الى الكهانة والكهان حيث نصبوا من انفسهم الوسائط اللازمة بين الانسان والألهة او بين الارض والسماء ولكي تقرب فكرة التجسيد الكهنوتي من غرضها ولتكثيف الوجود العيني للآلهة فقد بنوا المعابد والهياكل لها في المرتفعات والاكام في المناطق الجبلية وكذلك الزقورات بدلا عن الجبال والآكام والاشجار والاعمدة الطبيعية التي كانت اول من اعتبرها الانسان ذات علاقة بالسماء ولتكريس هذا الوجود والعمل الوظيفي الكهنوتي مثلوا الآلهة في شكل الانسان لتقريب الصورة الذهنية للآلهة من الواقع المعاش ولتكريس الشعائر والصلواة

واقامة المناسبات ليتم تقديم النذور والقرابين والهدايا بواسطتهم ولتعدد الآلهات تعددت المعابد وتعدد الكهنة حتى شكلوا طبقة اقطاعية لاهونية استحوذت على نصيب الآلهة من الارض والحيوان والنبات ومن الجهود الانسانية التي فرضوا عليها دفع ضريبة الخلق وقيمة الخدمة والاستغلال حتى صاروا ملوكا حقيقيين تميزوا بكل مظاهر الابهات حتى لبسوا التيجان في العصر المسيحي . . والعرب في العصر الامامي الاسلامي وحملوا سيوف وصولجانات الآلهة التي منحتهم اياها ومن هذه الاسر الاقطاعية الكهنوتية نشأ مجتمع الاسر الحاكمة في العالم القديم وحتى امس القريب مثل تلك الاسر التي استحوذت على السلطة الدينية والدنيوية معا مثل سبأ ومجن ومعين وساسان وروموليوس وامينوس والاسر الفرعونية وغيرها وسنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد كل اسرة في موطنها وتاريخها . .

ولما اشتد الصراع بين طبقة الكهان وطبقة المستفيدين من الاوضاع وهم الارستقراطيون المتكونون من تطور النشاط الزراعي والتجاري وتطور المهن وصناعة الحروب تقاسم الشريكان هذا الحق الالهي فصار الملك هو ممثل الآلهة في القضايا الدنيوية وقيادة الحروب وجباية الضرائب وصار الجانب الديني الوساطة بين الناس والآلهة تفسير الاحلام تحديد الاسماء مباركة الاعمال تعميد السلطة تطهير المذنبين عقود الانكحة ونحوها من اختصاص الكهنة مع بقاء صلة اكيدة بين السلطة السياسية وبين المعبد اذهم هم الذين يعلنون في احتفالات المناسبات الخاصة تتويج الملك بأن الآلهة قد ارتضته ملكا ممثلا لها بعد ان يقدم المرشح الهدايا الضخمة والقرابين الدسمة والانسجة الغالية الى كبير الكهنة ويأخذ برضاه مقابل تسليم الاخير له للسيف او المنجل او العصا او البلطه (الفأس المفلطح) والصولجان الإلاهي للملك ويعلن الملك بأن ابن الآلهة أو أن الآلهة ضاجع أمه كما فعل سرجون الاكدي الاول وكما فعل الاسكندر المقدوني عندما احتل مصر وهكذا . . صار من السهل على هؤلاء الملوك ان يطلقوا على انفسهم لقب الآلهة وان كانت تعني السلطة الالهية الدنيوية وانهم ابناء السماء او ابناء الآلهة نفسها كما زعم احمد بن سليمان وعبدالله بن حمزه بأن الله اودع قبضة من نوره وهي الخمسة اهل الكساء في ادم وآدم مازال «خلية بين يديه» هكذا كما قالت النصارى واليهود انهم ابناء الله واحباؤه اما في الهند فقد ميز الارستقراطيون والانتهازيون انفسهم بالخلق وادخلوا ذلك في صميم العقائد السائدة فهم من الطينة المنتقاة والاخرون من بقايا فرن الخليقة سيما السود وان الاوضاع الطبقية والحظوظ قد خصصت كذلك منذ البدء بين البشر فلا يحق لاحد أن يكون غيره أو يحصل على مايحصل عليه الغير من صفات ومناصب وحقوق .

واطلق السومريون والبابليون على عملية التمثيل الآلهي هذه اسم (الساكي) وقد وجدتها في لهجتنا (تعز وإب والجنوب) وتعني نفس المعنى وهي الساكي يتساكا له وفي لهجة صنعاء (اسكه) بمعنى اقدر على الفعل نفسه (واسكه) بمعنى ارني - تمثل لي ما تريد وفي الفصحى مثل فلان امام القضاء او امام الملك اذا حضر امام المسارات المعقودة للاولياء يطلق عليها في اليمن (الحضرة) الحضور على اعتقاد حضور ارواحهم اثناء المسارة التمثيلية والتحضير بالمرفع للقوم ليمثلوا في الساحة وتماثل فلان للشفاء اذا اصبح مثل السليم المعافا تدريجيا . .

كما اطلقوا على المسارة التمثيلية ذاتها وهي الطقوس المقامة اثناء الاحتفالات بتلك المناسبة (البالا) اناشيد وتراتيل معينة ومثلها (الباله) النشيد الشعبي اليمني الذي يقام في الليل في الغربة في الحنين الى الوطن وهو مايتطابق وخاصية البالا العراقية القديمة التي تمجد الفردوس المفقود وتعبر عن الحنين اليه الى الاصول الالهية البشرية .

ولها تفسير اخر متعلق بالمناسبة وهو الابتلاء اذ يحضر الملك في الحفل المقام في المعبد في عيد رأس السنة ويقوم كبير الكهنة بتجريده من كل لوازم وابهات الملك حتى الثياب ويلبس

ثيابا شعبية مهلهلة ويركعه امام تمثال الآلهة ويلقنه صلاة الاعتراف والخضوع ويذكره بفضل الآلهة والمعبد عليه حتى ترضى عنه الآلهة ثم يلعن الكاهن بعد ذلك بأن فترة حكمه قد تجددت لمدة اخرى افبعد هذا من ابتلاء عرفت هذا من الشعيرة نفسها ومن عبارة (بيت بلاني السومرية) الذي هو المستشفى . .

هذا واذا كانت حيلة الابتزاز والنصب هذه قد نجحت بالاتفاق مع الكهنة بتقاسم المصالح وابقاء سيطرتهم على السلطة السياسية وبالانطلاء على المخدوعين من العامة والمستضعفين والعبيد والارقاء فما افلحوا في تجنب بعض التبعات اللاحقة ومنها :

ان الذين منحوا انفسهم حق تمثيل الآلة كانوا يتحملون مسئولية اي تقصير او حدث مثل انحباس الامطار فساد المحاصيل الفيضانات الحريق السطو العواصف وغيرها بحيث كان يطلب منهم الوقوف امامها او توفير متطلبات الحماية نيابة عن الآلهة وكثير منهم من كان يقتل اذا عجز ويعتبر قتله اضحية يتقربون بها الى السماء لتدفع عنهم الضر او تجلب لهم الخير ولذلك جرت فبركة في الدين من نوع اخر فيما بعد وهي بأن يستأجر الملك من حاشيته من يقوم مقامه بالفداء او يشتري رجلا من الفقراء بمبلغ من المال مغر كاف لاعالة من يترك وراءه لمدة لابأس بها ويتقمص شخصية الملك ثلاثين يوما ويسكن داره ويضاجع حلائله وتطلق يده في القصر والدولة ويلبس التاج وكل ابهات الملك ويطيعه الوزراء والقادة وفي نهاية المدة يزف الى الهيكل ليقتل بدلا عن الملك وتشاء الاقدار في مرة من المرات ان يموت الملك في احتفال بنهاية مدة ملكية المثل بأن زرط الملك لقمة حارة من العصيد فيختنق ويصبح المسكين الذي هو الاضحية البديلة الملك «توكلتي عشتها» لكن من أين لنا كل مرة عصيدة حامية .

عيد رأس السنة الجديدة والمسارات التمثيلية

وعيد رأس السنة كان يسمى با (السومرية) «آكيتيل» وهي كلمة تتكون من ثلاثة مقاطع - آ - كي - تيل - ومعناها القوة الالهية المعيدة للحياة وفي البابلية «آكيتو» وتعني التأكيد - تكرار شيء ماء لتناوب الدال والتاء فهي (اكيدوا) كما تناوبتا في اللغة البابلية في كثيرمن الاسماء مثل (دوموزي) - اوتوموزي أي (تموز) الراعي الذي عشقته (عشتار) وناها بسببه جزاء شديد وهو هبوطها الى الجحيم لتتطهر هنالك وكذلك تموز . . وبمناسبة تموز ذكرت حكاية الموزة لعلاقتها باسطورة اندنوسية قديمة تقول ان الاله الخالق عندما خلق اول زوجين بشرين واهبطهما الارض [آدم وحواء] انزل له حجرا من السماء فنفر منها ثم انزل له حبة موز فقبلها واكلها فقال له بها انك قد اخترت الموزة - الحبة فعليك ان تقبل بحياتها او حظها وهو الفناء والتجدد والكد من اجل الحياة ومعنى هذه الأسطورة قريب من الموضوع بل هو من صميمه . .

وفي عاداتنا الموروثة ال«الكدَّاء» وهو ان يرسل الطفل المريض الى قبر ولي الله مع هدية معينة تشتري بها أمه من الولي حياة طفلها والمرأة التي تلحق زوجها أو أباه بالغداء الى الحقل تسمى (مكدية) وفي لهجة المعافر كدى بمعنى أرسل له شيئا هدية أو مصروفا أو نحو ذلك .

وما زلت اذكر والدتي رحمها الله حيث كانت في كل عيد تلبسني الثوب الجديد وتأمرني ان اردد عبارة (انت البالي وانا الجديد) . .

والناس في بلادنا ما يزالون حتى اليوم يقيمون اي اعتبار لعيد اول السنة ويجعلونه موضوع تفاؤل للعام القادم باكمله فهم يعتنون في ان يأكلوا احسن مالديهم ويلبسوا كذلك ويتجنبون المشاكل والاحباطات حتى لاتصيبهم طوال العام ويبدو ان عادة (ليلة البهجة في تهامة) قد اخذت مضمون عيد رأس السنة وهي الاحتفال البهيج الذي يقام عادة في ليلة الخامس

عشر من شعبان في ابهى زينة بل ان غالبية الفرق الاسلامية تعتقد ان في هذه الليلة (يفصم كل امر حكيم ويبرم) ورووا فيها احاديث لااظنها الا موضوعة من نوع الاسرائيليات اذ جاء في بعض هذه الاحاديث ان الله جل شأنه ينزل الى السماء الدنيا فيسأل ملائكته هل من مذنب فاغفر له او طالب حاجة فاقضيها وانه جل شأنه يوزع بنفسه في هذه الليلة ارزاق الخلق ويرسم مقتضيات القضاء والقدر للعام الجديد وفي هذا مالا يخفى من التجسيد للذات المقدسة والانتقال بالحركة من مكان الى مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . .

كما سرفت الرواية الاسطورية عن الشيعة الباطنية هي الأخرى عن (ليلة الافاضة) نفس المدلول القديم في الموروث العراقي اذ يجري في هذه المناسبة بعد قراءة اساطير بدء الخليقة العلوية والسفلية وصراع الآلهة وحكاية انتصار اله الملك اله المدينة العاصمة على كل الآلهات تجري مأسمي بالشعائر التهتكية مثل الزواج الجمعي الذي جاء في الملاحم السومرية الاكادية باسم (هي ارسو جمؤا)، باعتبار الهمزة عينا وما تزال هذه الشعيرة قائمة في بعض القبائل الاسيوية الماليزية ومنها ما حدث قبل اشهر في الولايات المتحدة الامريكية حيث قام رئيس الجالية بتزويج المئات في احتفال جماهيري تناقلته وكالات الانباء والصحف العالمية . .

اما الاغريق فكانوا يطلقون على مثل هذه المزارات الجماعية السنوية اسم (اكتيا) وهي من شعائر العصر الثيوليتيكي الحديث،العصر الحجري الزراعي المستوحاة من الدورة الكونية للحبوب . .

كما كانت تختم عادة بزواج الملك من احدى الآلهات وعادة ما تكون عشتار انانا آلهة الحب والحرب اذ تنذر احدى الراهبات نفسها لتمثل عشتار ويمثل الملك في نفس الوقت (تموز) الراعي ويقضي معها ليلة ممتعة في الغرفة المقدسة وبعدها يخرج الى قصر الملك ليتلقى التهاني والهدايا من رؤساء الاسر وضباط الجيش ويعلن اسم ولي عهده من بعده ونادرا ما كان يؤخذ رأي الجماهير فيه او موافقتها عليه اذ ماكان لها ان تبدي اعتراضا بعد موافقة اصحاب الشأن . .

وهكذا اصبح الملك ممثل الآلهة وله تمثال بجانب تماثيلها وتقدم له القرابين والهدايا ثم صار يشاطرها املاكها في الاراضي الزراعية المعروفة في اليمن القديم باراضي بعل - او - أأذنم - وكان الناس في عصر مملكة اوسان يقدمون للملوك تماثيل ذهبية قربانا لهم وتعني التعبير الدائم عن تعبد وخضوع واقرار مقدمها لقداسة المقدم له . .

وفي بعض المدن تقام في هذه المناسبة مناحة جماعية لمصير تموز وعشتار وتنتهي بعودتهما الى حياة الحب والاخصاب بالدور التمثيلي الذي يمثله الملك وكبيرة راهبات المعبد . .

بل ان كثيرا من النساء المتبتلات او الفاشلات ينذرن انفسهن للمعبد لتمثيل هذا الدور وفي معبد (بعلبك) تملأ الموسمات الفاضلات ردهاته لنفس الغرض وكانت نساء بني اسرائيل يقمن مناحاتهن في الثامن عشر من تموز حزيران في كل عام في ابواب الكنائس والمدن وقد لامهن النبي حزقيال على ذلك كما تروي التورات وما عشر عاشورا عنا ببعيد . .

وبعد هذا يشن الملك حروبه التوسعية باسم الاله (الحرب المقدسة) ويعزو انتصاراته الى قوة الهه الخاص وسلاحه الشخصي الذي وهبه للملك ليلة المساره (الاكيتو) وعلى هذا الاساس فقد بعث (آشور بانيبال) برسالة خاصة الى الهه الخاص بواسطة كبير كهنة المعبد الرئيسي لآشور يخبره بانتصاره على(الارمن) وسحقه لجيوشهم وتدميره لقراهم ومعابدهم بفضل والده الاله آشور الذي ايده بنصره ومكنه من استخدام سلاحه في المعركة وعلى هذا الاساس وجدت عدة صور منحوتة لكثير من ملوك الشرق الادنى والاوسط وعلى رؤوسهم تشع الهالات الالهية التى ترمز الى العلم الالهي الذي يشارك الملوك في العصر القديم وائمة الشيعة في العصر الاسلامي الاله فيه والذي اطلق عليه بعض جارودية اليمن (العلم اللدني) تحقيقا وتفسيرا للحديث الذي يروونه عن النبي بطرقهم الخاصة (انا مدينة العلم وعلي بابها) . .

«وللبحث بقية»

عيسى عليه السلام

عبد الله ورسوله

بقلم: د/ محمد عبد الحليم مصطفى أبو السعد

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى . . وبعد :

فالحديث عن ميلاد عيسى عليه السلام وبعثته ، حديث طيب ذو شجون ، أحاول فيه إظهار بعض الجوانب العظيمة ، والملامح الكريمة من سيرته العطرة ، مستمدا ذلك من القرآن الكريم ، والنصوص المقدسة عند أهل الكتاب ، وآراء باحثيهم ، ورجال دينهم .

مريم ابنة عمران

كانت مريم ابنة عمران ، منذورة لخدمة بيت الله تعالى «الهيكل» ، وكان نذرها من قبل أمها «حنة بنت فاقوذ»(١) كما حدثنا بذلك القرآن الكريم ، في قوله تعالى : «وإذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»(٢) آل عمران ٣٤-٣٧.

وكانت مريم في كفالة زكريا ، وكان زوج خالتها ومن نسل هارون بن عمران عليه السلام الذي ينحدر من ذرية لاوى بن يعقوب عليه السلام .

وكان زكريا يسكن «يوطه» (٣) ، وهي «بطا» الحديثة الواقعة على بعد خمسة أميال ونصف جنوب غرب أورشليم (القدس)(٤) .

وتقول التقاليد إنه كان يعيش في قرية (عين كارم) المتصلة بأورشليم من الجنوب الغربي(٥) ، إذن فمريم كانت تعيش مع زكريا الذي كان من كهنة المعبد «هيكل اليهود» في أورشليم ، ثم اتخذت لنفسها مكانا للعبادة في الهيكل ، وكان على جبل إلى الشرق من مدينة القدس(٦) ، وربما كان هذا المراد من قول الله تعالى «واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا»(٧) .

وبعد أن صارت مريم أهلا للحمل والأمومة ، وعرفت مقاصد الشريعة وآدابها ؛ جاءها روح القدس متمثلا لها بشرا سويا ، حسن الهيئة ، سوي الخلقة ، فبشرها بكلمة من الله وآيته .

«وجعلنا ابن مريم وأمه آية»(٨) قال تعالى : «فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا(٩) قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ،

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو عليَّ هينٌ ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا»(١٠) مريم ١٧-٢١ .

فلما حملت ضاقت ذرعا ولم تدر ماتقول للناس ، فهي تعلم أن الناس لايصدقونها فيما تخبرهم به ، فاتخذت لنفسها مكانا بعيدا عن أعينهم ، إلا أنها صرحت بأمرها لخالتها - أليصابات -(١١) امرأة زكريا .

ويذكر إنجيل لوقا: أنه بعد أن بشر الملاك مريم بحملها وحمل خالتها «فقامت مريم في تلك الأيام ، وذهبت بسرعة الى جبال مدينة يهوذا (يعني القدس) ودخلت بيت زكريا ، وسلمت على «أليصابات» فلما سمعت «اليصابات» سلام مريم ، ارتكض الجنين في بطنها ، وامتلأت «اليصابات» من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم ، وقالت: مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك (١٢) .

ولما تمت أشهر الحمل العادية ، وكانت قد اتخذت مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ، قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا(١٣) . فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا(١٤) . وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا فإماترين من البشراحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا»(١٥) .

يقول ابن كثير: «اضطرها وألجأها الطلق إلى جذع نخلة في المكان الذى تنحت إليه ، وقد اختلفوا فيه فقال السدي: «كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس - وهذا مانميل إليه لاشارة الدلائل عليه .وفي رواية عن وهب . كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية يقال لها بيت لحم(١٦) . . وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ، ولايشك فيه النصارى أنه بيت لحم»(١٧) والحقيقة غير ذلك .

يقول ول ديورانت: «يظن النقاد أن متى ولوقا قد اختارا بيت لحم ليقويا بذلك الادعاء بأن يسوع هو المسيح - أي المسيا المنتظر - نبي آخر الزمان ، وأنه من نسل داود ، كما تتطلب ذلك النبوءة اليهودية ، وذلك لأن أسرة داود كانت تقيم في بيت لحم . ثم يقول : «ولكنا لانجد مايؤيد هذا الظن»(١٨) وفي رأينا ان ظن النقاد حقيقة ، لأن اليهود يعتقدون أن نبي اخر الزمان المماثل لموسى عليه السلام يكون من نسل داود عليه السلام ، وأسرة داود كانت تقطن بيت لحم ، فأراد كتاب الأناجيل: أن يوهموا اليهود أن هذا هو الذي ينتظرونه ، وأنه من نسل داود ، وولد في بيت لحم ، ولذلك يرجع كاتبا انجيلي متى ولوقا: نسب المسيح عيسى بن مريم الى داود عليهما السلام. الذي ينحدر من ذرية يهوذا بن يعقوب عليه السلام وينسبون عيسى الى يوسف النجار .

والحقيقة - كما أنبأنا إنجيل لوقا في إصحاح آخر(١٩) - أن عيسى بن مريم عليه السلام ينحدر من نسل هارون بن عمران ، الذي يتصل نسبه بلاوي بن يعقوب . إذن فهو ليس من نسل داود عليه السلام .

والحقيقة الثانية: أننا إذا قلنا أن عيسى ولد في بيت لحم كان ذلك مخالفا لما ورد في القرآن الكريم .

وليس بمعقول أن التى يأتيها المخاض تستطيع أن تسير المسافة بين بيت المقدس وبيت لحم وهي عشرة كيلو مترات كما أن بيت لحم تقع الى الجنوب من بيت المقدس(٢٠) ، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم «واذكر في الكتاب مريم إذانتبذت من أهلها مكانا شرقيا»(٢١) .

وهم يقولون إنها جاءت إلى بيت لحم من «ناصرة الجليل»(٢٢) مع خطيبها يوسف النجار وهذا مرفوض من الشريعة الموسوية والشريعة الإسلامية ، وأحاديث الاسراء تبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينزل في بيت لحم ولم يصل بها ليلة إسرائه ، إلا حديث واحد ، قال عنه ابن كثير إنه حديث فيه غرابة ونكارة جدا(٢٣) .

نطقه في المهد

فلما وضعته وانطلقت به إلى قومها أنكروا عليها مارأوا ، واتهموها بالبغي والفجور ، ومما يؤسف له أن بعض النصارى يثبتون هذا الاتهام في كتبهم الى الآن . جاء في كتاب الروح القدس . أو قوة من الأعالي : «ولد (ربنا) - أي المسيح - من الروح القدس ، ويعزوا الملاك في بشارته لمريم حبل المسيح وتجسده الى الروح الالهي مباشرة ، «الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله»(٢٤) .

ويعلق على هذا فيقول: يتعذر على العقل البشري إدراك هذا السر - الحبل بالمسيح من أنثى وليدة جنس خاطئ - لانستطيع أن نؤمن بتنزيه مريم من الدنس ، لكننا نؤمن بتنزيه ابن الله وولادته بلا خطيئة ، وبالحقيقة كون مريم امرأة غير كاملة . وخاطئة لما

يضاعف هذا السر ، ويجعله خير علاقة لاختبارنا»(٢٥)
وليس لنا من تعليق ينزه مريم ويكرمها عن هذا البهتان العظيم سوى ماجاء في القرآن الكريم : « يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين»(٢٦) .

« . . . ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة»(٢٧) ، ولما أنكر عليها قومها مارأوا أشارت إليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، فأنطقه الله تعالى تبرئة لأمه واثباتا لعبوديته لله عز وجل وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد .

«قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام عليّ يوم ولدت يوم أموت ويوم أبعث حيا»(٢٨) .

روى ابن عباس رضي الله عنهما: «أن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا حتى بلغ مايبلغ الغلمان ، ثم انطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان ، فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول ، وكانوا يسمونه ابن البغية ، وفي هذا يقول الله تعالى : «وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما»(٢٩) .

وكلام عيسى عليه السلام في المهد لايعتبر معجزة بقدر ماهو آية على تنزيه أمه وتبرئتها مما اتهموها به من البغي والفجور ، وذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة ، يجريه الله على يد من يقول بالرسالة ، متحديا به ليثبت صدق دعوته ورسالته ، وكلامه في المهد حدث ولم تكن قد جاءته الرسالة بعد ولهذا لايجوز أن تعد هذه معجزة له بقدر ماهي تبرئة لأمه .

يقول الأستاذ الشيخ/ محمد أبو زهرة: «ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ، ومن لم يعرف ، لأنها فاجأتهم بأمر غريب ، وهي المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل ، فكانت المفاجأة داعية للاتهام ، لأنه عند المفجاة تذهب الرؤية ولايستطيع المرء ان يقابل بين الماضي والحاضر وخصوصا ان دليل الاتهام امر قائم وقرينته امر عادي لامجال للريب فيه ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام ؛ لينقض الاتهام من أصله ، ويأتي على قواعده ، ويوفاجأهم بالبراءة وبرهانها الذي لايأتيه الريب ليعيد الى ذاكرتهم ماعرفوه من نسكها وعبادتها ، لذلك نطق الغلام وهو قريب عهد بالولادة»(٣٠)

ولم تذكر الأناجيل شيئا عن اليوم الذي ولد فيه بالتحديد ، ولا عن نطقه وهو في المهد أبدا .

يقول شارل جنيبر «وإننا لنلحظ في ثنايا هذه السيرة الانجيلية نقصا كثيرا ، وفجوات خطيرة ، نلحظها حتى في إنجيل مرقس الذي بلغ الحرص به أن تحاشا الحديث عن مولد عيسى وطفولته»(٣١)

ولقد ذكر إنجيل متى وإنجيل لوقا(٣٢) بعض الجوانب عن طفولة عيسى وصباه ، وكذلك إنجيل برنابا(٣٣)

اسمه ولقبه

يعرفه المسلمون باسم عيسى ، وقد ورد هذا الاسلام في القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة منها قوله تعالى : «وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين»(٣٣) .

وقدتحدث بعض كتاب النصارى بهذاالاسم فذكروأنه معرب من أصل يوناني وقالوا: إن كلمة عيسى أصلها في اليونانية «إيسا» والتى تطلق في حالة الرفع «إيسوس» .

ويعرفه النصارى باسم «يسوع» يقول مرقس في أول انجيله «بدء انجيل يسوع المسيح» ويزعم النصارى أن كلمة «يسوع» تعنى المخلص ، وحجتهم في ذلك ماجاء في انجيل متى : «فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»(٣٤) و لم يذكر مرقس أنه مخلصا أبدا ، وهذا القول اقتبسه متى من سفر حبقوق من العهد القديم .

جاء فيه «خرجت لخلاص مسيحك»(٣٥) ولم يكن هذا النص بنبوءة لعيسى ، وإنما جاء في معرض صلوات لحبقوق فقد جاء أول هذا الاصحاح (الثالث) «صلوات لحبقوق النبي على الشجوية» .

ومن هنا ذكر النصارى: أن كلمة يسوع تعني المخلص ، والحقيقة أنها لاتعني ذلك ، فكلمة يسوع هي الصيغة العربية للاسم العبري يشوع(٣٦) وقد تسمى بهذا الاسم من قبل يشوع بن نون تلميذ موسى عليه السلام وخليفته في الزعامة على بني اسرائيل(٣٧) ولم يعرف عنه أنه مخلصا وكذلك سمي به «يشوع بن يوصاداق» رئيس الكهنة الذي اشرف على بناء الهيكل بعد العودة الى أورشليم من سبي بابل(٣٨) ولم يعرف عنه أنه مخلصا .

وحقيقة الأمر أنهم كانوا يسمون أبناءهم بأسماء انبيائهم والصالحين منهم كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . .

فقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة

قال : لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقولون «ياأخت هارون» وموسى قبل عيسى بكذا وكذا.

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألته عن ذلك فقال : «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»(٣٩)

وعلى هذا تسمت مريم ابنة عمران وابنها تبركا بمن سبقها من الأنبياء والصالحين

يقول اميل لود فينغ : «ولانلم بعلم اللاهوت الذي وضع بعد يسوع بطويل زمن إلا قليلا ، فلا نعده في هذا الكتاب إلا إنسانا لامخلصا (٤٠)

وخلاصة الأمر أنه إذا كان اسم (عيسى) يعرب عن الكلمة اليونانية «إيسا» والتي تنطق في حالة الرفع «إيسوس» .

وإذا كان اسم «يسوع» هو الصيغة العربية للاسم العبري «يشوع» أو «إيشوع»(٤١) .

فإننا نخلص الى أن «عيسى» في اللغة العربية و «إيسا» و«إيسوس» في اللغة اليونانية و«يشوع» في العبرية ، كلها أسماء متقاربة المخارج ؛ أصلها واحد ؛ وعلمها على إنسان واحد ؛ هو المسيح عيسى بن مريم ، عبدالله ورسوله .

وأما كلمة «المسيح» فهي لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق ، وأصله «مشيحا» بالعبرانية . ومعناه المبارك . قال تعالى : «وجعلني مباركا أينما كنت»(٤٢) .

وكلمتي «المسيح» و (المسيا) مترادفتان فهما بمعنى الممسوح(٤٣) أو بالأحرى « الممسوح بالزيت المقدس»(٤٤) فقد كان الأنبياء والكهنة والملوك يمسحون بهذا الزيت عند ائتمانهم في وظائفهم ، وكل واحد من هؤلاء كان يحمل اسم «المسيح كلقب»(٤٥) .

وقد بشر الله مريم بابنها موصوفا بهذه الصفات على حسب ماسيكون عليه مستقبلا . وما سيكون معروفا به بين الناس ، فقد ذكرت البشارة اللقب والاسم والصفة واستطردت البشارة بتوضيح ماسيكون عليه من الوجاهة في الدنيا ، لأنه سيكون نبيا ورسولا متقدما على الناس ، وبما سيكون عليه من الوجاهة في الآخرة من علو الدرجة والمكانة . . قال تعالى : «وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين»(٤٦) .

يقول الامام الزمخشري : «فإن قلت : لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة أشياء؟ الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن لقب وصفة . قلت : الاسم للمسمى علامة يعرف بها وتميزه من غيره . فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموعة هذه الثلاثة»(٤٧)

هذا ماعرف به المسيح عيسى بن مريم من الإسم واللقب والصفة ، ولايعني اللقب الذي اطلق على عيسى عليه السلام «المسيا المنتظر» المماثل لموسى عليه السلام والذى بشر به ، أي رسول آخر الزمان .

ذهابه الى مصر

ويذكر التاريخ عند المسلمين والنصارى ، أن أمه ذهبت به الى مصر في صحبة يوسف النجار - خطيب مريم -(٤٨) .

يقول متى : «وبعدما انصرفوا - أي مجوس الشرق - إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف من حلم قائلا : قم وخذ الصبي وأمه واهرب الى مصر ، وكن هناك حتى اقول لك ، لان هيرودوس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه ، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر ، وكان هناك الى وفاة هيرودس»(٤٩) .

وقد استجاب يوسف النجار لهذا النداء واتجه بهما الى مصر (٥٠) حتى وضعوا رحالهم بجهة بلدة نسقام(٥١) وأقاموا في هذا المقام مدة إقامتهم في صعيد مصر(٥٢) .

ويروى أنهم نزلوا (بعين شمس)(٥٣) عند عودتهم حيث كان بها جالية من اليهود ، وكان يشتغل يوسف بالنجارة مدة اقامته في مصر(٥٤) ، ويقال : انه مما يؤيد ذهاب عيسى وأمه الى مصر ، قول الله تعالى : «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين»(٥٥) قال اسحاق بن بشر عن جوسير ، ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : «كان عيسى يرى من العجائب في صباه إلهاما من الله ، ففشا ذلك في اليهود ، وترعرع عيسى فهمت به بنو اسرائيل ، فخافت امه عليه ، فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به الى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين»(٥٦) ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : وليس الربا إلا بمصر ، والماء حين يسيل يكون الربا عليها القرى ، ولولا الربا لغرقت القرى»(٥٧) ويقول الامام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي : «أما عيسى فإن أمه هربت به من «أجب» الملك ؛ الى مصر ، وعاد به يوسف النجار مع أمه»(٥٨) .

«وفي ٢٤ يشنس من كل عام. ويوافق اليوم الأول من يونيه - تحتفل الكنيسة المصرية الأرثوذكسية بذكرى مجيئ المسيح عيسى بن مريم الى مصر مع أمه ويوسف النجار ....»(٥٩) ولم يعلم على وجه التحقيق المدة التى قضتها الأسرة في مصر ، يقول برنابا في انجيله عن عودة المسيح الى ارض فلسطين: «وكان الطفل بالغا سبع سنين من العمر (٦٠) ويقول متى: «فلما هيرودس» إذا ملاك الرب قد ظهرت في حلم ليوسف في مصر قائلا: قم وخذ الصبي وأمه واذهب الى ارض اسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي ، فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء الى ارض اسرائيل» (٦١)

ويقدرها البعض بستة أشهر الى سنة ، والبعض بستين ، ويذكر آخرون أنها أقامت به حتى بلغ عمره اثنتي عشرة سنة .

يروى ابن كثير أنه بقي في مصر حتى ظهرت له كرامات في صباه ذكر منها «أن الدهقان الذى نزلوا عنده افتقدمالا من داره ، وكانت داره لايسكنها إلا الفقراء والضعفاء والمحاويج ، فلم يدر من أخذ وعز ذلك على مريم ، وشق على الناس ، وعلى رب المنزل ، وأعياهم أمرها فلما رأى عيسى ذلك ، عمد الى رجل أعمى ، وآخر مقعد ، فقال للأعمى ، احمل هذا المقعد ، وانهض به ، فقال إني لاأستطيع ذلك ، فقال بلى: كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة ، من الدار ، فلما قال ذلك صدقاه وأتيا بالمال ، فعظم عيسى في أعين الناس وهو صغير جدا(٦٢) .

عيسى عليه السلام قبل بعثته ..

لم تذكر الأناجيل شيئا هاما عن حياة عيسى عليه السلام ، وبخاصة في شبابه وقبل بعثته سوى ماجاء في انجيلي لوقا وبرنابا من أنه كان يجالس العلماء والأحبار في الهيكل(٦٣) وكانوا يتعجبون من فهمه وذكائه ، ويقول: ول ديورانت : ولايذكر أصحاب الأناجيل إلا القليل الذى لايغني عن شباب المسيح(٦٤) ويبدو أنه عليه السلام قد نذر نفسه للعلم والعبادة والارشاد والتوجيه ، تمشيا مع سنة النذر في الشريعة الموسوية ، جاء في العهد القديم: «إذا انفرد رجل أو امرأة لينذر نذر النذير ليتنذر للرب ، فمن الخمر والمسكر يفترز : ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ولا يشرب من نقيع العنب ، ولا يأكل عنبا رطبا ولا يابسا . كل ايام نذره ، لايأكل من كل مايعمل من جفنة الخمر من العجم من القشر ، كل أيام نذر افترازه لايمر موس على رأسه إلى كمال الأيام التى انتذر فيها للرب يكون مقدسا ويربي خصل شعر رأسه»(٦٥) .

وعلى هذه السنة كانت مريم منذورة لله عز وجل ، ويحيى عليه السلام .

وقد أشار إنجيل لوقا إلى نذره ، إذ يقول عنه «لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لايشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس»(٦٦) ووصفه القرآن الكريم بقوله تعالى: «وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين»(٦٧) ، ويعني هذا أنه كان سيدا في قومه بالعلم والفضل والشرف ، وكان لايقرب النساء حصرا لنفسه ، وزهدا فيها ، مانعا لها من الشهوات كفاية له من عند الله عز وجل(٦٨) ، وكذلك كان عيسى عليه السلام ، زاهدا في النساء بمجاهدة نفسه ، وهذا يدل على أنه كان من النذيرين .

يقول شارل جنيبير عن عيسى الناصر: «ولاتعني الناصري في غالب الظن (رجل الناصرة) ولكن (الناظر) أي قديس الله (٦٩) ويقول الأستاذ العقاد: «بعض المؤرخين يحسب السيد المسيح من النذيرين(٧٠) وهذا الحسبان حقيقة بمجرد النظر في صورته الفتوغرافية التى أخذت عن الصورة الوصفية له (٧١) عند النصارى ، فنجد شعره منسدلا على كتفيه «لايمر موس على رأسه .... ويربى خصل شعر رأسه» .

ويقول العقاد أيضا (ويلتبس الأمر بين (النذير) و(الناصري) وهما في اللفظ العبري متقاربان)(٧٢) ومما يؤيد هذا ماذكره متى هنري من أن كلمة (ناصري) إما أن تكون بمعنى «الغصن» أو بمعنى «النذير»(٧٣) ، وإذا انتهينا الى أن عيسى عليه السلام كان على شريعة قومه وسنتهم في التبتل والنذر ، إنهدم مازعمه الأوروبيون والباحثون منهم خاصة ، من أنه «ذهب الى الهند وتلقى تعاليم بوذا وآداب البوذية ، ولما عاد الى وطنه وأخذ في التعليم والوعظ ، كانت تعاليمه محاذية لتعليم بوذا في الحث على تكميل النفس وتهذيبها ، غير أنهم يقولون أن مقارنة تعليم المسيح بتعليم بوذا ؛ تبين أن تعليم بوذا كان سلبيا بالحث على تجريد النفس من الشرور ، وأما تعليم المسيح فكان ايجابيا يحث النفس على البذل وفعل الخير للأعداء والادوار (٧٤) .

حكمته وثقافته :

حدثنا القرآن الكريم بما يوضح هذا ويبينه ، من تفضل الله على عيسى بالعلم والحكمة قال تعالى: ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل»(٧٥) .

ويقول لوقا: «إنه في سن الثانية عشر كان في

الهيكل جالسا وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه واجوبته»(٧٦).

وكان يعرف اللغة العبرانية لانها لغة الكتاب المقدس عندهم ، والتي تدرس بها الكتب والاسفار ويرى بعض المؤرخين انه كان يعرف اليونانية والآرامية واللاتينية . . يقول الاستاذ العقاد : «ان الحديث الذي دار بينه وبين بيلاطس كان باليونانية ، لأنها كانت شائعة في عصره بين ابناء الجليل » (٧٧) ويقول الدكتور (فردريك فارار) كانت اللغة الارامية هي التي يتحدث بها السيد عادة ومع ان اللغة العبرانية كانت من أيامه لغة قديمة لايعرفها سوى المتعلمين ولا تحفظ الا بجهد غير ان يسوع كان يتكلم بها (٧٨) ولا ريب انه كان يعرف الكثير من آداب تلك اللغات وفلسفاتها . .

دعوته عليه السلام

كانت دعوة عيسى عليه السلام تتلخص في جوهرها الى توحيد الله عز وجل والتمسك بشريعته والبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم . . قال تعالى :-

«واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٧٩) . .

ويقول مرقس : «جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت فتوبوا وآمنوا بالانجيل . . (٨٠)

اذن فدعوته تتمثل في ردهم الى شريعة الله والرجوع الى الله وتبشيرهم باقتراب بعثه محمد صلى الله عليه وسلم . .

وكانت دعوته امتدادا لدعوة يحيى عليه السلام يدل على ذلك ما جاء في اناجيلهم وآراء باحثيهم . .

ذكر انجيل متى ان يحيى عليه السلام جهر بدعوته لليهود قائلا :-

(توبوا لانه قد اقترب ملكوت السماوات) (٨١) وكذلك كانت دعوة عيسى عليه السلام ، ولم يجهر بها الا بعد ان قتل (٨٢) يحيى (يوحنا) عليه السلام كما يقول مرقس : « وبعدما اسلم يوحنا جاءه يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله : » (٨٣) . .

وملكوت السماوات الذي عبر به متى هو ملكوت الله عند مرقس ويعني البشارة بانتشار حكم الله في ارضه ، وكانا يعمدان كل من قبل دعوتهما ، وقد اعتمد عيسى من يوحنا في نهر الاردن . .

يقول مرقس :.« وفي تلك الايام جاء يسوع :- واعتمد من يوحنا في نهر الاردن » (٨٤) . .

يقول الدكتور . ف . ب . ماير : « ولد الاثنان في وقت واحد ، ونشئا منذ ولادتهما في ظروف وطنية واحدة ، وبين نفس التقاليد الدينية والآمال الواحدة . . نجد حماسة في بداية الامر نحو شخصيتهما عندما اعلنا ملكوت الله . . وعندما اشهر هيرودس في سجن «ماكيرا» وقطع رأس يوحنا انقطعت الرابطة التي كانت تربطه بتلاميذه الذين اندمجوا ضمن اتباع المسيح » (٨٥) . .

ويقول متى هنرى « ولاحظ هنا عن «هيردوس» كيف فشل فيما قصده من قطع رأس يوحنا ، لقد ظن بأنه اتيح له ابعاد هذه الشخصية المقلقة من الطريق . . استطاع ان يستمر في خطاياه بلا ازعاج ولا رقيب ولكنه لم يكد يفعل هذا حتى سمع ان يسوع وتلاميذه يكرزون بنفس التعاليم الصافية التي نادى بها يوحنا » (٨٦) وهذا يدل على ان دعوتهما واحدة تدعو الى غاية واحدة . .

متى بدأت ؟ وكيف ؟

بدأت دعوة عيسى عليه السلام بعد ان قتل يحيى عليه السلام ، يقول مرقس : (وبعد ما اسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (٨٧) . .

وكان قد عمد (٨٨) من يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) في نهر الاردن يقول مرقس : « وفي تلك الايام جاء يسوع . . واعتمد من يوحنا في الاردن ، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السماوات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلا عليه . . وللوقت اخرجه الروح الى البرية) (٨٩) . .

الرياضة الروحية ونزول الانجيل :

وبهذا بدأ فترة رياضة روحية قضاها تقربا الى الله عز وجل ، وامعانا في التوصل الى الحقائق الالهية للثبات واليقين . .

وهذا امر لاجدال فيه ولا ريب ، اذ هو فطرة اصحاب الرسالات الكبرى التي تربطهم بالله عز وجل روابط روحية ونفسية ، وتؤيدهم قوة ربانية خارقة منذ نشأتهم لايدرك كنهها الانسان العادي ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : « اذ أيدتك بروح القدس » (٩٠)

وفي هذا يقول مرقس : « وصارت الملائكة تخدمه » (٩١)

وقد ذكر برنابا هذه الحادثة في انجيله - باسلوب يخالف اسلوب الاناجيل الاخرى ، في آداب التحدث عن انبياء الله ورسله وبما يوضح استلام الانجيل من جبريل (٩٢) عليه السلام ، يقول برنابا . .

« اخبرني بذلك يسوع نفسه انه صعد الى جبل الزيتون مع امه ليجني زيتونا ، وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات « يارب برحمة . . . » واذا بنور باهر قد احاط به وجوق لايحصى من الملائكة كانوا يقولون : (ليتمجد الله) فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقة فنزل الى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله ، وقال الله ، وما يريد الله ، حتى ان كل شيء كان عريانا ومكشوفا له ، ولقد قال لي : صدق يا برنابا . بأني اعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما اقوله انما قد جاء في ذلك الكتاب ، ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع ، وعلم انه نبي مرسل الى بيت اسرائيل كاشف مريم امه بكل ذلك قائلا لها :

انه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله ، وانه لايقدر فيما بعد ان يقيم معها ويخدمها ، فلما سمعت مريم هذا ، اجابت :

« يا بني اني قد نبئت بكل ذلك قبل ان تولد ، فليتمجد اسم الله القدوس ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن امه ليمارس وظيفته النبوية»(٩٣) . .

ويذكر انجيل لوقا : ان عيسى عليه السلام بدأ دعوته في نحو الثلاثين من عمره ، جاء فيه : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو الثلاثين سنة » (٩٤) . .

ولكن الحقائق العلمية والتاريخية تبين غير ذلك ، فهناك من الادلة الاسلامية ، والنصرانية ما يبين ان عيسى عليه السلام بدأ دعوته بعد الثلاثين ان لم يكن ناهز الاربعين . نذكر من هذه الادلة ما يلي :-

١ - ذكر القرآن الكريم ان عيسى كان رسولا نبيا حال كهولته قال تعالى : «اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا» (٩٥) .

يقول ابن كثير : اي في حالة كهولته حين يوحي الله اليه . (٩٦)

وجاء في تفسير القرطبي عن النحاس : الكهل عند اهل اللغة من ناهز الاربعين وفي لسان العرب عن الكهل من اربع وثلاثين الى احدى وخمسين» (٩٧) . . وقال الاخفش : يقال له حدث الى ست عشرة سنة ، ثم شاب الى اثنتين وثلاثين ثم يكتهل في ثلاث وثلاثين . . (٩٨) . .

اذن فالكهل من ناهز الاربعين لامن كان نحو الثلاثين .

٢ - جاء في انجيل يوحنا عن عيسى عليه السلام . . فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد» (٩٨) . . يقول متى هنرى في تفسير هذا العدد : ان اليهود قالوا هذه العبارة استهزاء بالمسيح ، وليستهينوا بحداثته ويعيروه بها » (٩٩) كان يمكنهم ان يقولوا له ليس لك اربعون سنة بعد ، لان عمره كان اثنتين وثلاثين او ثلاثا وثلاثين» (١٠٠)

وهذا يوجب تساؤلا : ماالذي منعهم من ان يقولوا له ليس لك اربعون سنة بعد»(١٠١) . . ان الحقيقة هي التي منعتهم من ذلك فربما انه كان قد تجاوز الاربعين ، فكان الحق ماقالوه . ويؤيد هذا القول متى هنرى نفسه ، اذ يقول في نفس الحديث . . « يقول القديس ايريناوس» . .- احد الاباء الاولين - ان هذه العبارة (ليس لك خمسون سنة بعد) تؤيد التقليد الذي استلمه من بعض الذين عاشروا يوحنا الانجيلي ان (مخلصنا) المسيح عيسى عاش خمسين سنة» (١٠٢) . .

٣ - من المعروف عند اهل التوحيد ان الانبياء يبعثون عند الاربعين من العمر والنصارى يعرفون ذلك . .

ودليلنا على انهم يعرفون ذلك ، محاولة التشكيك في ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، وتأخيره عشر سنوات حتى تكون بعثته صلى الله عليه وسلم على رأس الثلاثين ، واذا كان الامر كذلك فهو ليس بنبي .

يقول كارل بركلمان : «لسنا نعلم علم اليقين السنة التي ولد فيها النبي ، والمشهور ان ولادته كانت حوالي سنة ٥٧٠م ولكن الذي لاشك فيه انها متأخرة عن ذلك بعض الشيء» (١٠٣) . .

يقول مترجم كتابه - في الهامش - انه يعتمد في هذا على كتاب الاب هنرى لامنس اليسوعي ، ويعلق المترجم على هذا فيقول : «كانت ولادة محمد صلى الله عليه وسلم عام ٥٧٠-٥٧١ للميلاد على وجه التقريب ، ولكن لم تكن بعد ذلك بزمن طويل ، والاب لامنس اليسوعي قد حاول ان يؤخر ذلك عشر سنوات حتى ينقض القول الشرعي الذي يقول : ان محمداً بعث على رأس الاربعين من عمره ، ويخرج الى القول : انه مادام الانبياء يبعثون على رأس الاربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين ، فمحمد ليس نبيا ، و(لامنس) غير ثقة في البحوث الاسلامية ، لان غايته الدس لا البحث عن الحقيقة ،ويلام بركلمان على الاخذ برأي (لامنس) فلا منس معروف في اوروبة بهذه النزعة» (١٠٤) .

٤ - يقول الاستاذ العقاد : اما القول الراجح في تقدير

المؤرخين الدينيين وغير الدينيين ، فهو ان ميلاد السيد المسيح عليه السلام متقدم على السنة الاولى بضع سنوات ، وانه على اصح التقديرات لم يولد في السنة الاولى للميلاد ، ففي انجيل متى انه عليه السلام قد ولد قبل موت (هيرود) الكبير . . وقد مات هيرود قبل السنة الاولى للميلاد بأربع سنوات . .

وجاء في انجيل لوقا ان السيد المسيح قام بالدعوة في السنة الخامسة عشرة من حكم القيصر «طيريوس» وهو يومئذ يناهز الثلاثين (١٠٥) . .

وقد حكم «طيريوس» الدولة الرومانية بالاشتراك مع القيصر «اوغسطس» سنة ٧٦٥ من تأسيس مدينة رومة ومعنى هذا ان السيد المسيح قد بلغ الثلاثين حوالي سنة ٧٧٩ رومانية وانه ولد سنة ٧٤٩ رومانية اي قبل السنة الاولى للميلاد بأربع سنوات . .

ثم يتحدث عن الاحصاء الذي جرى في عهد (ساتور تينس) حاكم سورية ، فيقول : ويغلب على تقدير المؤرخين الثقات : ان الاحصاء المشار اليه ، هو الاحصاء الذي ذكره (فرتليان) وقال : انه جرى في عهد (ساتورتينس) والي سورية الى السنة السابعة قبل الميلاد فاذا كان هذا هو الاحصاء المقصود ، فالسيد المسيح كان قد بلغ السابعة في السنة الاولى للميلاد» (١٠٦) . .

٥ ـ ويقول ول ديورانت في هذا : «ويذكر (ترتليان) احصاء لبلاد اليهود قام به (سترنينس) حاكم سورية في عام ٨-٧ ق.م. فاذا كان هذا هو الاحصاء الذي يشير اليه لوقا (١٠٧) فان ميلاد المسيح يجب ان يؤرخ قبل عام ٦ ق.م» (١٠٨) . .

فمن هذه الادلة الواضحة والحجج الساطعة نستطيع ان نقول بأن عيسى عليه السلام بعث على رأس الاربعين وليس نحو الثلاثين كما يذكر انجيل لوقا . .

واذا عنّ لانسان ان يقول : ليس بلازم ان تكون بعثة الانبياء والرسل على رأس الاربعين ، بل تكون في اي وقت من العمر ، لان الله عز وجل يقول : في حق يوسف عليه السلام : «ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين» (١٠٩) .

ويقول في حق يحيى عليه السلام :
(وآتيناه الحكم صبيا) (١١٠)

ونجيب على ذلك بما نلمسه من اقوال العلماء والمفسرين للقرآن الكريم ، وما اثر في ذلك عن السلف الصالح ، يقول ابن كثير : في الاية الاولى «ولما بلغ . . اشده» اي استكمل عقله وتم خلقه (آتيناه حكما وعلما) يعني النبوة ، حباه الله بها بين اولئك القوم» . .

وقد اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها اشده ، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ثلاث وثلاثون سنة ، وعن ابن عباس بضع وثلاثون ، وقال الحسن : اربعون سنة (١١١) . .

ويقول الزمخشري : قيل في الاشد ثماني عشرة سنة ، وعشرون ، وثلاث وثلاثون واربعون ، وقيل اقصاه اثنتان وستون . (حكما) حكمة بين الناس وفقها» (١١٢)

فنرى الامام ابن كثير فسر «حكما وعلما» بالنبوة ، اوضح ما اثر عن الحسن وابن عباس وغيرهما في معنى (اشده) . .

والامام الزمخشري : فسر (حكما وعلما) بالحكمة والفقه بين الناس ، وبين كذلك اقل ما قيل في الاشد واكثره ، ولاريب ان الحكمة والفقه يؤتيهما الله لمن يشاء ، وفي اي وقت يشاء . .

واما في يحيى عليه السلام ، فيقول ابن كثير : (وآتيناه الحكم صبيا) اي الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاجتهاد فيه ، وهو صغير حدث . .

قال عبدالله بن المبارك ، قال : معمر : قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، فقال : ماللعب خلقنا ، قال : فلهذا انزل الله تعالى : (وآتيناه الحكم صبيا) (١١٣)

وقال الزمخشري في هذه الآية : (الحكم) الحكمة . . وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين ، عن ابن عباس .

وقيل دعاء الصبيان له للعب ، وهو صبي ، فقال : ماللعب خلقنا . عن الضحاك . وعن معمر : العقل وقيل «النبوة» (١١٤)

وبهذا نرى انه وضح الجواب وفهم المراد في (اشده) و(حكما وعلما) و(آتيناه الحكم صبيا) . .

معجزاته عليه السلام :-

ايدالله تعالى عيسى عليه السلام بمعجزات ظاهرة ، وآيات باهرة ، تؤيد صدق دعوته ، وصحة رسالته ، وتقوي حجته ، حتى يعلم اليهود انه رسول الله اليهم وقد صرح القرآن الكريم بهذه المعجزات في قوله تعالى : «اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني ، وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني ، واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم

بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين» (١١٥)
وقال تعالى :
«وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين» وقد ذكرت الاناجيل مثل ذلك من المعجزات محل خلاف فيما بينها (١١٦)

وكانت المعجزات على صورتها التي وقعت بها ملائمة لحاجة العصر، ومتطلبات المجتمع من توجيه نحو الافضل ، وما يجب ان يكون عليه حال اليهود في حياتهم من العناية والرعاية بالناحية النفسية ، والحياة الروحية، والتجرد عن المادية والحسية التي تهالكوا فيها . . فالايمان بالله عز وجل وبما لديه من قدرة واستطاعة في الايجاد من العدم والبعث من الموت وهذا الايمان انما تتمثل فيه الحياة الروحية والسعادة الابدية الدائمة . .

يقول الشيخ محمد ابو زهرة : «ان معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على هذا النحو لمناسبة ذلك النوع لاهل زمانه، لا لأنهم اطباء فناسبهم ان تكون المعجزة ما يتصل بالشفاء والدواء، بل لان اهل زمانه كله قد سادهم انكار الروح في اقوال بعضهم، وافعال جميعهم فجاء عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها امر خارق للعادة ، ومصدق لما يأتي به الرسول وهو في الوقت ذاته اعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها ، فهذا الطين مصور على شكل طير ثم ينفخ فيه فيكون حيا، ماذاك الا لان شيئا غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد اكله البلى واخذت اشلاؤه في التحلل؟ واوشكت ان تصير رميما او صارت يناديه المسيح عليه السلام فاذا هو حي يجيب نداء من ناداه ،وماذاك الا لان روحا غير الجسم الذي غيره البلى ، حلت فيه بذاك النداء، ففاضت عليه بالحياة ، وهكذا فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته وتناسب اخص رسالته ،وهو الدعوة الى تربية الروح، والايمان بالبعث والنشور، وان هناك حياة اخرى يجازي فيها المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، ان خيرا فخير، وان شرا فشر، وهل ترى ان معجزة احياء الموتى تسمح لمنكرالاخرة (١١٧) بالاستمرار في انكاره؟ او تسمح لجاحد البعث والنشور ان يستمر في جحوده . . فكان احياء الموتى صوتا قويا يحملهم على الايمان حملا، ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون» (١١٨)

كما ان معجزات عيسى عليه السلام تتفق في حقيقتها مع فطرة مولده، اذ تهدف الى احياء الناحية الروحية عند اليهود التي افتقدوها، واقامة الدليل على وجودها، .

ولقد كانت دعوته ايضا مطابقة للزمن الذي جاء فيه، فلم تتقدم ولم تتأخر، فقد كان الناس في حاجة شديدة اليها، ليعمروا بواطنهم التي خربتها المادة، واتعبها الترف والمجون، كما كانوا في حالة رجاء مماهم فيه من الشقاء .

وايا ماكان الامر فقد نجحت دعوة عيسى عليه السلام، واخذت طريقها وذلك لما كان له من قدرة على اظهار الحق، واقامة البرهان والحجة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة الى توحيد الله عز وجل ، والتوبة اليه، ولما كان عند الحواريين من اخلاص له ولدعوته، وثبات في العقيدة وكفاح من اجلها، وتضحية في سبيلها . .

ثم آلت الدعوة بعد عيسى عليه السلام الى مركزين :
احدهما : في القدس . برئاسة (جيمس) اي (يعقوب)
وثانيهما : خارج فلسطين (بانطاكية) (١١٩) بعيدا عن سلطان هيكل اليهود . . برئاسة بولس واتباعه . .

وقد كانت شعبة بيت المقدس اقرب الى المحافظة والحرص على شعائر العهد القديم الذي دعاهم الى التمسك بها . .

وظلت ملحوظة المكانة في العالم المسيحي داخل فلسطين وخارجها من بلاد الدولة الرومانية كما يظهر من وصاياها، وكلها وصايا تحث على رعاية الشعائر الاسرائيلية كما تقدمت في النبوات، وظلت الرئاسة على العالم المسيحي معقودة لهذه الشعبة المقيمة في بيت المقدس ، حتى تهدم الهيكل وتقوضت مدينة القدس، وتبددت الجماعة في اطراف البلاد.

فآلت قيادة الدعوة الى الشعبة التي كانت تعمل خارج فلسطين، فكان لذلك اثر كبير في اسلوب الدعوة، وفي اختيار وسائل الاقناع ، اذ اختلف الاسلوبان بين الخطاب الموجه الى اليهود وحدهم، والخطاب الموجه الى الاميين النافرين من اليهود، وتسرب التغير في تعاليم المسيح ودعوته، اذ ادخلوا في هذه التعاليم كثيرا من مبادئ الامم وفلسفاتها ومعتقداتها ليكون ذلك عامل جذب لدخول هذه الامم في هذه الديانة التي اصبحت لاتحمل الا اسما منسوبا الى المسيح عيسى بن مريم، وتوج ذلك بقانون الايمان الذي وضع اوله في مجمع نقية سنة ٣٢٥م وختم آخره في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م. وجاء فيه :

« بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الاب ضابط الكل، خالق السماء والارض، مايرى ومالايرى، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل

كل الدهور . .
اله حق من اله حق مساو للاب في الجوهر ، نؤمن بالروح القدس الحي المنبثق من الاب المسجود له ، الممجد مع الاب والابن . . الخ (١٢٠)

وبهذا ثبت التثليث في المسيحية من المعتقدات الوضعية ، والفلسفات الانسانية القديمة التي كانت منتشرة بين الامم في ذلك الوقت . .

عيسى عبدالله ورسوله

بيان وتوضيح :

ذكرت اسفار العهد القديم الفاظ (الاله) و(الرب) و(الاب) و(الابن) وارادت بها المعنى المجازي في المواضع والنصوص التي يأبى العقل ان يكون المراد بها المعنى الحقيقي .

فلفظ (الاله) يطلق عادة على المعنى الحقيقي لله عز وجل ، واطلق في اسفار العهد القديم مجازا بمعنى (السيد) مثل «فقال الرب لموسى انظر انا جعلتك الها لفرعون وهارون اخوك نبيك»(١٢١) والمراد جعلتك سيدا . .

واطلق ايضا على سائر اليهود بأنهم آلهة : (انا قلت انكم آلهة وبنوا العلى كلكم » (١٢٢) والمراد انكم سادة . .

وفي انجيل يوحنا ان اليهود تناولوا حجارة ليرجموا عيسى عليه السلام «اجابهم يسوع اعمالا كثيرة حسنة اريتكم من عند ابي بسبب اي عمل منها ترجمونني ، اجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لاجل عمل حسن بل لاجل تجديف ، فانك وانت انسان تجعل نفسك الها . .

اجابهم يسوع : اليس مكتوبا في ناموسكم انا قلت انكم آلهة» (١٢٣)

وهو بهذا استشهد من نصوص اسفارهم على انه سيد كأي سيد من بني اسرائيل وليس الها او ربا . .

وكلمة (الرب) تطلق على لفظ الجلالة ، كما تطلق على السيد من الناس (١٢٤) . . جاء في سفر المزامير : «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئا لقدميك (١٢٥) فرب الثانية تعني السيد ، جاء في الكتاب المقدس للكاثوليك ، «قال الرب لسيدي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئا لقدميك» (١٢٦) . .

الاب :

اما كلمة (الاب) فتطلق حقيقية على الوالد ، وتطلق مجازا على الله عز وجل ، فيقول سفر صموئيل الثاني في حق سليمان عليه السلام «انا اكون له ابا وهو يكون لي ابنا» (١٢٧) . .

وفي سفر اشعياء عن اليهود مخاطبين ربهم هكذا : «فانك انت ابونا وان لم يعرفنا ابراهيم والم يدرنا اسرائيل انت يارب ابونا ولينا منذ الابد اسمك» (١٢٨) . .

الابن :-

ويطلق لفظ الابن عادة على البنوة الحقيقية ، كما يطلق على البنوة المجازية ففي سفر التثنية : «انتم اولاد للرب الهكم» (١٢٩) . .

وفي سفر المزامير . . «وبنوا العلى كلكم» (١٣٠)

وقد عبرت الاناجيل بمثل هذا التعبير المجازي عن بنوة عيسى عليه السلام وغيره من مخلوقات الله تعالى : ففي انجيل مرقس «بدأ انجيل يسوع المسيح ابن الله» (١٣١)

ونسبوا بنوة آدم لله تعالى نسبة مجازية يقول لوقا : «آدم بن الله» (١٣٢) كما نسبوا بنوة الملائكة لله تعالى ايضا ولاشك انها نسبة مجازية يقول لوقا : «قال لهم يسوع : «ابناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ، ولكن الذين حسبوا اهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الاموات لايزوجون ولا يزوجون ، اذلايستطيعون ان يموتوا ايضا «لانهم مثل الملائكة وهم ابناء الله » (١٣٣)

ومن اطلق لفظ «ابن الله» على المسيح عليه السلام بالمعنى الحقيقي فهذا الاطلاق مردود من وجهين . .

الاول : فلأن هذا الاطلاق معارض باخلاق «ابن الانسان» عليه من قبل النصاري وباخلاق «ابن داود» عليه ايضا عندهم ، فلابد من التطبيق ، بحيث لايثبت المخالفة للبراهين العقلية ولايلزم منه محال . .

واما الثاني : فلأنه لايصح ان يكون لفظ «الابن» بمعناه الحقيقي لان معناه الحقيقي باتفاق لغة اهل العالم من تولد من نطفة الابوين ، وهذا محال ههنا . .

فلابد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح عليه السلام ، وقد علم من الاناجيل ان هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح . يقول مرقس :-

«فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح . . ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله انه صرخ هكذا واسلم الروح قال حقا كان هذا الانسان ابن الله » (١٣٤) . .

وقال لوقا «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا ابتاه في يدك استودع روحي، ولما قال هذا اسلم الروح ، فلما رأي قائد المائة ماكان : مجد الله قائلا : بالحقيقة كان هذا الانسان بارا» (١٣٥) ..

فعبر مرقس بلفظ ابن الله وعبر لوقا بدله بلفظ «البار» ..

واستعمل لفظ «ابن» في حق الطالح مثل «ابن ابليس» وفي حق الصالح لغير المسيح . يقول متى :- «طوبى لصانع السلام لانهم ابناء الله يدعون» (١٣٦) .. «سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، واما انا فاقول لكم :

احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم، احسنوا الى مبغضيكم، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم،. لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماوات» (١٣٧) فاطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصالحين العاملين بالاعمال المذكورة لفظ «ابناء الله» (١٣٨) ..

اذا فبنوة عيسى لله تعالى بنوة مجازية على حسب عادة بني اسرائيل في تعبيراتهم وليست بنوة حقيقية فهو على هذا ليس ابنا للاله كما يدعون .

عيسى عبدا وليس إلها :-

بعد ان عرفنا ماكان من امر عيسى عليه السلام من حمل امه به ووضعها له وما كان من شأن تربيته ورعايته ومشيه في الاسواق وبين الناس واكله وشربه وما وقع له في حياته مما يقع للناس عامة نتبين انه عبد وليس إله .. قال تعالى : «واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد» (١٣٩) ..

ويقول يوحنا على لسان المسيح في خطابه لمريم المجدلية : «قال لها يسوع لاتلمسيني لاني اصعد بعد الى ابي . ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني اصعد الى ابي وابيك والهي والهكم» (١٤٠) فسوى بينه وبين الناس في هذا القول ابي وابيكم والهي والهكم . لكي لا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا انه اله او ابن إله فكما ان تلاميذه عباد الله وليسوا بابناء لله حقيقة بل بالمعنى المجازي فكذلك هو عبدالله وليس بابن الله حقيقة ..

ولما كان هذا القول بعد ماقام عيسى عليه السلام من الاموات على - زعمهم - قبل العروج بقليل، ثبت انه كان يصرح بأنه عبدالله الى زمان العروج، وهذا القول يطابق ماحكى الله عنه في القرآن الكريم «ماقلت لهم الا ماامرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم» ..

ويقول متى «حينئذ تقدمت اليه ام ابني زبدى مع ابنيها وسجدت وطلبت منه شيئا، فقال لها ماذاتريدين قالت له، قل ان يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والاخر عن اليسار في ملكوتك ،فأجاب يسوع وقال لستما تعلمان ما تطلبان .. الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي ان اعطيه الاللذين اعد لهم من ابي » (١٤١) فنفى عيسى عليه السلام هاهنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله ولو كان الها لما صح هذا ..

ويقول متى «واذا واحد تقدم وقال له ايها المعلم الصالح، اي صلاح اعمل لتكون لي الحياة الابدية ،فقال لهم لماذا تدعوني صالحا، ليس احد صالحا الا واحد وهو الله» (١٤٢) فهذا القول يقصع التثليث من اصله وانه ليس اله، لانه مارضي تواضعا ان يطلق عليه لفظ الصالح ،ولو كان الها لما كان لقوله معنى، ولا كان عليه ان يبين : لاصالح الا الاب وانا والروح القدس ، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة . واذا لم يرض بقول الصالح . فكيف يرضى باقوال اهل التثليث التي يتفوهون بها في اوقات صلاتهم (ياربنا والهنا يسوع المسيح، لاتضيع من خلقت بيديك)؟ حاشا جنابه ان يرضى بها .. ويقول متى في انجيله «حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جشيماني فقال للتلاميذ . اجلسوا هنا حتى امضي واصلي هناك، ثم اخذ معه بطرس وابني زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب ،فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت امكثوا هاهنا واسهروا معي ،ثم تقدم قليلا وخر على وجهه ، وكان يصلي قائلا : يا ابتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت، ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نيام ، فقال لبطرس اهكذا ماقدرتم ان تسهروا معي ساعة واحدة ، اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة ، اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف، فمضى ايضا ثانية وصلى قائلا : يا ابتاه ان لم يكن ان تعبر عني هذه الكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك ثم جاء فوجدهم ايضا نيام، اذ كانت اعينهم ثقيلة، فتركهم ومضى ايضا وصلى ثالثة قائلا : ذلك الكلام بعينه» (١٤٣) ..

فاقواله واحواله المندرجة في هذه العبارات تدل على عبوديته ونفي الوهيته ايحزن ويكتئب الاله ويموت ويصلي لاله اخر ويدعو بغاية التضرع كلا .. ولما كان

مجيؤه الى العالم وتجسده ليخلص العالم بدمه الكريم من عذاب الجحيم فما معنى الحزن والاكتئاب وما معنى الدعاء : بـ «ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس؟» . .

ويقول متى : «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي . ايلي لما شبقتني . اي الهي الهي لماذا تركتني؟ . . فصرخ يسوع ايضا بصوت عظيم واسلم الروح» (١٤٤) وهذا القول ينفي الوهية المسيح رأسا سواء على مذهب القائلين بالحلول او الانقلاب لانه لو كان الها لما استغاث باله اخر وقال الهي الهي لماذا تركتني» ولامتنع العجز والموت عليه لان الاله كما قال اشعياء «اله سرمدي الرب الذي خلق اطراف الارض لن يضعف ولن يتعب» (١٤٥)

والبنوة لاتوجب الالوهية ، فلو كانت موجبة للالوهية ، لكان اولى بها اسرائيل (يعقوب) وداود وسليمان .

جاء في سفر الخروج «فيقول لفرعون هكذا يقول الرب . اسرائيل ابني البكر، فقلت لك اطلق ابني ليعبدني فابيت ان تطلقه ، هاانا اقتل ابنك البكر» (١٤٦) فاطلق علي اسرائيل لفظ ابن الله بل اطلق عليه لفظ (الابن البكر) وفي قول داود عليه السلام حينئذ كلمت برؤيا تقيك وقلت جعلت عونا على قوي، رفعت مختارا من بين الشعب، وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسحته، الذي تثبت يدي معه، ايضا ذراعي تشدده . . هو يدعوني ابي انت، الهي وصخرة خلاصي، انا ايضا اجعله بكرا اعلى من ملوك الارض» (١٤٧) . .

فاطلق على الله لفظ الاب وعلى داود لفظ القوي والمنتخب والمسيح والابن البكر واعلى من كل ملوك الارض . .

وفي سفر ارمياء يقول : هكذا «لاني صرت لاسرائيل ابا وافرايم هو بكري» (١٤٨) فاطلق على افرايم لفظ ابن الله البكر . .

وجاء في حق سليمان هكذا «انا اكون له ابا وهو يكون لي ابنا» (١٤٩) اذن لو كان اطلاق مثل هذه الالفاظ موجبا للالوهية لكان اسرائيل وداود وافرايم احقاء بالالوهية ، لان الابن البكر احق بالاكرام من غيره بحسب الشرائع السابقة . . ولو كان اطلاق هذا اللفظ ايضا سببا للالوهية لكان سليمان عليه السلام احق من المسيح عليه السلام لسبقه وكونه من اباء المسيح ـ كما يزعمون . .

واذاقال احد :ـ جاء في حق المسيح عليه السلام لفظ الابن الوحيد (١٥٠) قلنا ان الوحيد لايمكن ان يكون بمعناه ، لان الله اثبت له اخوة كثيرين ، وقال في حق الثلاثة منهم لفظ الابن البكر، كما ذكرت نصوصهم السابقة ـ فلابد اذن ان يكون (الوحيد) بالمعنى المجازي مثل الابن (١٥١) . .

وقد وقعت بين الامام الهام فخرالدين الرازي عليه الرحمة وبين بعض القسيسين مناظرة بخوارزم ولما كان نقلها لايخلو عن فائدة فأنقلها .

قال قدس سره في المجلد الثاني من تفسيره في سورة آل عمران تحت تفسير قوله تعالى : «فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم» الآية .

اتفق أني حين كنت بخوارزم أخبرت أنه جاء نصراني يدعى التحقيق والعمق في مذهبهم فذهبت إليه وشرعنا في الحديث : فقال لي : ماالدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلت له : كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام ، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن رددنا التواتر أو قبلناه وقلنا إن المعجزة لاتدل على الصدق فحينئذ بطلت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام ، وإن اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق وهما حاصلان في حق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وجب الاعتراف قطعا بنبوة محمد عليه السلام ضرورة .

إذ عند الأستواء في الدليل لابد من الاستواء في حصول المدلول . فقال النصراني لاأقول في عيسى عليه السلام انه كان نبيا بل اقول انه كان إلها فقلت له الكلام في النبوة لابد وأن يكون مسبوقا بمعرفة الاله ، وهذا الكلام الذى تقوله باطل ويدل عليه وجوه :

الوجه الأول :

إن الاله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته ، يجب ألا يكون جسما ولا . . . . . . ولا عرضا . وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوما وقتل بعد أنذكان حيا على قولكم ، وكان طفلا أولا ثم صار مترعرعا ، ثم صار شابا . وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ .

وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث لايكون قديما ، والمحتاج لايكون غنيا ، والممكن لايكون واجبا ، والمتغير لايكون دائما .

الوجه الثاني :

في إبطال هذه المقالة أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيا على الخشبة ، وقد مزقوا ضلعه ،

وانـه كان يحتـال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم ، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد .

فإن كان إلها أو كان الاله حالاً فيه ، أو كان جزءا من الاله حالاً فيه فلم لم يدفعهم عن نفسه؟ ولِمَ لم يهلكهم بالكلية؟ وأية حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم؟ وبالله إنني لأتعجب جدا أن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ، ويعتقد صحته ، فتكاد أن تكون بداهة العقل شاهدة بفساده .

الوجه الثالث :

وهـو أنـه إمـا أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد . أو يقال حل الاله بكليته . أو حل بعض الالـه وجـزأ منه فيه والأقسام الثلاثة باطلة : أما الاول فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولا بأن اليهود قتلوا إله العالم ، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير اله؟ ثم إن أشد الناس ذلا ودناءة هم اليهود ، فالاله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز .

وأما الثاني . وهو أن الاله بكليته حل في هذا الجسم فهو أيضا فاسد ، لأن الاله إن لم يكن جسما ولا عرضا ، امتنـع حلوله في الجسم ، وإن جسما فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم ، وذلك يوجب وجوب التفرق في أجزاء ذلك الاله .

وإن كان عرضـا كان محتـاجا الى المحل وكان الاله محتاجا الى غيره ، وكل ذلك سخيف .

وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الاله وجزء من أجزائه ، فذلك أيضا محال ، لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في الالهية فعند انفصاله عن الاله وجب أن لايبقى الاله الها ، وإن لم يكن معتبرا في تحقيق الالهية ، لم يكن جزءا من الاله . فثبت فساد هذه الأقسام فكان قول النصارى باطلا .

الوجه الرابع :

في بطلان قول النصـارى ماثبت بالتواتر من أن عيسى عليـه السـلام كان عظيم الـرغبـة في العبادة ، والـطاعة لله تعالى ، ولو كان الها لاستحال ذلك لأن الاله لايعبد نفسه .

فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم: ثم قلت للنصراني ، ومـاالـذي دلك على كونه كله؟ فقال الذي دل عليه ظهور العجائب عليه من أحياء الموتى ، وإبـراء الأكمـه والأبـرص ، وذلك لايمكن حصوله إلا بقدرة الاله تعالى .

فقلت له : هل تسلم أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإن لم يكن تسلم لزمك من نفي العالم في الأزل نفى الصـانـع ، وإن سلمت أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول ، فأقول لما جوزت حلول الاله في بدن عيسى عليه السلام ، فكيف عرفت أن الاله ماحل بدني وبدنك وبدن كل حيوان ونبات وجماد؟ فقال الفرق ظاهر ، وذلك لأني حكمت بذلك الحلول لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه ، والأفعال العجيبة ماظهرت على يدي ولا على يدك ، فعلمنا أن ذلك الحلول مفقود ههنا .

فقلت له تبـين الآن أنـك ماعـرفت معنى قولي أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول ، وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الاله في بدن عيسى عليه السلام ، فعدم ظهور تلك الخوارق منى ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل ، فإذا ثبت أنه لايلزم من عـدم الـدلـيـل عـدم المـدلـول لايـلـزم من عـدم ظهـور تلـك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وفي حقك . بل وفي حق الكلب والسنـور والفـأر ، ثم قلت: إن مذهبا يؤدي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة .

الوجه الخامس :

أن قلب العصا حية أبعد في العقل من اعادة الميت حيـا لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان ، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى عليه السلام إلها وابنا للاله فبأن لايدل إحياء الموتى على الألوهية ، كان ذلك أولى ، وعند ذلك انتهى كلامه بعباراته الشريفة (١٥٢) .

المعارضــــة :

كان الحـواريـون وتـلاميذهم أول من اعترض على مبـادئ بولس ودعوته ، ولذلك تركه مرقس في رحلته الأولى ، ثم تركه برنابا(١٥٣) وعارضه يعقوب البار - الصغير - أخو متى وسمعان بطرس ، ولهذا عقد المؤتمر الأول في أورشليم (القدس) برئاسة يعقوب(١٥٤) .

وكان من المعترضين من الأتباع (آريوس) الذي أعلن في بيان قال فيه: أنه «يؤمن بإله واحد متعال فوق حد

التصور ، وهو من العلو بحيث لاصلة له بتاتا بأي شيء له نهاية ، وهو فريد لاشبيه له ، أزلي لابداية له ، لايموت ، صالح وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات»(١٥٥) .

وقال أيضا في عقيدته في الابن : «أن الابن ليس مساويا للآب في الأزلية ، وليس من الجوهر»(١٥٦) وقد دارت مناقشة حادة بينه وبين «أثناسيوس» رئيس شمامسة الاسكندرية نذكر بعضها منها :

آريوس : إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلا : خلقني أول طرقة . . (١٥٧) .

أثناسيوس : معنى خلقني هنا ولدني كما ينص على ذلك النص العبراني كما جاء في نفس الاصحاح قوله : «منذ الأزل مسحت ، منذ البدء كنت معه ، قبل أن يخلق الجبال ، قبل أن يصنع الأرض ، لما ثبت السموات كنت هناك» كما ورد في داود النبي : «أنت ابني ، وأنا اليوم ولدتك ومن البطن قبل كوكب الصبح ولدتك»(١٥٨) .

آريوس : إن الابن قال : «أبي أعظم منى(١٥٩) فالأبن إذن أصغر من الأب ولا يساويه في الجوهر . . . . الخ(١٦٠) .

وكان من المعارضين أيضا لألوهية المسيح (نسطور) الذي قال : «لايحق أن تسمى مريم والدة الاله بل والدة المسيح الانسان ، إن مريم لم تلدالها بل مايولد من الجسد ليس الاجسدا «إن المسيح لم يكن له وجود قبل ولادته من مريم»(١٦١) .

ومن المحدثين أميل لو فيع الذي يقول : «ولا نلم بعلم اللاهوت الذي وضع بعد يسوع بطويل زمن إلا قليلا ، فلا تعده في هذا الكتاب إلا إنسانا لامخلصا» (١٦٢).

عيسى عبدالله ورسوله :

بعد أن بينا حياة عيسى عليه السلام قبل البعثة وبعدها وماأوردنا من نصوص مقدسة عند أهل الكتاب وآراء الحواريين وأتباعهم ، لايغفل عن ذي لب أن عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله وقد بين الله عز وجل ذلك في قوله : «ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات ومافي الأرض وكفى بالله وكيلا ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون»(١٦٣) .

وقال : «ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون»(١٦٤) .

وقد بينت الأناجيل ذلك في كثير من نصوصها نذكر بعضا منها :

١ـ جاء في إنجيل يوحنا قول المسيح في خطاب الله هكذا : «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته»(١٦٥) .

فبين عيسى عليه السلام أن الله واحد لاشريك له وأنه رسوله الذى ارسله ، وأن الحياة الأبدية ، هي أن يعرف الناس هذه الحقيقة ، وما قال : إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي ، وأن عيسى انسان واله ، أو أن عيسى إله مجسم (١٦٦) .

ولما كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء ؛ فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه ، وإذا ثبت أن الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدهما يكون موتا ابديا ، وضلالا بينا البتة ، والتوحيد الحقيقي ضد التثليث الحقيقي ، وكون المسيح رسولا ضد لكونه الها ، لأن التغاير بين المرسِل والمرسَل ضروري وهذه الحياة الأبدية توجد عند المسلمين بفضل الله تعالى(١٦٧) .

وأما غيرهم فالمجوس ومشركو الهند والصين ، محرومون منهالانتفاء الاعتقاد فيهم ، وأهل التثليث من المسيحيين محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الاول واليهود محرومون منها لانتفاء الاعتقاد الثاني (١٦٨).

٢ـ وفي انجيل مرقس : «جاء واحد من الكنيسة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله : أية وصية هي أول الكل؟ ، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي : اسمع ياإسرائيل : الرب الهنارب واحد ، ونحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها هي : تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين ، فقال له الكاتب : جيدا يامعلم ، بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح ، فلما رآه يسوع إنه أجاب بعقل ، قال له : لست بعيدا عن ملكوت الله»(١٦٩) .

فبين عيسى عليه السلام «أن الله واحد وليس سواه»

ويجب الايمان به ومحبته من كل القلب والفكر والقدرة ، وهذا مما يدل على أن عيسى ليس اله ، إنما هو رسول فقط ولذلك قال له الكاتب . «جيد يامعلم بالحق قلت» وهذا تصريح منه بأنه رسول، ولم يعترض عيسى على قوله إذ لو كان غير رسول لاعترض وبين ، ولكنه أثنى عليه بعد ذلك وقال له : «لست بعيدا عن ملكوت الله» .

٣ـ جاء في إنجيل متى قول المسيح عليه السلام يخاطب تلاميذه: «ولاتدعوا لكم ابا على الأرض لأن أباكم واحد الذى في السموات ، ولاتدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح»(١٧٠) فدل ذلك على أن الرسول يطلق عليه معلم .

٤ـ وفي انجيل يوحنا: «قال لها يسوع: يامريم ، فالتفتت تلك ، وقالت له ربوني ، الذي تفسيره يامعلم»(١٧١) فدل ذلك على أنه رسول وليس ربًا .

٥ـ وفي إنجيل يوحنا: «فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ، أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله»(١٧٢) وفيه أيضا .

«ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع الى الهيكل وكان يعلم ، فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ، أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني»(١٧٣) .

٧ـ وفيه أيضا قول المسيح لليهود عندما أرادوا أن يمسكوه: «فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا ثم امضي الى الذي أرسلني»(١٧٤) .

٨ـ وفي معرض حديث عيسى عليه السلام ليهوذا ، ليس الاسخربوطي قال يوحنا: أجاب يسوع وقال له: إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده تصنع منزلا الذي لايحبني لايحفظ كلامي ، والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذى ارسلني ، بهذا كلمتكم وأنا عندكم»(١٧٥) .

هذا قليل من كثير من النصوص التى دلت صراحة على أنه رسول من عند الله يوحى إليه لايتكلم من قبل نفسه بل بما يوحيه الله اليه ، كما قال الله تعالى في حق محمد صلى الله عليه وآله وسلم «وماينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى»(١٧٦) .

فهذا القول ينطبق على رسل الله جميعا ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . هذا: والله يقول الحق ،هو يهدي السبيل .

الخـاتمـة :

لقد أكمل عيسى عليه السلام رسالته ، وبلغ دعوته وادى الامانة التي أمنه الله تعالى عليها ، بين الحق الأبدي لقومه ، والتوحيد الخالص الذي لاشبهة فيه ولا ريب ، لقد قال لهم: «الرب الهنا واحد» كما قال لهم: «إلهي والهكم» فبين لهم القاعدة الحقيقية ، والأساس الأول لاإله إلا الله ، وأنه رسول من عند الله قال لهم: «أنتم تدعوني معلما وسيدا ، حسنا تقولون لأني أنا كذلك»(١٧٧) .

وأيضا قال لهم: «الحق الحق أنه ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله»(١٧٨) .

لقد بين لهم الحياة الأبدية ، ورسم لهم طريق النجاة الكامن في معرفتها والتمسك بها ـ وذلك في قوله: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته»(١٧٩) .

فكل من آمن بالله ربا وخالقا ، ويسوع المسيح نبيا ورسولا ، فقد عرف الحياة الأبدية ، ومن قال غير ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا .

يقول عيسى عليه السلام: «ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل ارادة أبي الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط ، إذهبوا عني يافاعلي الاثم» .

«فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها ، أشبّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاء الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسسا على الصخر ، وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبَّه برجل جاهل بني بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاء الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط ، وكان سقوطه عظيما»(١٨٠) .

لقدعلمهم أن الذين يرثون الحياة الأبدية ؛ هم الأبرار الذين آمنوا وعملوا بما جاءهم به ، وعلمهم إياه .

هم الذين أطعموا الجائع ، وسقوا الظمآن وأووا الغريب ، وكسوا العريان ، وعادوا المريض(١٨١) .

علمهم أن العقيدة الصحيحة ايمان وعمل ، فالايمان بلا عمل كشجر بلا ثمر ، ولقد سار على نهجه القويم ، حواريه الأطهار ومن قال بغير هذا «فإنما حسابه عند

ربه إنه لايفلح الكافرون» .

وبعد أن جاءهم بالتوحيد الخالص والدين الصحيح انحرفوا به الى التعدد والتثليث ، وبعد أن دعاهم الى الايمان والعمل ، قالوا ايمان بلا عمل ، وبالايمان وحده يتبرر الانسان .

إن عقيدة التثليث التى أقرت في القرن الرابع الميلادي ، لم تكن صورة صحيحة لتعاليم المسيح فيما يختص بتوحيد الله ؛ وجوهر العقيدة الصحيحة ، والشريعة السمحة ، والبشارة ببني الملكوت ، لقد كانت على العكس من ذلك تماما ، بل وكانت معارضة لما هو ضد التثليث : «فذرهم وما يفترون» .

إن أملنا كبير في أن يعودوا الى العقيدة الصافية والتعاليم النبيلة ، إن الصحوة الدينية والعقلية الانسانية المستنيرة المتحررة ، تنبئ بحتمية العودة إلى تعاليم العبد الرسول «ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون . وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» (١٨٢) . .

الهوامش والمراجع :

١ـ أنظر تفسير النسفي لسورة آل عمران .

٢ـ سورة آل عمران : الآيات ٣٥ـ٣٧ .

٣ـ يوطه : اسم عبري معناه : منبسط .

٤ـ القدس : مدينة بناها سالم اليبوس ودخلها ابراهيم عليه السلام في عهد ملكي صادق واتخذها داود عاصمة للملكة ، وبنى خارج أسوارها مدينة داود التى عرفت بحصن صهيون وتسمى أورشليم : أي مدينة سالم اليبوس ، انظر المفصل في تاريخ القدس ١٣/١ عارف العارف .

٥ـ عين كارم : جاء في كتاب بلادنا فلسطين الجزء الثامن ـ القسم الثاني في ديار بيت المقدس لمراد مصطفى الدباغ عن عين كارم مايلي :

تقع في الجنوب الغربي لمدينة القدس على بعد سبعة كيلو مترات ، مساحتها ١٠٣٤ دونم ، ولد فيها النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) استولى الصهاينة عليها بتاريخ ١٣/٧/١٩٤٨م ، كان سكانها سنة ١٩٣١م هكذا :

**مسلمون : ٢١٧١ نسمة .

■■مسيحيون : ٤٣٢ نسمة .

●●يهود : ٣٤ نسمة .

٦ـ كان ملكا لليبوسيين وبه دفن داود عليه السلام ، الصهيونية وربيتها اسرائيل ٢٢ عمر رشدي .

٧ـ سورة مريم : الآية ١٦ .

٨ـ سورة المؤمنون : الآية ٥٠ .

٩ـ اي (ان كنت تقيا) فاتركني ولا تؤذيني .

١٠ـ سورة مريم : الآيات ١٧ـ٢١ .

١١ـ أليصابات : أي قسم الله ، ويقول الزمخشري في تفسيره سورة آل عمران اسمها «إيشاع» .

١٢ـ لوا : ٣٩ـ٤١ .

١٣ـ النِّسْي في كلام العرب : الشيء الحقير الذى شأنه أن ينسى .

١٤ـ السرى : سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن السرى فقال : هو الجدول ، وقيل هو من السرور والمراد عيسى ، ومن الحسن كان والله عبدا سريا . بهذا قال : الطبري والقرطبي وابن كثير ، والزمخشري .

١٥ـ سورة مريم : الآيات ٢٣ـ٢٦ .

١٦ـ تقع على بعد ١٠ كيلو مترات الى الجنوب من القدس .

١٧ـ انظر تفسير ابن كثير لسورة مريم .

١٨ـ قصة الحضارة ٢١٣/١١ ول ديورانت .

١٩ـ يقول لوقا : «كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هرون واسمها اليصابات» ١:٥ .

٢٠ـ مراد مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين الجزء الثامن . القسم الثاني ، في ديار بيت المقدس .

٢١ـ سورة مريم : الآية ١٦

٢٢ـ البعد بين بيت لحم وبين الناصرة ٢٤٠كم .

٢٣ـ وهو في سنن النسائي المجتبي ، مروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

٢٤ـ لوا : ٣٥ .

٢٥ـ القس أ. ب . سميسون . الروح القدس ١٧٨ ترجمة يوسف اصطفان .

٢٦ـ سورة آل عمران : الآية ٤٢ .

٢٧ـ سورة المائدة : الآية ٧٥ .

٢٨ـ سورة مريم, الآيات ٢٩ـ٣٣ .

٢٩ـ سورة النساء : الآية ١٥٦ .

٣٠ـ الشيخ محمد أبو زهرة . محاضرات في النصرانية ٢٠ـ٢١ .

٣١ـ شارل جنيبير . المسيحية : نشأتها وتطورها ٢٩ ترجمة الامام الدكتور/ عبدالحليم محمود .

٣٢ـ ذكر متى في الاصحاح الاول من انجيله ولوقا في الاصحاح الثاني من انجيله ، وبرنابا في الفصل التاسع من انجيله بعض الجوانب عن طفولة عيسى وصباه .

٣٣ـ سورة الأنعام : الآية ٦٥ .

٣٤ـ متى : ١ : ٢١ .

٣٥ـ حب ٣ : ١٣ .

٣٦ـ د. بطرس عبدالملك قاموس الكتاب المقدس (يسوع) .

٣٧- وكان بعد موت موسى عبدالرب ، ان الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى يسن ١/١

٣٨- كان ذلك في عهد الملك قورس الفارسي عزرا ٣/ ١-٩و٥ : ٣١؛

٣٩- صحيح مسلم بشرح النووي . كتاب الادب ، باب ما يستحب من الاسماء .

٤٠- اميل لودفينغ . ابن الانسان ١٠ ترجمة عادل زعيتر سنة ١٩٤٧

٤١- يقول الامام الزمخشري : «وكذلك «عيسى» معرب من ايشوع ومشتقاتها الكشاف ١/ ٤٣٠ تفسير سورة آل عمران

٤٢- المرجع السابق .

٤٣- «وجدنا المسيا الذي تفسيره المسيح» يوحنا ١ : ٤١

٤٤- «وكلم الرب موسى قائلا : وانت تأخذ لك افخر الاطياب . . وبعد ذكر التي يصنع منها الدهن قال : «وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة ، في ٣٠ : ٣٣-٣٥

٤٥- عوض سمعان . انجيل برنابا في ضوء التاريخ والعقل ٩٣

٤٦- سورة آل عمران : الآية ٤٥

٤٧- تفسير الزمخشري ١/ ٤٣٠ لسورة آل عمران

٤٨- من اللائق ان يكون يوسف النجار قد تزوج بمريم ،فليس من المعقول ان يسافر ويعيش معها وهو ليس بمتزوج لها .

٤٩- مت ٢ : ١٣-١٥ وقد انفرد متى بذكر هذا من بين الاناجيل المعتمدة عندهم وذكره برنابا في الفصل الثامن . .

٥٠- اتخذوا طريقهم عبر صحراء سيناء الى مدينة الفرما، وكانت بين العريش وبورسعيد ،ثم الى ربطة (قرب الزقازيق ثم سمنود، ثم وادي النطرون ، ثم الى صعيد مصر عن طريق النيل حتى وصلوا الى مدينة الاشمونيين .

٥١- قسقام : عندالقوصيةقرب اسيوط ويوجد بهذا المكان الان دير العذراء الشهير بالمحرق .

٥٢- سليمان تسيم ، مصر تستقبل العذراء ٤٢

٥٣- عين شمس : شرقي مدينة القاهرة، وكان بها هيكل لليهود يعرف بهيكل اونياس ،وقد استظلوا بالشجرة المعروفة اليوم بشجرة مريم بالمطرية . .

٥٤- زكي شنودة . موسوعة تاريخ الاقباط ١/ ٤٢ وجوده السحار المسيح عيسى بن مريم ٤١

٥٥- سورة المؤمنون : الآية ٥٠

٥٦- ابن كثير . البداية والنهاية ٢/ ٧٧

٥٧- الربوة : المكان المرتفع من الارض . وهو احسن ما يكون فيه من النبات تفسير ابن كثير لسورة المؤمنون . .

٥٨- الامام ابي الحسن علي بن محمدالماوردي الشافعي المتوفي سنة ٤٥٠هـ اعلام النبوة ٥٢

٥٩- سليمان تسيم ، مصر تستقبل العذراء ٤١

٦٠- انجيل برنابا ٩/ ٣

٦١- مت ٢ : ١٩-٢١

٦٢- ابن كثير البداية والنهاية ٢/ ٧٥ وابن الاثير الكامل في التاريخ ١/ ٥٩٨ تحقيق محمد ابو الفضل . دار المعارف

٦٣- لو ٢ : ٤١-٤٨

٦٤- ول ديورانت : قصة الحضارة ١١/ ٢١٦

٦٥- عدد ٦ : ١-٥

٦٦- لوا : ١٥

٦٧- سورة آل عمران : الآية ٢٩

٦٨- تفسير ابن كثير والزمخشري لسورة آل عمران

٦٩- شارل جنيبر المسيحية نشأتها وتطورها ٢٥

٧٠- عباس محمود العقاد مياه المسيح ٦٤

٧١ - المرجع السابق ١٢٥ وهي صورة وصفية حفظت للمسيح وتداولها المسيحيون الميلادي ، وتداولها النصارى من ذلك العهد ، وعلى اوصافها رسموا الصورة الفوتوغرافية وزعم رواتها انها كتبت بقلم «بيليوس لنتيوس» صديق بيلاطس حاكم الجليل من قبل الدولة الرومانية رفعها الى مجلس الشيوخ الروماني في عصر الميلاد

٧٢- عباس محمود العقاد : حياة المسيح ٦٤

٧٣- متى هنرى : تفسير انجيل متى ١/ ٧٦، ٧٧ ويذكر ان كلمة «ناصر»و«نذير» في الانجليزية متقاربان .

٧٤- الشيخ عبدالوهاب النجار ، قصص الانبياء ٣٨٧

٧٥- سورة آل عمران : الآية ٤٨

٧٦- لو ٢ : ٤١-٤٨

٧٧- عباس محمود العقاد حياة المسيح ٢٠٤

٧٨- فردريك فارار . حياة المسيح ٩١٢٩٠

٧٩- سورة الصف : الآية ٦

٨٠- مر ١ : ١٤

٨١- مت ٣ : ١-٢

٨٢- قتله (هيرودس) رئيس الربع استجابة لطلب (سالومي) بنت (هيروديا) لان يحيى عليه السلام قال له : لايحل ان تكون لك امرأة اخيك . مر ٦ ١٦-٢٩ واميوسيفوس فيقول ان سبب القبض عليه هو خوف «هيرودس» ان يكون يوحنا (يحيى) يتستر بستار الاصلاح الديني ليثير القلاقل السياسية في البلاد . قصة الحضارة ١١/ ١١٧

(٨٣) مر ١ : ١٤

٨٤- مر ١ : ٩

٨٥- ف . ب . ماير . يوحنا المعمدان ١١، ٥١٢،

٨٦- متى هنرى . تفسير انجيل متى ٢/ ٣٥٨

٨٧- مرا : ١٤-١٥ ، ويرى متى ان عيسى بدأ دعوته وكان يحيى في السجن ،فيقول : اما يوحنا فلما سمع في السجن باعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه، وقالا له : انت هو الاتي ام ننتظر آخر، ١١ : ١-٢ اما انجيل يوحنا فانه يذكر ان عيسى بدأ دعوته قبل ان يدخل يحيى السجن، فيقول : جاء يسوع وتلاميذه ارض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يعمد وكان يوحنا ايضا يعمد في «عين نون» بقرب . ساليم لانه لم يكن يوحنا قد القى بعد في السجن ٣ : ٢٢-٢٤

٨٨- التعميد هو الغسل بالماء : وهو عند الارتوذكس بالتغطيس وعند الكاثوليك بالرش ولايعمد الانسان الا وهو بالغ .

٨٩- مر ١ : ٩؛ ١٢-١٢

٩٠- سورة المائدة : الآية ١١٠

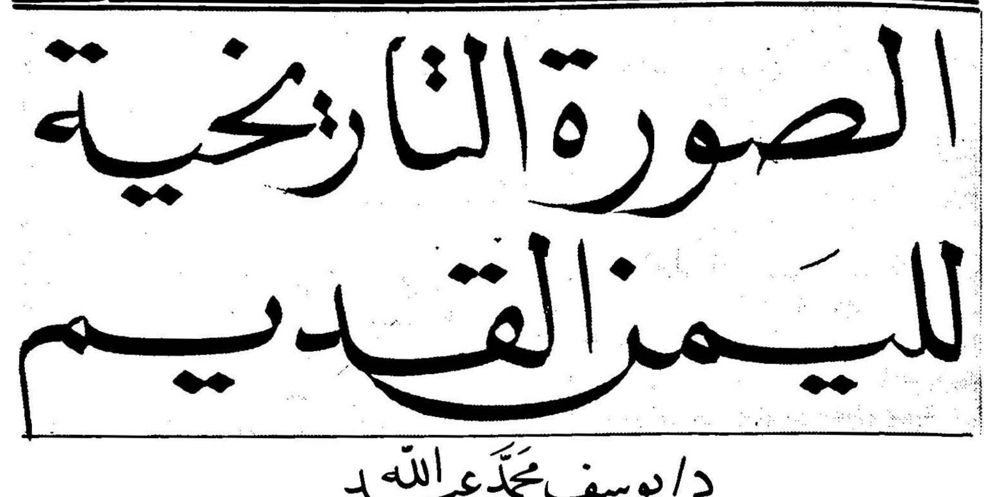
٩١- مر ١ : ١٢

٩٢ـ ربما يشير هذا النص الى نزول [illegible] نزول الانجيل على عيسى عليه السلام ،فليس في الاناجيل المعتبرة عند الكنيسة وليس في القرآن الكريم كذلك ما يشير الى الكيفية التي نزل بها الانجيل على عيسى الا هذا النص من انجيل برنابا وكلمة انجيل : كلمة يونانية : معناها البشارة، او الخبر الحسن ويقصد بها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم . .
٩٣ـ بر : الفصل العاشر
٩٤ـ لو ٣: ٢٣
٩٥ـ سورة المائدة : الآية ١١٠
٩٦ـ تفسير ابن كثير لسورة المائدة
٩٧ـ ابن منظور : لسان العرب المجلد الحادي عشر باب كهل ص ٦٠٠
٩٨ـ تفسير القرطبي لسورة المائدة
٩٨ـ يو ٨ : ٥٨
٩٩ـ الحداثة تعتبر الى ست عشرة سنة فأي حداثة كان فيها عيسى عليه السلام ليعيروه بها
١٠٠ـ متى هنرى . تفسير انجيل يوحنا ٢/ ٢٩٥ ويلاحظ ماقاله متى هنرى : «ان عمره كان ٣٢ او ٣٣ سنة ولم يقل نحو الثلاثين .
١٠١ـ المطلع على الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا يجد انه في معرض حديث جدي بين المسيح واليهود، ولم يشعر بأن في الحديث استهزاء.
١٠٢ـ متى هنرى تفسير انجيل يوحنا ٢/ ٢٩٥
١٠٣ كارل بروكلمان ص ١٢ ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي
١٠٤ـ المرجع السابق
١٠٥ـ لو ٣
١٠٦ـ عباس محمود العقاد. حياة المسيح وكشوف العصر الحديث ١٠٦ـ١٠٨
١٠٧ـ قوله : «وفي تلك الايام صدر امر من اغسطس بأن يكتتب كل المسكونة . . اذكاكير ينيوس والى سورية . لو ٢ : ١ـ٢
١٠٨ـ ول ديورانت . قصة الحضار ١١/ ٢١٢
١٠٩ـ سورة يوسف : الآية ٢٢
١١٠ـ سورة مريم : الآية ١٢ ـ
١١١ـ تفسير ابن كثير لسورة يوسف
١١٢ـ تفسير الزمخشري لسورة يوسف
١١٣ـ تفسير ابن كثير لسورة مريم
١١٤ـ تفسير الزمخشري لسورة مريم
١١٥ـ سورة المائدة: الآية ١١٠
١١٦ـ انظر ذلك في كتابنا . انجيل مرقس تاريخيا وموضوعيا .
١١٧ـ طائفة الصدوقيين من اليهود لاتؤمن باليوم الاخر وكذلك كانت بقية الطوائف اعمالهم تدل على عدم ايمانهم .
١١٨ـ الشيخ محمد ابو زهرة. محاضرات في النصرانية ٢٠ـ٢١
١١٩ـ انطاكية. : مدينة سورية اسسها (سلوق الاول) وكانت عاصمة المملكة السلوقية وفي القرن الاول اصبحت مركزا هاما للعمل المسيحي ،ودعى التلاميذ فيها مسيحيين اولا وفيها واجه بولس بطرس وقاوم آراءه . قل ٢ : ١١ـ١٢، رولى. اطلس الكتاب المقدس٣ . .

١٢٠ـ القس الياس مقار . ايماني داو قضايا المسيحية الكبرى ٦٥، ٦٦
١٢١ـ حز ٧ : ١
١٢٢ـ حز ٨٢ : ٦
١٢٣ـ يو ١٠ و ٣٢ـ٣٥
١٢٤ـ ادوناي : كلمة عبرانية تكون بمعنى الرب وبمعنى السيد. د/ بطرس عبدالملك . قاموس الكتاب المقدس ١٠٧
١٢٥ـ حز ١١٠ : ١
١٢٦ـ ١١٩ : ١
١٢٧ـ ٢ صم ٧ : ١٤
١٢٨ـ اس ٦٣ : ١٦
١٢٩ـ تث ١٤ : ١
١٣٠ـ حز ٨٢ : ٦
١٣١ـ مرا ١ :
١٣٢ـ لو ٣: ٣٨
١٣٣ـ لو ٢٠ ; ٣٥ـ٣٦
١٣٤ـ مر ١٥ : ٣٧ـ٣٩
١٣٥ـ لو ٢٣ : ٤٦ـ٤٧
١٣٦ـ مت ٥ : ٩
١٣٧ـ مت ٥ : ٤٤ـ٤٥
١٣٨ ـ الشيخ رحمت الله الهندي . اظهار الحق ٢/ ٣٥٢
١٣٩ـ سورة المائدة : الآية ١١٧
١٤٠ـ يو ٢٠ : ١٧
١٤١ـ مت ٢٠ : ٢٠ـ٢٤
١٤٢ـ مت ١٩ : ١٦ـ١٧
١٤٣ـ مت ٢٦ ; ٣٦ـ٤٤
١٤٤ـ مت ٢٧ : ٤٦ـ٥٠
١٤٥ـ اس ٤٠ : ٢٨
١٤٦ـ حز ٢٢ : ٢٣
١٤٧ـ مز ٨٩ : ١٩ـ٢٧

١٤٨ـ أر ٣١ : ٩
١٤٩ـ ٢ صم ٧ : ١٤
١٥٠ـ حز ٢
١٥١ـ اظهار الحق ٢/ ٣٥٣
١٥٢ـ المرجع السابق ٢/ ٣٥٩ـ٣٦٠
١٥٣ ـ انظر كتابنا انجيل مرقس تاريخيا وموضوعيا ٢٢٣ ، ٢٢٦
١٥٤ ـ حبيب سعيد . سيرة رسول الجهاد (بولس) ٦٧
١٥٥ـ زكي شنودة موسوعة تاريخ الاقباط ١/ ١٥١
١٥٦ـ المرجع السابق ١/ ١٥٤
١٥٧ـ امثال ٨ : ٢٣ـ٣١ وهو يشير الى خلق مجازي
١٥٨ـ النص من ٨ : ٢٣ـ٣١ . طبعة ١٩٧١م
١٥٩ـ يو ١٤ : ٢٨
١٦٠ـ موسوعة تاريخ الاقباط ١/ ١٥٥
١٦١ـ المرجع السابق ١/ ١٤٧، ١٦٠
١٦٢ـ اميل لود فيغ . ابن الانسان ١٠ ترجمة عادل زعيتر سنة

١٩٤٧م
١٦٣- سورة النساء : الآيتان ١٧١-١٧٢
١٦٤- سورة المائدة : الآية ٧٥
١٦٥- يو ١٧ : ٣
١٦٦- الاقانيم الممتازة عند النصارى : مذهب الكاثوليك (الملكانية) عيسى انسان واله ، مذهب الارثوذكس (اليعاقبة) عيسى إله مجسم
١٦٧- اظهار الحق ٢/ ٣٤٤ بتصرف بين
١٦٨- الاعتقاد الاول : هو التوحيد الحقيقي . والاعتقاد الثاني : هو الرسالة للمسيح عليه السلام . .
١٦٩- مر ١٢ : ٢٨-٣٤
١٧٠- متى ٢٣ : ٩-١٠ الراجح ان المراد «بالمعلم» هنا محمد صلى الله عليه وسلم
١٧١- يو ٢٠ : ١٦
١٧٢- يو ٦ : ٢٩
١٧٣- يو ٧ : ١٤-١٦
١٧٤- يو ٧ : ٢٢-٢٣
١٧٥- يو ١٤ : ٢٣-٢٥
١٧٦- سورة النجم الايتان ٣، ٤
١٧٧- يو ١٣ : ١٣
١٧٨- يو ١٣ : ١٦
١٧٩- يو ١٧ : ٣
١٨٠- مت ٧ : ٢١-٢٧
١٨١- هذه تعاليم منثورة في اصحاحات الاناجيل وانظر مت ١٨
١٨٢- سورة مريم : الآيات ٣٣-٣٦ . .



ينبغي أن يسبق هذا المدخل ذكر لعصر التاريخ المبكر وعصر ماقبل التاريخ . وهما عصران لم تتضح بعد الصورة الأولية لهما نظرا لقلة العمل الأثري في اليمن بهذا الخصوص . وقد انبأت الشواهد القليلة المتوفرة عن فترات العصر البرونزي والعصر الحجري وهي العصور السحيقة التي ينبغي ان تسبق في العادة عصر التاريخ القديم او فترة الحضارة الراقية . بل ويرجح أن بلاد اليمن قد شهدت مراحل التحولات الحضارية الأولى التي عهدت في بقاع معهد الحضارات المعروفة مثل حضارة مابين النهرين وحضارة وادي النيل وحضارة وادي السند ، وحضارة بلاد الشام ، فموقعها المجاور والملامس لتلك البقاع يقتضي أن تكون قد عرفت حضارة مبكرة تشكل امتدادا لها أو من بعض أصولها . غير أن اليمن لم تنل حظها من الجهود الأثرية التي نالتها تلك البقاع ،ولما تكن بلاد اليمن يوما من الأيام في بقعة الضوء الأثري منذ أن بدأ عهد الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث ، ولما كانت الدلائل الأثرية القليلة التي تومئ الى تلك العصور السحيقة غير كافية ، كتلك اللقى الأثرية التي عثر عليها في ريبون او في وادي الجوبة أو في خولان .. ولابد من جهود كبيرة متضافر ة ومسح آثاري شامل وتنقيب علمي منظم يتم في هذه البلاد ، حتى يتسنى لها ابراز شواهدها الحضارية وكتابة فصولها التاريخية منذ اقدم العصور .

على ان هذا المدخل لايهدف الى تبيان ماتوفر من شواهد العصر المبكر والعصر الحجري او الى ذكر ماجاء من الأخبار عن الأمم الماضية مثل العرب البائدة الذين جرى ذكرهم في التنزيل وابادهم الزمان وأفناهم الدهر فاندثرت أخبارهم لتقادم انقراضهم وذهبت عنا حقائق شتى من تاريخهم .. ولعل فرصة أخرى تتاح لنا لتناول ماعنّ لنا من ومضات ولمحات تجلو شيئا من غياهب تلك الحقب .

اما مجال هذا المدخل فهو محاولة لرسم اطار زمني لعصر مايصطلح عليها بالتاريخ القديم، اي فترة تاريخ اليمن القديم او فترة تاريخ الحضارة الراقية في اليمن القديم. وهي تمثل حينا من الدهر برز فيها سكان بلاد اليمن من غسق التاريخ الى ضحاه ودلت على دورهم التاريخي لقى اثرية مميزة وشواهد كتابية معلومة، ضمت حروفا أبجدية خاصة صوتا ورسما، وتومئ الى حضارتهم قرائن خارجية ثابتة تد ل ان أمما اخرى في ذلك الزمان تناقلت طرفا من اخبارهم وتبادلت شيئا من سبل معاشهم.

يمكن تقسيم الاطار الزمني لتاريخ اليمن القديم الى عصرين: العصر الأول ويبدأ من «ضحى التاريخ» في مطلع الألف الأول قبل الميلاد حتى ضعف مراكز الحضارة اليمنية في المشرق في اواخر الألف قبل الميلاد، أي مايوافق منذ بداية ازدهار طريق اللبان البري حتى أن ضعف هذا الطريق وبداية ازدهار طريق التجارة البحري.

والعصر الثاني ويبدأ بقيام دولة حمير وازدهار مراكز الحضارة في الهضبة حيث القيعان الفسيحة والجبال المنيعة، وينتهي بافول نجم الحضارة اليمنية وانتهاء ملك حمير. أي منذ حوالي القرن الأول الميلادي حتى القرن السادس وذلك حوالي خمسمائة سنة.

ويستند هذا التقسيم الى معطيات تاريخية وجغرافية ليس هنا محل تفصيلها ولكن القارئ سيتبين مجملها من خلال مطالعته لهذا المدخل .. على ان المعول عليه هنا هو التيسير بالدرجة الأولى، إذ ان العصرين يتداخلان، ومن الصعب رسم خط فاصل بينهما. فقد تزامنت فترات من العصرين؛ كما لم يكن الانتظار من الأول الى الثاني انقطاعا وانما امتدادا واستمرار. وهذا هو تصورنا لتقسيم التاريخ الى عصور فالعصور ليست مسارات زمنية مختلفة وإنما هي في حقيقة الأمر مظاهر مختلفة لمسار زمني واحد.

العصر الاول:

ليس بوسع المرء ان يقرر بثبات متى بدا هذا العصر، ولكن اقدم المعلومات المعتمدة والتى وصلتنا الى الآن، تدل على حضارة يمنية راقية، يعود تاريخها الى القرن العاشر قبل الميلاد. وتقترن هذه المعلومات بذكر سبا التى ارتبطت بها معظم الرموز التاريخية في اليمن القديم، والتي هي بالفعل واسطة العقد في هذا العصر .. ويمثل تاريخ دولة سبا، وحضارة سبا فيه عمود التاريخ اليمني. بل إنه من الممكن ان يزعم المرء ان ليس في تاريخ اليمن القديم كله مايضاهي تاريخ دولة سبا وحضارة سبا. فسبا عند النسابة هو ابو حمير وكهلان ومن هذين الجذمين تسللت انساب اهل اليمن جميعا. ومهما اختلف الناس في امر الأنساب، إلا انها ولاريب جزء هام من علوم الانسان وهي وإن جانبت الدقة والصواب احيانا، إلا انها رغم ذلك، تعكس صدى مفيدا لمسار التاريخ، وهجرة اهل اليمن في الامصار ارتبطت بسبا، حتى قيل في الامثال: تفرقوا ايدي سبا. والبلدة الطيبة التى ذكرت في القرآن الكريم هي في الاصل ارض سبا، كما ان سد مارب، وهو ابرز رموز اليمن التاريخية القديمة قد اقترن ذكره بسبا. وكان تكريمه بالذكر في القرآن، سببا في ذيوع ذكر سبا وحاضرتها مأرب قال تعالى: «لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور».

«فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور. وجعلنا بينهم

وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور" (سورة سبأ الآيات ١٥-١٩) .

فتاريخ سبأ هو في حقيقة الأمر سناد التاريخ اليمني القديم وعموده ودولة سبأ في العصر الاول هي أكبر وأهم تكوين سياسي فيه . وما تلك الدول التي تذكر معها ، سوى تكوينات سياسية كانت تدور في الغالب ، في فلكها ، ترتبط بها حينا ، وتنفصل عنها حينا آخر . مثل دولة معين وقتبان وحضرموت . او تندمج فيها لتكون دولة واحدة مثل دولة حمير ، والتي لقب ملوكها بملوك سبأ وذي ريدان، وذو ريدان هم حمير ..

وأرض سبأ في الاصل هي منطقة مارب . وتمتد الى الجوف شمالا ، ثم ما علاها من المرتفعات والهضبات الى المشرق ، مثل مناطق أرحب وخولان وقاع صنعاء ، وقاع البون . وكانت دولة سبأ في فترات امتداد حكمها تضم مناطق اخرى بل قد تشمل اليمن كله ..

وكانت مارب اشهر مدينة يمنية قديمة هي عاصمة سبأ . وتدل الخرائب والاثار المنتشرة والتي تكتنف قرية مارب الصغيرة اليوم على الضفة اليسرى من وادي ,, اذنة ,, على ضخامة المدينة القديمةوكبرها ..

وكانت مساحة المدينة تزيد على كيلومتر واحد مربع . ويحيط بها سور عرضه متر تقريبا ، وله ثمانية أبواب . ويرجح ان التل الذي تقع عليه قرية مارب اليوم هو مكان قصر سلحين ، والذي ، ذكره العلامة الحسن بن أحمد الهمداني قبل ألف عام، والذي ورد ذكره مرارا بالاسم نفسه في النقوش اليمنية القديمة .

وكان موقع مارب في وادي سبأ على مشارف الصحراء . ويتحكم بطريق التجارة الهام المعروف بطريق اللبان وكان اللبان من احب أنواع الطيوب وأغلاها في بلدان الشرق القديم وحوض البحر المتوسط . إذ أن استعماله آنذاك لم يقتصر على المعابد ، التى كانت توجب حرقه بخورا لدى تقديم القرابين للآلهة ، وإنما كان يحرق أيضا لدى القيام بمراسيم الدفن ، وفي الاحتفالات العامة التى تقام لتكريم الأحياء . وكان يقدم أيضا كهدية ثمينة وقد يدخل في تركيب الأدوية .

وكان أجود أنواعه تأتي من اليمن ، حيث ينمو في الجزء الأوسط من ساحله الجنوبي في بلاد المهرة وظفار . وذلك بسبب توفر الشروط الطبيعية اللازمة لنموه ، مثل التربة والمناخ الملائمين . وهي شروط لم تكن لتتوفر في تلك البلدان التى تشتد رغبتها فيه وقد أدى ذلك الطلب المتزايد الى تطوير تجارة واسعة نشطة ، تركزت حول هذه السلعة وامتدت الى سلع أخرى نادرة ، عبر طريق اللبان المذكور .

وكان يمتد هذا الطريق بصفة رئيسية من ميناء قنا في مصب وادى ميفعة على بحر العرب الى غزة في فلسطين على البحر المتوسط مرورا بمدينة شبوه ومارب ، ثم يمر بوادى الجوف ، ومنه الى نجران حيث يتفرع الى فرعين ، طريق يمر عبر قرية الفاو في وادي الدواسر ومنه الى اليمامة وهجر في منطقة الخليج ، ثم الى جنوب وادى ـ الرافدين ، وطريق رئيسي يمتد من نجران نحو الشمال ، مارا بيثرب ثم ددان في شمال الحجاز . ومنها الى البتراء . ويتجه الطريق الرئيسي من البتراء نحو ميناء غزة بينما يتجه فرع اخر الى دمشق والى مدن الساحل الفينيقي .

على انه يتعذر ازدهار طريق طويل كهذا ، دون وسيلة نقل مجدية ، ويعتقد ان استئناس الجمل بحيث يصبح قادرا على

حمل الاثقال والمسافات طويلة كان نقلة هامة في ازدهار طرق التجارة عبر الجزيرة

ويرجح ان استئناس الجمل بطريقة فعالة . قد تم في العصر البرونزى أى في القرون الاخيرة من الالف الثانى قبل الميلاد . وذلك أمر يتوافق مع ماورد في التوراة من اشارات الى زيارة ملكة سبا للنبى سليمان عليه السلام . في القرن العاشر قبل الميلاد .

وقد تقتضي هذه الزيارة وجود مثل هذا الطريق ويمكن أن يستدل ايضا على مايفيد بوجود علاقات تجارية . كانت قائمة انذاك بين بلاد الشام وبلاد اليمن . اذ تذكر الاخبار المرتبطة بتلك الزيارة أن ملكة سبأ احضرت معها كميات كبيرة من الطيوب ومنها اللبان .

وتعتبر أخبار هذه الزيارة كما وردت في التوراة أقدم الاخبار التى وصلتنا عن سبأ وحضارتها .

وقصة هذه الزيارة مشهورة . وقد طبقت شهرتها الافاق . وملأت أسماع الدنيا وشغلت الناس عشرات - القرون . وذكرتها الكتب السماوية وتواتر ذكرها في الأخبار وبقيت عالقة في الموروث الثقافي لعدد من الأمم بصيغ مختلفة . وروايات متعددة . وخاصة موروث أهل اليمن[ملكة سبأ عندهم رمز تاريخي كبير لحضارة يمنية قديمة راقية] وقد كرمت ملكة سبأ وقصة زيارتها للنبي سليمان بالذكر في القرآن الكريم قال تعالى - «وجئتك من سبا بنبا يقين . اني وجدت امراة تملكهم . واوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم . فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون،الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السماوات والارض . ويعلم ماتخفون وما تعلنون . الله لااله الا هو رب العرش العظيم . قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم . ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يأايها الملأ إني القي الي كتاب كريم . إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . الآ تعلوا علي واتوني مسلمين . قالت ياأيها الملاء افتوني في أمري . ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . قالوا نحن أولواقوة وأولوا باس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تامرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزةأهلها اذلة . وكذلك يفعلون . وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون»... الخ الآيات .

«صدق الله العظيم - (سورة النمل الآيات من ٢٠ - ٤٤» .

واذا كانت التجارة ومواردها المالي الوفير قد اسهمت بقسط وافر في الناس والحياة العامة وازدهارها في مراكز الحضارة اليمنية القديمة . وخاصة في قلب تلك الحضارة . ارض سبأ وعاصمتها مارب - فان سد مارب هو اهم شاهد على ان اليمن شهدن ايضا حضارة زراعية فائقة ..

وتشير بعض الدراسات الاثرية الجادة التي اجريت ميدانيا على آثار السد ان اسسه ينبغي ان تعود تاريخيا الى مطلع الالف الاول قبل الميلاد على الاقل . وهو امر يتوافق ايضا مع ما سلف ذكره من اخبار تنبئ عن حضارة يمنية راقية منذ مطلع الالف الاول قبل الميلاد ..

وبعد ملكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد ،تذكر النقوش عددا كبيرا من اسماء المكربين والملوك، الذين تولوا الحكم في دولة سبأ، وقد حاول احد العلماء ترتيبهم زمنيا خلال الالف الاول قبل الميلاد، فبلغوا ما يقارب الخمسين ابتداءا من القرن الثامن الى القرن الاول قبل الميلاد . ومن هؤلاء الحكام «يثع امر بين بن .سمه علي» التي تذكره الحوليات الاشورية حوالي عام ٧١٥ ق.م) مقترنا بالملك الاشوري سرجون الثاني . وتذكره النقوش اليمنية مقترنا ببعض المنشآت المعمارية ومنها انه سور مدينة

مارب (تاريخ سبأ فون فيسمن. ١٩٨٢، ص ١٠٤..

ومنهم ايضا كرب إل وتار بن ذمار علي، الذي بعث بهدية الى الملك الاشوري سنحريب، حسب مايذكر نقش بناء معبد بيت اكيتو في آشور حوالي ٦٨٥ق.م. ويرجح انه هو نفسه صاحب نقش صرواح الكبير والذي يذكر ان هذا الملك قد قام بعدة حملات عسكرية داخلية خلال فترة حكمه، يهدف منها الى تثبيت السلطة المركزية لدولته وتاديب من خرج عنه.. وشملت حملاته مناطق اوسان وغيرها من المناطق الجنوبية حتى باب المندب. كما شملت حملاته، مناطق امتدت ما بين نجران والمعافر وبعض مدن وادي الجوف، مثل نشان ونشق، ويذكر النقش انه كافأ الجهات التي حافظت على الولاء له مثل حضرموت وقتبان وانه قام باصلاحات واسعة في منطقة مارب ومنها في قصر سلحين وسور عددا من المدن اليمنية واصلح عددا من سبل الري والاراضي التابعة لها..

ومن المفيد ان يذكر هنا ان هذا النقش يعتبر من اقدم النقوش اليمنية يحوي اسماء عددا من الامكنة القديمة التي مازالت تحمل الاسماء نفسها الى اليوم، مثل صرواح وظهر ونجران ودثينة والمعافر وذبحان وشرجب وحبان وجردان وغيرها..

ويستفاد من النقش ان ذلك الحاكم تمكن من اقامة دولة مركزية قوية انضوى تحت لوائها كل اليمن تقريبا. كما جمع قبائل سبأ وجدد ميثاقها وقارب بين آلهتها ويستهل هذا النقش بما مؤداه: هذا ما تقدم به كرب ال وتار بن ذمار علي مكرب سبأ، بكونه ملكا الى المقه (إله القمر عندهم) والى سبأ وذلك يوم ان اخذ العهد على الناس ليكون لكل قوم منهم إله وراع وميثاق والتزام. (اي إله خاص بهم يعبدونه وراع إلهي يحميهم وحبل يعتصمون به وحق يؤدونه.. ويوم نظم لسبأ مجلس المعاشرة ليأتم الناس بهم وليطيعوا امرهم طاعة رجل واحد.. وبهذه المناسبة تقرب المكرب الى الاله عثار (الزهرة) بأضحيات ثلاث وغيرها من القرابين..

ويرجح ان المعاشرة في سبأ هم بمقام المثامنة في حمير، اي لا يصلح الملك لمن ملك سبأ الا بهم حتى يقيمه هؤلاء العشرة، وان اجتمعوا على عزله عزلوه. وهم كالمثامنة ابيات عشر يمثلها اشخاص بمؤهلات معينة يقومون بتنصيب الملوك وبمساعدتها على الحكم وابداء المشورة لها والنصح..

ويعتبر المكرب يدع إل ذريح بن اسمه علي اشهر حكام سبأ في امور البناء فقد عثر على نقوش عديدة من عهده تذكر منشآته المعمارية وخاصة المعابد، وقد ارتبطت باسمه معابد شهيرة باليمن القديم مثل معبد «اوام» البيضاوي الكبير «محرم بلقيس» ومعبد صرواح ومعبد في «المساجد» وغيرها من الابنية التي تنبئ آثارها عن مستوى راق من الاتقان المعماري والابداع الهندسي..

وظلت سبأ الدولة الكبيرة الام حتى القرن الرابع قبل الميلاد، حين خرجت عن سيطرتها مناطق عدة واستطاعت ان تكون دولا مستقلة..

ودخلت هذه الدول في منافسة مع سبأ وشاركتها نفوذها السياسي والتجاري: بل ان كل واحدة من تلك الدول لم تكن اقل شانا من سبأ في اوج ازدهارها. وهذه الدول هي معين وقتبان وحضرموت..

ففي القرن الرابع قبل الميلاد ظهرت دولة معين في الجوف بعد ان تمكنت مناطق الجوف بقيادة مدينة (يثل) براقش العاصمة الدينية من السيطرة على طريق اللبان التجاري بمساندة حضرموت وقتبان. ثم

اتجهوا شمالا واقاموا المحطات التجارية والمستوطنات المعينية على طرق التجارة مثل (قرية) في وادي الدواسر على الطريق بين نجران والبحرين (اي شرق الجزيرة) ومثل (ددان) في وادي القرى على الطريق بين نجران وغزة ..

ومن (قرنو) عاصمة الدولة المعينية انطلق اهل معين يرتادون الاسواق العالمية في فلسطين ومصر واليونان وغيرها .. وقد عثر بمصر على قبر تاجر معيني نقش عليه اسمه (زيد إل بن زيد) وكان يتاجر بالمر والقرفة في مصر ايام بطليموس الثاني ، حوالي ٢٦٤ ق.م.

وكان العالم القديم يعرف المعينيين وذكرهم مؤلفوا اليونان في كتبهم وسموا اللبان باسمهم على ان تلك المصادر لاتقصر الذكر على المعينيين وانما تذكر معهم ايضا في اليمن السبئيين والحضارمة والقتبانيين ..

وكان اول ذكر لقتبان قد ورد في نقش الملك (كرب إل وتار السبئي . وكانت حينها موالية لسبا التي خلصتها من سيطرة اوسان على ان قتبان مثل معين استطاعت ان تخرج من سيطرة سبأ في القرن الرابع قبل الميلاد، وان تمد نفوذها على حساب سبأ متحالفة مع حضرموت ..

وكانت عاصمتها (تمنع) في وادي بيحان وهو مقر قبائلها في الاصل . وفي القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد بلغت قتبان اوج نفوذها وازدهارها وشملت رقعتها مناطقا اوسان القديمة حتى ساحل بحر العرب ومدت نفوذها جنوبا لتشمل واحة الجوبة على بعد مسيرة يوم واحد من مارب العاصمة السبئية ..

وتميز القتبانيون بنشاط زراعي هائل فاقاموا مشاريع للري في الوديان وشقوا القنوات الطويلة وحفروا الابار وبنوا السدود واحسنوا استثمار موقعهم على طريق اللبان التجاري فجنوا من الزراعة والتجارة الخير الوفير وكانوا يعنون بسن الشرائع ووضع القوانين التي تنظم امورهم الاقتصادية وفي محل السوق القديم بهجر كحلان (تمنع العاصمة قديما) تقوم الى اليوم مسلة نقش على جوانبها تعاليم خاصة بسوق المدينة واسمه (سوق شمر) ويبين النقش اجمالا الرسوم المفروضة وفئات التجار وغير ذلك ..

كانت حضرموت في اقدم عهودها تابعة لدولة سبأ الكبيرة ثم موالية لها ، وفي القرن الرابع ق.م. ابان ضعف الدولة السبئية خرجت عن سبأ كغيرها وكونت دولة مستقلة . وقد نمت قوتها تدريجيا، واكتسبت اهمية فائقة خاصة لكونها تملك ارض اللبان في ظفار وكانت عاصمتها (شبوه) التي كانت تقع في اقصى غرب وادي حضرموت على اطراف مفازة(صيهد)وكانت تشمل في عز ازدهارها ظفارا ارض اللبان والنطاق الجبلي الجنوبي الممتد حتى ساحل بحر العرب وتمتد شمالا باتجاه الربع الخالي حتى العبر . بالاضافة الى موطنها الاصلي وادي حضرموت وتبرز اهمية هذه الدولة بوضوح من خلال ذكرها وعاصمتها في المصادر الكلاسيكية ، إذ تذكر ان شبوة عاصمة حضرموت كانت مركزا هاما لتجارة اللبان ..

وكان اللبان ينقل على الجمال الى شبوة فيفتح له باب واحد وكان اي تهريب او انحراف عن الطريق يعتبر جريمة وعقابها الموت .. وكان الكهنة يطلبون العشر كيلا .. وجزء من ذلك المال كان يصرف رفادة للضيوف في ايام معدودة من السنة ..

وكانت دولة حمير آخر دول اليمن القديم ظهورا وذلك في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد وقد وافق ظهور هذه الدولة بداية التقويم الحميري والذي يرجح انه بدأ (١١٥ ق.م) ولكن حمير لم تبرز كقوة كبيرة الا في القرن الاول بعد الميلاد وبتاريخ حمير يبدأ العصر الثاني من تاريخ اليمن القديم

العصر الثاني

في اواخر العصر الاول وخاصة في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد اتى على اهل اليمن حين من الدهر قللوا فيه من اهتمامهم بالزراعة واعتمدوا كثيرا على الرخاء الذي تدره عليهم القوافل التجارية ، وتكرست الفرقة فاصبح في اليمن خمس دول في آن واحد هي : سبأ وقتبان ومعين وحضرموت وحمير، واصبحت عواصمها باستثناء حمير، اشبه ما تكون بدول مدن القوافل التي يخضع ازدهارها وسقوطها للاوضاع التجارية والاطماع السياسية كما حدث لبتراء ولتدمر والحضر في شمال الجزيرة ..

وتمكن البطالمة الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك من التعرف على اسرار الملاحة في البحر الاحمر، ومواقيت حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي، فشرعوا يتجرون بحرا دون وساطة اليمنيين الذين كانوا يسيطرون على طريق اللبان البري وهو الطريق الذي كان يمر عبر عواصم الدول اليمنية في المشرق ، وتحول النشاط التجاري بين حوض البحر المتوسط وحوض المحيط الهندي تدريجيا من الطريق البري الى الطريق البحري فبدأ يخف عطاء الطريق البري وتأثرت به الدول اليمنية القديمة كثيرا مما اضعف من قوتها وانقص من هيبتها فطمع بها الناس دولا وقبائل . فكانت حملة (اليوس جاللوس) الرومانية التي اخفقت عند اسوار مأرب عام ٢٤ ق.م في محاولة للسيطرة على الطريق البري والاستيلاء على بلاد اللبان ..

وطمعت القبائل البدوية المتنقلة في الصحراء بحواضر الدول اليمنية ومحطاتها التجارية خاصة بعد ان تضرر اهل البادية انفسهم نتيجة نقص مواردهم التي كانوا يجنونها من الطريق كجمالة او حماة قوافل . فكانوا يهاجمون المحطات والمدن كلما مسها الجوع وآنست ضعفا من اهلها .. وساعدهم على ذلك اتخاذهم الفرس سلاحا فعالا في غزواتهم حيث كانوا ينقضون بسرعة وقوة على ثغور تلك الدول ثم يعودون فارين الى قلب الصحراء . مما اضطر كثير من سكان الوديان على اطراف الصحراء الى هجر ديارهم والاحتماء بالمرتفعات في الداخل ..

وقد ساعد هذا الوضع على نمو قوة حمير التي حاولت الاستفادة من انتعاش الملاحة والتجارة على البحر الاحمر فاقامت لها موانئ عليه وبنت لها اسطولا ..

كما اسست عاصمتها ظفار في قلب المرتفعات اليمنية بعيدة عن الصحراء وهجمات البدو وذلك في قاع الحقل بسند جبل ريدان .

كما ازدهرت مدن الهضبة اليمنية في القيعان بعد ان كانت مدن الوديان الشرقية تحجب عنها المكانة والسمعة وزادت سلطة الاقيال بعد ان قل هيبة السلطة المركزية في مارب حتى تمكن بعض هؤلاء من منافسة السلطة التقليدية فيها واعلان نفسه ملكا على سبأ ودخلت اليمن في فترة من الصراع على اللقب الملكي في سبأ اشبه ما تكون بفترة ملوك الطوائف ، وبدخول حمير الصراع حول اللقب اصبح كل حاكم ينشد ان يكون ملكا على سبأ وحمير معا.. او «ملك سبأ وذي ريدان» مثل بني همدان في ناعط وبني بتع في حاز وبني مرثد في شبام وذو جرة في نعض بالاضافة الى سبأ في مارب وحمير في ظفار وقتبان في تمنع وحضرموت في شبوه ..

وكانت دولة معين في هذا العصر قد انتهت .. كانت قد ضمت الى سبأ في القرن الاول قبل الميلاد وبدأ الضعف يدب في قتبان خاصة تحت ضربات دولة حضرموت منذ مطلع القرن الاول الميلادي، ثم ما لبثت ان

انتهت في القرن الثاني الميلادي وضم ما تبقى منها الى حضرموت وفي القرن نفسه انتهى حكم الاسرة التقليدية السبئية في مارب . علما بان مارب نفسها لم تفقد اهميتها كعاصمة او مدينة حينذاك ..

ومما زاد الصراع حدة بروز دولة اكسوم في الحبشة وهي الدولة التي قامت نتيجة استيطان يمني دام قرونا هناك، وساعد انتعاش الملاحة في البحر الاحمر على ازدهارها ودخلت مع حكام اليمن في صراع او تحالف حسب ما تقتضيه ظروفها ، على ان فترة النزاع هذه ما لبثت ان تبلورت في محاولة توحيد السلطة واقامة دولة مركزية واحدة ..

وكان اول من قام بهذه المحاولة الملك «شعر اوتر بن علهان نهفان» الذي حمل لقب ملك سبا وذي ريدان واتخذ من مارب عاصمة له ومد نفوذه الى كثير من بقاع اليمن بما فيها حضرموت. وذلك في اواخر القرن الثاني بعد الميلاد. كما حاولت ظفار ومارب توحيد قواهما ضد الحبشة بل وتوحيد السلطةإبان حكم الملك الشهير (إلي شرح يحصب) والذي شاركه الحكم اخوه يازل بين ، وكان ذلك في اواخر النصف الاول من القرن الثالث الميلادي ..

وفي الربع الاخير من القرن الثالث انتهت حضرموت كدولة على يد «شمر يهرعش بن ياسر يهنعم) وهو الملك الذي تنسب اليه الاخبار كثيرا من البطولات والامجاد بل من ابرز الشخصيات الملحمية في قصص اهل اليمن .. وقد استطاع هذا الملك ان يوحد الكيانين السياسيين الباقيين ، وهما سبا وحمير، في كيان واحد ، واقام حكما مركزيا قويا، وحمل لقب ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمانة ، وانتهت مارب كعاصمة وحلت محلها ظفار . وقد عرفت هذه الفترة التي تبدا بتوحيد المناطق اليمنية في وطن واحد وسلطة مركزية واحدة عاصمتها ظفار بفترة حمير . وهي الفترة التي بقيت ذكراها عالقة في اذهان الناس وتناقل الرواة اخبارها بعد الاسلام ، اكثر من اية فترة سابقة من تاريخ اليمن القديم ..

كانت حمير (او دولة سبا وذي ريدان الخ ..) آخر الدول اليمنية القديمة زمنا ، ولكنها كما سلف ذكره، ابقاها ذكرا عند المؤرخين والاخباريين العرب ، وكان المؤرخ اليمني الحسن بن احمد الهمداني قد افرد لسيرتها ثلاثة مجلدات من كتابه الشهير (الاكليل) ومما يؤسف له ان هذه المجلدات الثلاثة تعتبر من اجزاء الاكليل المفقودة، كما ان هذه الدولة اكتسبت سمعة كبيرة في عصرها فقد وصفها صاحب كتاب «الطواف حول البحر الاريتيري) بانها الدولة الاولى في بلاد العرب ..

ويذكر نقش يمني ان عامل شمر يهرعش في صعده ، ريمان ذو حزفر اشترك في عدة حملات وجهها هذا الملك الى شام اليمن ، ثم استمر غازيا او في سرية ، حتى وصل الى طيسفون، وكوك (المدائن) مدينتي فارس وعاصمة الدولة الساسانية على نهر دجلة وبلغ ارض تنوخ ، وتنوخ هو اتحاد القبائل العربية الذي كان اساس ما عرف بعد ذلك بدولة (اللخميين) في الحيرة ، ويبدو ان امرئ القيس بن عمرو ، من مؤسسي تلك الدولة ، كان ممن وقف في سبيل الحملة اليمنية ، ويذكر نقش النمارة الذي عثر عليه على قبر امرئ القيس انه قام بحملات عسكرية باتجاه جنوب الجزيرة ، بلغت نجران مدينة شمر . ويعتقد ان امرئ القيس هذا كان في حملاته تلك بمثابة راس حربة للدولة الساسانية التي كشفت عن اطماعها

في جزيرة العرب من خلال غزوات سابور ذي الاكتاف التي فصلها الطبري في تاريخه . ويعتقد انها حدثت في هذه الفترة نفسها ..

وفي نقش يمني اخر عثر عليه في عبدان منذ عهد قريب ، يدون اقيال حميريون من (الايزون) اخبار حملتهم العسكرية في منتصف القرن الرابع الميلادي وتمثل هذه الحملات اندفاع الحميريين نحو الشمال بعد الاحداث السابقة بزمن يسير .. واهم حملات الحميريين التي يذكرها النقش هي تلك التي بلغت مناطق اليمامة والبحرين «شرق الجزيرة» وارض الازد (ازد عمان) ومناطق قبائل معد ونزار وغسان ..

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي تولى الحكم ابو كرب اسعد بن ملكي يهأمن، المشهور باسعد الكامل، ويعكس لقبه سعة نفوذ دولة حمير في عهده فهو ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة ، واعرابهم طودا وتهامة ..

فقد كانت القبائل البدوية في المشرق مجتمعة في ظل رايته وكان اتحاد كندة في وسط الجزيرة مملكة تابعة له ، وفي وادي ماسل الجمح قرب الدوادمي)، عثر على نقش باسمه يذكر انه حل غازيا مع ابنه حسان يهامن في ارض(معد) وذلك يوافق ما ورد في كتب التاريخ والاخبار ..

كما تروي الاخبار انه مر بيثرب «المدينة» واعتنق الديانة اليهودية ومر بمكة وكسا الكعبة المشرفة ..

والمعروف انه لم يعثر على نقوش وثنية من عهده وعهد من خلفه وكانت قبل ذلك كثيرة الانتشار . ويقال ان الناس في اليمن بدأوا يهجرون عبادة الاصنام ، فمنهم من دخل اليهودية ومنهم من اعتنق النصرانية ومنهم من بقي علي وثنيته .. ويرى اهل العلم ان اسعد الكامل هذا هو المشار اليه بقوله تعالى : «اهم خير ام قوم تبع» سورة الدخان ـ آية ٣٧ـ

وقد ارتبط بذكر ابي كرب اسعد كثير من الاخبار والاقاصيص تشكل في مجملها ملحمة تاريخية تمجد اعماله وفتوحاته داخل اليمن وخارجه ، وتنسب اليه عددا من المدن التاريخية اليمنية مثل ظفار وبينون وغيمان وخمر وغيرها .. وما زال الناس الى اليوم ينسبون اليه الكثير من بقايا الاثار القديمة مثل السدود والجروف (والكرواف) والطرق وغيرها . بل ان كل ما تقادم العهد عليه فهو عند بعضهم اسعدي كقولهم «عادي» او من صنعة قوم عاد لكل ماهو قديم عامة ..

وفي عهد ابنه شرحبئيل يعفر اندحق سد مارب وهدد الجنتين بالخراب، فكان ان جمع الناس لاصلاحه فتم لهم ذلك واعادوه سويا كما كان .. وقد دون ذلك الخبر والجهود التي بذلت في نقش مازال موجودا في مارب الى اليوم ، ويعود تاريخه الى منتصف القرن الخامس الميلادي ..

وكان سد مارب خلال عمره الطويل يتصدع بين الحين والاخر لاسباب عديدة منها السيول الكبيرة التي تنتج عن امطار غزيرة وفيضانات مما يدخل عموما في الكوارث الطبيعية ، ومنها الزلازل ومنها الاهمال وضعف السلطة المركزية ..

وقد جرت العادة ان يهب الناس عندما يحدث ذلك، الى مكان السد بغية العمل والتعاون في اصلاح ما تهدم منه ، ويتولى تنسيق عملهم وتمويله سلطة مركزية قوية تجمع الارادة وتحشد الامكانات اللازمة غير ان تفجر السد الاكبر والاخير لم يكن عاديا.

كان خارقا للعادة ، وكارثة كبيرة اتت على معظم بنيان السد وجرفت معظم منشآت الجنتين فكان ان شل نظام الري «باجمعه» وبدلت صورة الحياة في تلك الارض تماما، وقد ذكرت في القرآن الكريم العبرة الالهية والسبب في ذلك. قال تعالى : «فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ، ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور ..

وقد تفجر السد نهائيا في حوالي منتصف القرن السادس الميلادي ، اي بعد تفجر السد في زمن شرحبئيل يعفر بما ينيف عن قرن من الزمن، وهو غير التفجر الذي حدث عام ٥٤٢ في عهد ابرهة ،والذي تمكن هو ومن معه من اهل اليمن من اصلاحه ودون ذلك في نقش كبير فصل في نفقات اصلاحه والجموع التي شاركت في ذلك والوفود الاجنبية من فارس والروم والغساسنة والمناذرة ، التي وصلت للمشاركة في الحفل الذي اقيم لتلك المناسبة ..

وكان آخر من حكم من ملوك حمير قبل دخول الحبشة الى اليمن في عام ٥٢٥ للميلاد، رجل اسمه «اسار يثار» من العائلة اليزنية ، واشتهر بذي نواس . ويقال انه تسمى بيوسف بعد ان اعتنق اليهودية . وكان الحبشة يدينون بالنصرانية . وفي اليمن دان اقوام بالمسيحية ايضا منذ ان دخلت اليه في حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي ومن اولئك نصارى نجران ..

وكان النفوذ الحبشي قد اشتد في اليمن، فاشتبك ذو نواس معهم في معارك طاحنة، كانت الغلبة فيها اول الامر لذي نواس ،حيث الحق بهم الهزائم تلو الاخرى وانتهت بحرق كنائسهم وتعقبهم في كل مكان . ولم يشأ اهل نجران ان يتركوا دينهم ويعتنقوا بدلا منه دين ملكهم ، فما كان من هذا الملك الا ان دمر كنائسهم واحرقها وقتل المؤمنين منهم بالنصرانية والقاهم في الاخدود ..

ويجد المرء ما يوافق تلك الحادثة والعبرة في سورة (البروج) قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم (والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهدا ومشهود * قتل اصحاب الاخدود * النار ذات الوقود * اذهم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد) صدق الله العظيم .. (سورة البروج الآيات من ١-٩)..

وانسحب الاحباش بعد هزائمهم في تلك المعارك ليعودوا من جديد بعد سنوات لغزو اليمن، وتمكنوا بمساعدة امبراطور الروم من الحاق الهزيمة بذي نواس واحتلال اليمن، وكان ذلك عام ٥٢٥ للميلاد ..

وكان ممن قام بالامر في اليمن واليا لنجاشي الحبشة ، شخص يدعى ابرهة، وهو نفسه الذي ذكر تهدم سد مأرب في عهده فقام باصلاحه، وذلك عام ٥٤٢ للميلاد .. ولكنه ما لبث ان استقل بالامر وسمى نفسه ملكا على اليمن . وقام بغزوات عديدة لاخضاع القبائل المتمردة عليه في الداخل، وباخرى لمد نفوذه في الجزيرة .. على ان دولته لم تدم طويلا ، اذ ان الفرس بدأوا يتحينون الفرص للسيطرة على اليمن ضمن صراعهم الطويل، مع الروم وتنافس الطرفين على كسب مناطق نفوذ لهما . فكان ان ارسل الملك الساساني عن طريق ملوك الحيرة، قوات فارسية الى اليمن. تمكنت. بالتعاون مع قائد يمني من ذي يزن اشتهر باسم (سيف) من تقويض نفوذ الاحباش في اليمن وطردهم ..

على انه مما بقي عالقا في اذهان اهل

اليمن وتواترته اخبارهم قصة حملة ابرهة الفاشلة على مكة وهي الحملة التي قصد منها هدم الكعبة، واتخاذ القليس في صنعاء كعبة يحج الناس اليها بدلا منها .. وقد اشار القرآن الكريم الى هذه القصة في سورة الفيل .قال تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم* الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل* الم يجعل كيدهم في تضليل * وارسل عليهم طيرا ابابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول) ..

وفي عام الفيل ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة ، وروي ان جده عبدالمطلب بن هاشم كان من جملة الوفود التي وصلت الى صنعاء لتهنئة سيف بن ذي يزن بانتصاره على الحبشة ، وتوليه سدة الحكم في اليمن، الا ان ذلك لم يدم طويلا ، فقد قرر كسرى الثاني (برويز) الملك الساساني ان يجعل من اليمن ولاية فارسية وكان ان تم له ما اراد . وعين واليا فارسيا عليه في حوالي عام ٥٩٨ للميلاد ..

وبينما كان اهل اليمن يعمهون في دوامة القهر والاحتلال والضلال ، يرتجون مخرج صدق ، ظهرت دعوة نبي كريم في مكة، وبلغت مسامعهم تباشير هدى البعثة فأجابوا الدعوة، ودخلوا في دين الله افواجا . وما هي الا بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد، حتى كان اهل اليمن في طليعة المجاهدين في سبيل الله والفاتحين لامبراطوريتي الفرس والروم، واضحت بلادهم بلاد اليمن جزءا لايتجزأ من دولة الخلافة الجديدة ودرة غالية في عقد ديار الاسلام النضيد ..

المصادر والمراجع الرئيسية :

ا- العربية:

- القرآن الكريم
- الاكليل للحسن بن احمد الهمداني الاجزاء ١، ٢، ٨، ١٠
- صفة جزيرة العرب للحسن بن احمد الهمداني ط اليمامة
- القصيدة : الحميرية وشرحها لنشوان بن سعيد الحميري . القاهرة (١٣٧٨هـ) .
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد المغربي ، تحقيق كروب ،هايدلبرج .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي
- رحلة اثرية الى اليمن لاحمد فخري
- اليمن الكبرى لحسين الويسي
- تاريخ حضارة اليمن القديم لزيد عنان
- في تاريخ اليمن شرح وتعليق على نقوش لم تنشر لمطهر الارياني
- اوراق من تاريخ اليمن وآثاره ليوسف محمد عبدالله
- مجلة ريدان ، المجلدات ١-٤

ب - الافرنجية :-

- Die Geochichte New Saba' II, H. Vew eissmann, Wien (1982).
- Arabien; A.Grohmann, Miinchen (1963).
- LnscriZioni sudarabishe, Vol.1 Napoli (1974).
- Corpus Inseriptiorm Semiticarum TV, parisiis 1889 - 1911-1929)8
- New Ephemeris fur Semitische

Epigraphilc,
- Warfare in Ancient Sntl Arabia, A.F.L. Beeston, London, (1976)
- Sabaen Lnscripions few Mahran Bilqis, A.Jamme, Baltimore (1962).
- Himyantica, dans Le Museón, J.Ryclcmons.
- Le Hantes - Terres du Nord- Yemen Auaak L'islam Ton 1, II; ch. Robin, (1982).

صفحات من تاريخ اليمن

بقلم / عبد السلام علي عثمان الخلاني

المدخل : -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الانبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي هدى الله به الانسانية كلها فأنقذها من الضلال وحررها مما كانت ترسف فيه من اغلال العبودية المعنوية والمادية . وبعد :

تقود دراسة التاريخ الانساني الى اكتشاف قوانين عامة تحكم حركة الكون والكائنات وتؤثر فيها تبعا لما يصدر عن تلك الكائنات من أفعال أو مواقف . وتمارس المعرفة التي يملكها الانسان دورا مؤثرا في تحديد التوجهات والاختيارات الانسانية ، وفي تشكيل الرؤية المنهجية لدى الافراد والمجتمعات ، ومن ذلك مناهج التفسير التاريخية ، وتضفي مصداقية المصدر المعرفي على التفسيرات التاريخية أهمية خاصة وتمنحها قيمة تطبيقية على صعيد تغير الواقع الانساني نحو الافضل . .

مناهج التفسير التاريخية

سيتم الاكتفاء بالاشارة الخاطفة الى منهجين تفسيريين هما : التفسير الاسلامي للتاريخ والتفسير المادي الماركسي «المادية التاريخية» ليس لانهما المنهجين الوحيدين في العالم ولكن لانهما يصدران عن رؤية عامة وشاملة تستوعب الكون والحياة ، تستند عليها في تفسير وتعليل وتوجيه حركة التاريخ ، وفيما يلي عرض لبعض السمات الخاصة بكل منهما :

أ : منهج التفسير الاسلامي :

١ - يتكئ في تفسيراته على المصدر الشرعي من قرآن وسنه .

٢ - الحدث التاريخي نتاج اتحاد القوى والعوامل والطاقات التي أودعها الله في الكون والعالم ، المادة والروح ، الطبيعة والغيب ، التراب والحركة ، القدر والحرية ، ففي معركة بدر الكبرى تحقق النصر للمسلمين برغم قلة عددهم نتيجة لاشتراك الملائكة معهم في قتال المشركين : «اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان» (الانفال آية ١٢) كما تشكل الريح في غزوة الاحزاب أداة لصناعة حدث تاريخي له أهميته حيث ولى المشركون الادبار مذعورين مع ان كافة المقومات المادية كانت تشير إلى أن المعركة سوف تؤول نتيجتها لصالحهم ، يقول تعالى : «يا أيها الذين آمنوا

اذكـروا نعمـة الله عليكم اذ جاءتكم جنـود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا» (الاحزاب ٩).

٣ـ يتحدد شكـل ومضمـون الحدث التاريخي بموقف الانسان من منهج الله وشرعه فالناس اما متحققون بأمر الله ونهيه فيهيئ الله لهم الاسباب والظروف المواتية لتحقيق التقدم المادي الذي يتيح للانسان فرصة التمتع بطيبات الحياة وخيراتها كما يضمن له الخلود في جنات النعيم في الحياة الاخرى ، واما معرضين فيأخذهم الله اخذ عزيز مقتدر عبر سلسلة من العقوبات المادية كالاخذ بالسنين ونقص الاموال والثمرات والانفس كما يذكر ذلك القرآن الكريم عن الامم السابقة وماحل بها من عقوبات ، كقوم نوح ، وعاد وقوم صالح ، وفرعون . . الخ . . «سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا» يقول تعالي : «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون» (الاعراف ١٣٠) ويقول : «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين» (الاعراف الأية ١٣٣) .

٤ ـ في التفسير الاسلامي عمل السنن الالهية مطرد لايتخلف بحسب التوضيح الملمع اليه في الفقرة السابقة .

ب ـ تفسير المادية التاريخية الماركسية :

ووفقا لهذا التفسير يشكل صراع الطبقات الناجم عن تخلف علاقات الانتاج عن مواكبة مايطرأ من تطور على وسائل الانتاج الدينمو المحركة للتاريخ ، وتتفق الكتابات المحايدة على ذكر بعض المآخذ على هذا المنهج بحيث يبدو كوجهة نظر أو فكرة متجاوزة تاريخيا وتفتقر الى الاغناء والتطوير والتعديل بما يتفق وموقف الانسانية الراهن ، ومن تلك المآخذ على سبيل المثال مايلي : ـ

١ ـ أخطاء منهجية : اذ انه يغفل قيم كثيرة لايستقيم تاريخ الحياة ولايصح تفسير الحوادث والنتائج بدونها واخطاء في التصوير نتيجة النظر من زاوية واحدة للحياة البشرية واخطاء في النتائج تبعا للاخطاء المنهجية والتصويرية .

٢ ـ يرتكز على مايسمى بالحتمية التاريخية ، وليس هناك في الواقع التاريخي مايؤيد مثل هذا الزعم كما انه من جهة أخرى قد بني على أطروحة قائمة في ماض سحيق غير مدون ، يتحرج علماء التاريخ والاجتماع من الحديث عنه ـ بسبب عدم وجود أية أدلة يمكن الاستناد عليها ـ بله إصدار قرارات حتمية . .

٣ ـ يفتقر الى شرط الاطراد ، اذ الملاحظ ان قانون الصراع الطبقي يستمر في اداء رسالته الحميدة في تمهيد السبيل لقيام حكومة البروليتاريا ولكنه يتوقف مع ظهور المجتمع الشيوعي ، ويرى البعض في هذا الاستثناء بعض آثار الرغبة التي تسخر أو تطمح الى تسخير كل شيء بحيث يتواءم وينسجم معها ، وهو أمر اساء الى ماقدم على انه قانون علمي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكل هذا يتناول بالطبع البناء الشكلي لهذا المنهج اذ أنه على مستوى الواقع التاريخي ليس هناك نظاما أو تشكيلة اجتماعية قد خرجت من رحم الصراع الطبقي ، حتى التطور الذي تم في دول المعسكر الاشتراكي فقد تم بفعل قسري وشكل بحد ذاته وثيقة اثبات على بطلان هذا القانون وقصوره ، وهذا كله لاينفي أن هذه الفكرة الماركسية قد تولدت من معاناة قاسية وانها حظيت بتقدير كبير من بعض المختصين والمهتمين وبترحيب واسع من المضطهدين من العمال والمحرومين الذين اطمأنوا الى ان معاناتهم لن تدوم طويلا فخلاصهم حتمي ولا ريب . . ومهما يكن فالفكرة يجب ان تؤخذ على انها بنت زمانها ومكانها ، والذهاب بها ابعد من ذلك يجعل منها لاتاريخية ـ فكرة دينية مطلقة ـ وهذا امر لايدعيه أحد .

كيف يجب ان نفهم تاريخنا؟

وللاجابة على هذا السؤال لابد من ان نقف بامعان وانصاف أمام مجموعة الحقائق التي أشرنا الى طرف منها فيما تقدم ، اذ منها تستمد الاجابة مشروعيتها وتكتسب أهميتها وتأثيرها في تحديد المنهج الذي يتم في ضوئه فهم العملية التاريخية ، وتمكين الانسان من توجيه دفة التطور ورسم مسارات التاريخ . ولما كان القاسم المشترك لكل مناهج التفسيرات الوضعية هو اتصافها

بالقصور بسبب قيامها على تصورات انسانية يعوزها الاكتمال والاحاطة ، فإن اعتماد المنهج الاسلامي يبرز كضرورة موضوعية كونه بنية قرآنية مرتبطة بالذات الالهية التي أحاطت بكل شيء علما ، ولهذا فان أي مسعى واع وصادق الى فهم تاريخ شعبنا اليمني لن يتم الا من خلال هذا المنهج الالهي ، اذ أنه الوحيد المؤهل لابراز صورة الماضي البعيد والقريب ، حيث تتبدى مواطن القوة والضعف ، وتستجلي الدروس والعبر ، التي ينبني منها الحاضر وتمتد منها جسور المستقبل ، ومن بين صور الماضي البعيد تبدو صورة سد مأرب ذلك الانجاز العظيم والمعلم الخالد الذي عبر القرون المتطاولة محتفظا بصور الكفاح المجيد الذي خاضة الاباء لتذليل الطبيعة والتغلب على مشاقها ، ومحتفظا بالمواقف الابداعية لشعب عرف كيف يصنع في عصور التوحش والجفاف العقلي والخواء الروحي أقوى حضارة لايزال سنائها يشع من بين الحقب ومن خلف سجف العصور بنور غالب كل ظلام التاريخ . يقول تعالى : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور» (سبأ) وتتضمن الدراسة عرضا ضافيا تجنب زوائدالكلام واكتفى بمايوضح ملامح الصورة لجوانب مشرقة ومشرفة لبعض المظاهر الحضارية في إطار واحد هو «مظاهر الحضارة اليمنية» يحول دون تشتت الرؤية وفي ذات الوقت يسهل مهمة القارئ في اجتلاء الصورة واكتناه آفاقها خلافا لما درج عليه البعض من تقديم متقطع ومجزأ يقلل من حجم الفائدة ويتقاصر عن التعبير عن حقيقة ثابتة مؤداها ان الأمة كيان واحد متصل مترابط الحلقات ، ولايشكل التفاوت في العطاءات الحضارية سوى مؤشر على مايتعاور ذلك الكيان من ضعف وقوة . .

ولعل من الملفت للنظر ان يجد المرء في تاريخ شعبنا الحديث، اقتراناواضحا في شكله ودلالاته بين امتلاك الارادة والفعل من جهة وبين اعادة بناء السد بعد ان طال على ذلك الامد ، في ظل ظواهر تنم عن استيعاب شعبنا للسنن الالهية وادراكه لمدى الخسارة التي تنجم عن تجاهلها . فكان الميثاق الوطني دليل العمل واطار الممارسة المستمد من الشريعة الاسلامية الارض الصالحة والمناخ المواتي والقوة الدافعة للتاريخ الى الامام . .

كما تبدو من بين صور الماضي القريب اليمن تاج على هامة التاريخ الاسلامي ، أمة تتوثب الى استعادة دورها الحضاري ، فاذابنيها يتدافعون الى ساحة الوغى وميادين المعامع يدرؤون عن الانسانية مالحقها من استعباد ، يتسابقون على الموت من اجل ان يجد الاخرون الحياة الحرة الكريمة فكان لهم ما ارادوا وساهمو بالقسط الاكبر في تحرير بلادهم العربية التي كانت واقعة تحت سيطرة الفرس والروم ، ثم انطلقوا يجوبون الارض مشرقا ومغربا لنشر رسالة الاسلام وترسيخ دعائمه كأول وثيقة عالمية كفلت حقوق الانسان ، فوصلوا الى اقصى الشرق والى اقصى الغرب ، واشرقت في دنيا الاسلام اعلامهم كالشموس المضيئة ، فكان منهم القادة والعلماء والمفكرون والفقهاء . . . الخ . . وقد افسحنا لذلك المساحة التي تتيح ادراك ابعاد هذه الصورة على مساحة زمنية محددة هي صدر الاسلام ، دون اسراف أو مبالغة أو اطالة ، ولعل بعض الموضوعات قد تكون بحاجة بطبيعتها الى زيادة في البحث ، ولكنا وفقنا بين حجم الدراسة وعدم الاخلال بالجوهر الاساسي للمادة المعروضة . .

«والله نسأل ان يجعل هذا العمل مرضيا وموفقا انه نعم المولى ونعم النصير» . .

الممالك اليمنية القديمة

يرى البعض ان هناك مصدرين رئيسيين للتعرف على التاريخ اليمني القديم هما النقوش واستنتاجات المستشرقين المباشرة وغير المباشرة المبسوطة في كتبهم - كما جرت عادة كتاب التاريخ المحدثين الاكتفاءبالتحدث عن خمس ممالك يمنية قديمة هي التي تم العثور على نقوش تتحدث عنها وتناولها المستشرقون فيما كتبوه ، وقد اضيف هنا مملكة عاد أو قوم عاد الذين ورد ذكرهم في القرآن وبذلك فان الممالك اليمنية

القديمة هي : -
١ - قوم عاد : (الاحقاف) وذكر بعض المفسرين ان الاحقاف هي «منطقة الشحر» من اعمال حضرموت

٢ - معين : من القرن الرابع عشر قبل الميلاد وحتى ٨٥٠ ق.م وكان لها عاصمتان الاولى «قرناو» والثانية «معين»

٣ - سبأ . بدأت من حوالي ٨٥٠ ق.م وانتهت ١١٥ ق.م بقيام مملكة سبأ وريدان الحميرية وكان لها عاصمتان الاولى «صرواح» والثانية «مأرب»

٤ - حضرموت : من ١٠٢٠ ق.م - ٦٥ ب.م
٥ - قتبان وأوسان : ٨٦٥ ق.م - ٥٤٠ ق.م
٦ - سبأ وريدان وحضرموت ويمنات ٢٧٥ ب.م - ٥٢٣ ب.م عاصمتها «ظفار» ثم «صنعاء». وقبل التعريف بهذه الممالك يتوجب الاشارة الى الملاحظات التالية : -

١ - ان هناك اختلافا بين العلماء في تفسير كثير من كلمات المسند وتاريخ بداية ونهاية كل مملكة من هذه الممالك وترتيب ملوكها وزمن كل واحد منهم .
٢ - ان معظم الاثار والنقوش لاتزال مطمورة تحت الارض ، ولما يتوصل العلماء بعد الى اماكنها وان الجزم بالحقائق مرتبط الى حد كبير بذلك .
٣ - ان العزوف عن الاهتداء بالنصوص القرآنية ذو منشأ استشراقي وانه يتوجب علينا تقديم النصوص والتقريرات القرآنية على ماسواها وتوجيه العلماء للبحث في الخرائب التي سكنها الاقدمون للعثور على النقوش أو التماثيل أو ماشاكلها التي يمكن ان تقدم لنا التفاصيل التي لم ترد الاشارة اليها في القرآن . .
٤ - سوف يتم إفراد المنجزات الحضارية التي تحققت خلال حكم هذه الممالك بقسم مستقل ، ليتمكن الدارس من رؤيتها في إطار توحيدي يكون اكثر تعبيرا عن الروح المتصلة لتلك الحضارة . .

١ - قوم عاد : -

ورد ذكرهم في القرآن في مواضع متفرقة منه حيث كانوا يدينون بالوثنية ، وقد ارسل الله اليهم هودا فلجوا في مخالفته والاستهزاء به ، والاعراض عنه ، بسبب اغترارهم بما كان لديهم من القوة والمنعة . يقول تعالى : «فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة» وقد ظهر سلطانهم في الاحقاف من (حضرموت) ومنها تفرقوا في بقاع الارض ، حيث نزح جانب كبير منهم الى العراق وكان من نسلهم الاشوريون والبابليون والاراميون والكنعانيون وغيرهم من الامم الساميه التي هاجرت الى شمال العراق وأرض الكنانة . ولا نرى بأسا من ان نعرض لبعض من النصوص القرآنية التي تتحدث عن ملكهم وأحوالهم ، يقول الله تعالى في سورة الاحقاف «واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون ، فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا . بل هو ماستعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء باذن ربها فأصبحوا لايرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين» وفي سورة هود قال تعالى : «والى عاد اخوهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون ، قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة» - الى قوله تعالى «واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة» وقدر الله على جحودهم وغطرستهم تلك بأن اجرى عليهم سننه التي لاتحيد عن القوم الظالمين، يقول محمد ابن اسحاق «فلما ابوا الا الكفر أمسك الله عنهم القطر ثلاث سنوات فيما يزعمون حتى جهدهم ثم سخر عليهم بعد ذلك الريح سبع ليال وثمانية ايام حسوما حتى اتت

عليهم كما ورد في الآية التي سبق ان استشهدنا بها من سورة الاحقاف ..

٢ـ معين : من ١٤٠٠ ق.م ـ ٨٥٠ ق.م :

تعد من اقدم المالك اليمنية القديمة ، بيد انها ظلت مجهولة لدى المؤرخين فترة طويلة باستثناء بعض الشذرات التي وردت في كتب المؤرخين اليونانيين والرومان . ولعل عدم ورود

ذكرها كما هو الحال بالنسبة لمملكة سبأ في القرآن او التوراة قدساهم في تفشي مثل تلك الجهالة لدى المؤرخين ..

وبعود لمجهودات المستشرق (هاليفى) حوالي ١١٧٤هـ دور في بداية التعرف على تاريخ هذه المملكة من خلال استنطاق النقوش التي عثرعليها والتي بلغت (٣٠٣) نقشا منها «٧٩» نقشا من معين نفسها ، « ١٥٤» من براقش «٧٠» نقشا من السوداء . .

ملوكها :

بلغ عددهم «٢٢» ملكا ـ وكان نظام الحكم وراثيا ينتقل من الأب إلى الابن ، وهذا العدد من ملوكهم يمثل من ثم العثور على اسمائهم ضمن النقوش ، وهم يتكونون من خمس سلالات . ولمن شاء الاطلاع على مصادر البحث للتعرف على اسمائهم ومدة حكم كل منهم .. وقد سقطت هذه المملكة بعد هزيمتها أمام تحالف جيوش سبأوقتبان .

٣ـ مملكة سبأ : ٨٥٠ ق.م ـ ١١٥ ق.م :

يذكر المؤرخون انها سميت كذلك باسم مؤسسها عبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو الذي غزا بعض البلدان ، وبنى بعض مدن مصر «عين شمس» ثم عاد الى اليمن ومعه الكثير من الاموال وبنى سد مأرب ويقال انه سمي سبأ لكثرة سبيه وقد عثر على نسب السبأيين القحطانيين حسب ماقاله جواد علي في «تاريخ العرب قبل الاسلام» في صحيفة من النحاس في احد الخرائب اليمنية . .

لم تشتهر مملكة في بلاد العرب كاشتهارها فقد ذاع صيتها في آفاق العالم القديم وتناولها المؤرخون القدماء من اليونان والرومان ومن بعدهم مؤرخوا الاسلام . يرجع السبب في ذلك الى اتساع علاقاتها التجارية مع العالم الخارجي وتحدثت عنها الكتب السماوية سواء بالاشارة الخاطفة كما في القرآن أو بالاحاديث كما هو الحال في التوراة ..

يتضح من النصوص القرآنية التي وردت في سورة النمل وسورة سبأ أن هذه المملكة كانت على درجة عظيمة من القوة والازدهار الحضاري ، وأن ذلك قد دفع بأهلها الى الاغترار ومن ثم الكفر وان الله اجرى عليهم سننه فكان ذلك العقاب الموحش والمفجع ويرجح بعض المفكرين ان تلك الاحداث قد جرت بعد لقاء بلقيس لسليمان بفترة وان الكفر المنصوص عليه في الاية ليس الا كفران النعم وان الله قد تدرج معهم بالعقوبة على مرحلتين الاولى بارسال سيل العرم فدمر السد وأبدلهم بتلك الجنان صحاري ممتلئة بالاشجار البرية الخشنة لعلهم يرجعون ولكن مرحلة الشتات في العالم قد أتت في فترة متأخرة كرد على عنادهم وما اظهروه من تحد وعدم اكتراث او اعتبار ودعائهم لله (ربنا باعد بين اسفارنا) فكانت الاستجابة من الله «وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم شر ممزق» . .

يشير رئيس بعثة التنقيب الامريكية ويندل فيلبس في كتابه كنوز مدينة بلقيس تحت عنوان (ملكة سبأ) الى عثوره على نصوص يرجع تاريخها الى مابين القرن التاسع والعاشر قبل الميلاد في مكان يسمى (وادي الفأر) يبعد عن مدينة مأرب ٤٠ ميلا شرقا وقال إنها من صنع انسان قد يكون حيا بالقرب من المكان الذي كانت تعيش فيه بلقيس ملكة سبأ المعاصرة للنبي سليمان الذي عاش مابين سنة ٩٦١ ـ ٩٢٢ ق . م ولعل في هذا مايجعل التردد لدى البعض ممن لايزالون في ريب

من امر هذه الملكة وهل هي يمنية أم لا . . ؟ وكان يكفيهم الاكتفاء بالنص القرآني فهو أصدق من كل الروايات ولا يعلى عليه . .

مكاربة سبأ وملوكها :-

يرجح المؤرخون ان هذه المملكة قد ادركت القرن العاشر وربما ادركت ماقبله وهو ماذهب اليه المستشرقون مثل هومل وڤلبي ، وتؤكده الرواية التي سبق ان نقلناها عن ويندل فيليبس الذي ذكر ان النبي سليمان عاش مابين ٩٦١ - ٩٢٢ ق . م بالاعتماد على النصوص والنقوش التي تعد من أقدم ماعثر عليه في تاريخ جنوب الجزيرة . . ولذلك فان هذا هو التاريخ المعقول الذي يمكن تأييده بالاضافة الى مايذكر بنص قرآني ولا عبرة بما سواه من تخمينات . .
بلغ عدد المكاربة ١٣ مكربا وعدد الملوك ٢٦ ملكا وسوف يتم دراسة نظام الملك في الاطار التوحيدي العام (نظم الحكم في المالك اليمنية القديمة) . .

٤ـ مملكة حضرموت (١٠٢٠ ق . م ـ ٦٥ ب . م) :

دخلت في حروب كثيرة مع المعينيين انتهت بضمها الى مملكتهم بعد وفاة ملكها معدي كرب بن اليفع الذي حكمها سنة ٩٨٠ق.م واستمرت كذلك حتى ٦٥٠ق.م حيث انفصلت في أيام (أبيان بن ملك ويدع ال بين ابن سمه يفع) اللذين حكما حضرموت الى سنة ٥٩٠ق.م ثم أعيد دمجها ضمن دولة سبأ وفيها بعد ضمن دولة حمير التى سيطرت على اليمن بأسره . .

ملوكها :- ليس هناك وثائق أكيدة حول عددهم لكن المشترق فلبي قدم قائمة بأسماء ملوكها بلغ عددهم ١٨ ملكا خلال الفترة كلها على وجه التخمين ولا يمكن إصدار الحكم الحاسم إلا في ضوء جديد تسفر عنه أعمال بحث وتنقيب ودراسة علمية . .

٥ـ مملكة قتبان وأوسان ٨٦٥ـ ٥٤٠ ق . م :

نشأت في جنوب سبأ وجنوبها الغربي اغفل المؤرخون العرب وغيرهم التعرض لذكرها في مصنفاتهم التاريخية بالرغم من أنها كانت تضاهي دولة معين وسبأ تم التعرف على تاريخ هذه المملكة من خلال الكتابات التى قدمها كل من: كلاسرو ، هالفي الفرنسي ثم من بعدهم جلازر ومارتن هارتمن عما توصلوا اليه بعد دراساتهم للنصوص والنقوش التى تم العثور عليها في خرائب قتبان وقد اتفقوا على أنها كانت قوية ومهابة الجانب لدرجة أن مملكة سبأ قد اضطرت للدخول معها في أحلاف سياسية عديدة .

■■ملوكها :- بلغ عدد ملوكها ٢١ حصرهم هومل في سبع طبقات وقد اختلفوا في التعريف بأسماء ملوكها وعددهم وألقابهم ومدد حكمهم ومن ناحية أخرى يذهب بعض الباحثين الى أن أوسان قد انفصلت عن قتبان وذلك بالاستناد الى ماعثروا عليه من تماثيل رخامية لبعض ملوكهم وعددهم أربعة حتى عمدت دولة سبأ فأدخلوا كلا من أوسان وقتبان في دولتهم .

٦ـ مملكة سبأ وريدان الحميرية ١١٥ ق . م ـ ٥٣٥ ب . م :

تعد فرعا من مملكة سبأ قامت بعد ان تمكن الريدانيون في (ظفار) من هزيمة السبأيين وكونوا مملكتهم الجديدة واصبح لقب الملك فيهم (ملك سبأ وريدان) وقد أنتهت هذه المملكة على يد ابناء همدان الذين قاموا بثورة ضد الريدانيين بزعامة (يرم ايمن) الهمداني الحميري وولده امير همدان (علهان نهفان) وتمكنوا من بسط سلطانهم على كافة الارض اليمنية واصبح اسم المملكة (سبأ وريدان وحضرموت ويمنان) ولقب الملك (ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات) . .

■■ملوكهم : على طبقتين :-

الأولى : ملوك سبأ وريدان حكمت من ١١٥ق.م - ٢٧٥ب.م بلغ عدد ملوكها ١٨ ملكا . . عاصمتهم ظفار . .

الثانية : ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات : ٢٧٥م - ٥٣٣م عدد ملوكها ١٤ وكانوا يسمون التبابعة ، كانت عاصمتهم ظفار ثم صنعاء . .

وقد ورد ذكر التبابعة في القرآن في آيتين الأولى في سورة الدخان والثانية في سورة (ق) يقول تعالى (أهم خير أم قوم تبع) كما ورد في سورة (ق) (. . وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) وقد ذهب المفسرون في استقصائهم لدلولات الآيات الى أن قوم تبع كانوا عربا . . وأنه كلما ملك رجل سموه تبعا ولم يكن يسمي تبعا إلا من كانت له حمير وحضرموت وسبأ (ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وبسط سلطانه على بعض الأقاليم خارجها واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة كما تذهب الروايات التاريخية الى أن هذه المملكة في عهد ذي القرنين تبع الأقرن كانت على ملة الحنيفية (ملة إبراهيم) وأن التبابعة قد ارتكسوا بعده الى الوثنية - كما يذهب البعض الآخر من تلك الروايات الى أن أسعد الكامل بن ملك كرب كان نبيا وأنه أول من كسا الكعبة وقد سقطت هذه الدولة القوية تحت مطارق عوامل اقتصادية وانصراف الهمدانيين الى الاستئثار بالحكم ومغالبة بقية الشعب واخضاعهم لنفوذهم بالقوة وماتسمت به من تعصب ديني أيام ذي نواس الحميري - ومن ثم افلحت القوى الخارجية (بيزنطة) من القضاء نهائيا على آخر مملكة من الممالك اليمنية وبها دخلت اليمن عصر التمزق والانحطاط الحضاري من أوسع الأبواب . .

مظاهر الحضارة اليمنية :

تحفل المراجع والمصادر التاريخية والمتاحف العالمية بآيات من بديع الاعجاز الذي تحقق في ظل الحضارة اليمنية القديمة في مجالات الزراعة والري والتجارة والاقتصاد والصناعة وفنون الهندسة وفي مجالات التشريع ونظم الحكم ، الى غير ذلك من الابداعات التي لايحيط بها حصر وفي الفقرات التالية دراسة لجانب منها :

١ - الزراعة والري :

على الرغم من شحة مصادر المياه النهرية في اليمن القديم فقد استطاع اليمنيون القدماء التغلب على هذه المشكلة والسيطرة عليها والوصول الى مستوى متقدم في ارواء الارض اكثر بكثير مما استطاعت ان تحققه البلدان الغنية بتلك المصادر وقد تم لهم ذلك من خلال : -

١ - تخصيص حكومات الممالك اليمنية القديمة لجانب من دخلها القومي لانشاء السدود واقامة شبكات الري وصيانتها في مختلف مناطق البلاد . وفي العادة فان تلك الحكومات كانت تطلب من رؤساء القبائل تقديم الرجال وتتولى هي تقديم كافة التجهيزات واعاشة العمال طيلة بقائهم في العمل . .

٢ - اللجوء الى الوسائل الصناعية الفنية في التحكم بالمياه فانشأو المجاري الاصطناعية لتجري فيها المياه وتسيل ، فلا تذهب عبثا ، ولاتجري في القنوات الى الحقول والبساتين إلا بقدر . وقد عثر دارسوا الاثار على فتحات كثيرة تتخلل جانبي سد مأرب تختلف اقطار فتحاتها بحسب كمية المياة المراد امرارها ، ومثل هذا في بقية السدود التي كانت تربو على ثمانين سدا موزعة جغرافيا على مناطق اليمن ومن هنا يفهم خطأ الاعتقاد بأن الحضارة الزراعية اليمنية كانت معتمدة على الوادي المحيط بالسدود وربما نشأ هذا اللبس من خلال أخذ النص القراني الوارد في سورة سبأ على انه احصائي . من ناحية أخرى أظهرت الصور التي أخذت من الجو شبكات مياة متصلة ببعضها تشق الاف الوديان

في مختلف مناطق اليمن وتوصل العالم (بوون) في دراسته العلمية القيمة لعملية الارواء بالعربية الجنوبية الى نتائج قيمة تدل على المقدرة العلمية لدى اليمنين القدماء وعلى مهارتهم الهندسية

٣ - عمل المهندسون اليمنيون القدماء على إحداث ثقوب في الصخور للاستفادة من الرياح التي تصطدم بالمرتفعات في توجيه مياة الامطار التي يريدون ولتكوين مسايل كبيرة تتجمع فيها المياة فتجري كالانهار . .

٤ - إستغلوا المرتفعات وشكلوها كمدرجات يزرعونها بمختلف المزروعات التي تلائم طبيعتها المناخية. ويقول أحد الخبراء المختصين في مجال الزراعة ان بلايين الدولارات لايمكن ان تحقق مثل تلك المدرجات وحتى باستخدام التقنية الحديثة . .

٥ - استخدم اليمنيون في بناء السدود الحجارة الضخمة المقطعة من الصخور وعالجوها بمهارة وحذق بحيث توضع بعضها فوق بعض وتثبت وتتماسك وتكون كأنها قطعة صلدة واحدة . ونحتت الصخور بحيث صارت تتداخل بعضها في بعض بأن رأس من الصخر في فتحة مقابلة له فتكون كالمفتاح في القفل وبذلك تتماسك هذه الصخور وترابط إرتباطا وثيقا وتكون كأنها صخرة واحدة . وفي بعضها الاخر كان يضاف الرصاص المذاب الى الفتحة لزيادة التماسك والتلاحم ، وقد أشتهر في هذا المجال مهندسون إنشائيون لايارون ، ويبرز في طليعتهم المهندس الحاذق (سمه علي ينوف) وابنه (يشع امربين) و(اوس عم يصرعم) . .

٦ - عملوا على توسيع قائمة منتجاتهم الزراعية بشكل مضطرد خصصوا جانبا منها للتصدير وجانبا اخر للاستهلاك ، ولقد كان هذا هو دأب حكوماتهم المتعاقبة حتى بدأت شمس حضارتهم بالافول وبدأ الوعي الحضاري ينحسر لصالح الاثرة السياسية . ولعل مطالع الانفتاح والانفراج التي بدأت تشهدها بلادنا حاضرا محليا وعالميا وتوجه اهتمام الحكومة الى الزراعةومن ذلك اعلان الامين العام للمؤتمر الشعبي عام ١٩٨٦م عام تنمية زراعية وماتلى ذلك من اعادة بناء السد ، يمهد الطريق لشكل من التواصل الحضاري مع الاصالة ومواصلة السير على دربها المشرق نحو غد واعد مليء بالخير . .

٢ - في مجال التجارة :-

كما اشتهر اليمنيون بالزراعة أشتهروا أيضا بالتجارة وحققوا من ورائها أرباحا طائلة جعلت أنظار العالم ومطامعه تتربص بهم الدوائر وتتحين الفرص للانقضاض عليهم ولقد زاولت كل ممالك اليمن التجارة مع العالم الخارجي ، وبلغ نشاطهم هذا أوجه في عهد السبأيين «فالعربية الجنوبية في كتب اليونان والرومان وفي التوراة بلاد غنية ذات خيرات وثروات وتجارات وأموال فقوافلها تخترق جزيرة العرب الى بلاد الشام والعراق ، وفي بلادها الذهب والفضة والحجارة الكريمة تتاجر مع الخارج فتربح في تجارتها هذه كثيرا وبذلك اكتنزت المعادن الثمينة والاموال النفيسة حتى صارت من أغنى شعوب جزيرة العرب» وورد في المزامير ذكر للقوافل التي كانت تسير محملة بالبضائع الى بلاد الشام كما تكررت الاشارات في التوراة الى ثراء السبأيين وامتلاكهم الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، وقد بالغت في ذلك كتب اليونان واللاتين مبالغة أخرجتها من حدود الواقع الى الخيال . فنسبوا لهم استعمال الاثاث المصنوع من الذهب والأواني المستعملة من الذهب والفضة . .

ولعل هذه الشهرة كانت وراء ارسال القيصر اغسطس حملته الى اليمن التي منيت بالاخفاق . أشار بيلنوس الى ان السبئيين كانوا اعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنية بالاشجار من عطور وبما يملكونه من مناجم الذهب والاراضي المزروعة المرواة وما ينتجونه من عسل . وقد ارتبط اليمنيون بالاضافة الى بلاد الشام واليونان بعلاقات تجارية مع مصر وأشور . وهاك بعضا مما كانت تشتمل عليه قائمة الصادرات السلعية [«الذهب ، الطيب ، البخور ، القسط ، المسك أو المشهرم ، العنبر ، المر ، الصبر ، القرفة ، قصب الذريره ،

السليخة [قشرة تؤخذ من شجرة القرفة» الكندر ، البرود اليمانية ، المصنوعات الحديدية»]وهناك سلع كثيرة كان اليمنيون يصدرونها منها ماكان مصدره محليا ومنها ماكانوا يستوردونه ثم يجرون عليه بعض التحويرات والتعديلات ويعيدون تصديره ويحققون بذلك عائدا كبيرا على شكل قيمة مضافة . . وقد سارت حكومة سبأ على سياسة التوسع التجاري وهذا التوسع يقتضي سيطرة على الطرق ، فبذلت جهودها لبسط سلطانها على الطرق والمسالك وجعلها تحت نفوذها وحكمها، وبعد استيلائها على بقية الحكومات العربية الجنوبية الاخرى وضعت الطرق الجنوبية المؤدية الى اراضي اللبان والمواد الاخرى التي اشتهرت بها العربية الجنوبية ، والى الموانئ والمرافئ التي تتاجر مع افريقية والهند وتستورد منها السلع النفيسة الثمينة تحت نفوذها وحكمها وحسنتها ، وشقت طرقا جديدة لاغراض حربية واقتصادية ، وبلطت بعض مواضع منها لتقاوم السيول والامطار واحكمت جوانبها وحصنتها بالحجارة الصلدة حتى تقاوم السيول التي تنحدر من المرتفعات على هذه الطرق فلا تلحق الاذى بها ولاتزال آثار تلك الطرق باقية» «كما سيطرت على الطرق المؤدية الى الشام وأسست مواضع لحراسة القوافل من قطاع الطرق ومن تحرش القبائل ولعل اهل يثرب هم من الرجال الذين غرسهم السبئيون في هذا المكان لحماية قوافلهم التي تذهب الى بلاد الشام» كما وجهوا انظارهم صوب العراق وموانئ الخليج العربي فاستخدموا الطريق من نجران الى السليل ومن هناك الى الخليج العربي . واخيرا لقد اصاب التجارة بعد كل هذا المجد عوامل الضعف التي اصابت الدولة أواخر ايام الحميريين وتحول طرق التجارة بأن سيطر الرومان على الطرق البحرية ووصلو الى مصادر السلع مباشرة . .

٣ - الاقتصاد والصناعة : -

يتضح من الرجوع الى المصادر التاريخية ان الممالك اليمنية القديمةازدهرت في ظل اقتصاد متنوع الموارد والمصادر ، فعلى الرغم من كفاية عائد التجارة فقد اولوا اهتماما كبيرا بقية قطاعات الاقتصاد مثل الزراعة والصناعة، حيث كانت مدينة نجران وظفار بالاضافة الى كونهما محطات ترانزيت تجاري فانهما قد اشتهرتا كمدينتين صناعيتين استمرتا كذلك حتى دخول اليمن في الاسلام ، فاليمن في مقدمة اجزاء جزيرة العرب في الصناعة وهي الاولى في الانتاج ايضا وقد عرفت منتجاتها في كل موضع من بلاد العرب وهي المكان الوحيد الذي ازدادت صادراته على وارداته . . ولم تبرز صناعات اليمن في نوع واحد او في صنف معين بل برزت في كل نوع من انواعها المعروفة في ذلك العهد، والتي دعت الحاجة الى ظهورها والتي وجدت موادها الاولية فيها ، ومن اهم تلك الصناعات : صناعة الحديد ، استخراج المعادن وتحويلها الى مصنوعات،النجارة والحياكة ، الدباغة والاصباغ والصموغ ، صناعة الرصاص ، المنسوجات ، الجزع ، الكبريت، وغير ذلك من الصناعات التي اشتهرت وارتبط اسمها باليمن . .

٤ - فنون الهندسة :

برع اليمنيون في فروع الهندسة المختلفة «الهندسة الانشائية ، هندسة المساحة ، فن النحت والتصوير» . .

٥ - نظم الحكم والتشريع في الممالك اليمنية القديمة :

عرف اليمن القديم الدولة المركزية التي سيرت واشرفت على جميع امور البلاد فشاركت في تسيير التجارة وحمايتها واوجدت الضمانات التنظيمية والحقوقية لحسن سير التعامل والتبادل التجاري وبث روح الاطمئنان في نفوس العاملين فيها كما قامت بتشييد السدود وانشاء شبكات الري الواسعة وتعهدها بالصيانة المستمرة كما اسلفنا . بيد ان تلك المركزية لم تكن تتصف بأي من صفات الاستبداد او الحكم المطلق . حيث عرفت ممالك اليمن القديم

جيمعها النظام النيابي او نظام المشاركة السياسية التي مارسها الشعب من خلال مجالس مركزية ومجالس المدن وقد جرى المزج بين المركزية واللامركزية باتقان . . وكانت المجالس النيابية العليا تنظر في المسائل الهامة والمصلحة العليا للدولة والشعب وقد اطلقوا على تلك المجالس (مزود) في معين وسبأ ، وعند الحميريين «مشور» وفي القرآن الكريم ما يؤكد ذلك«يقول الله تعالى : (قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي و أتوني مسلمين . قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون . قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) .

كانت مجالس المدن تقوم بدراسة شئون المدينة في السلم والحرب وتفصل فيما يقع بين الناس من خصومات وبتصريف شئون الجماعة بالاضافة الى شرح القوانين ـ وبالاضافة الى تقسيم اليمن الى مدن فقد جرى تقسيمها الى مقاطعات كما كان عليه الحال عند المعينيين ، يعين على رأس كل مقاطعة ممثل عن الملك يعرف«بكبر» لايتدخل الا في السياسات التي تخص المسائل العليا المتعلقة بحقوق الملك وبشعب معين

٦ـ في مجال التشريع :

عرفت ممالك اليمن القديم نظما تشريعية رفيعة المستوى تشبه الى حد كبير التشريعات الحديثة تصدر باسم الملك . وتنشر وتفسر في الواح مزينة يجري عرضها على كافة فئات الشعب ولما كانت اليمن قد عرفت نظام السلطة المركزية من ناحية واللامركزية من ناحية اخرى كان لابد من ان توجد القواعد القانونية التي تحدد كيفية العلاقة بين اجهزة الدولة لذلك وجدت قوانين تنظم مختلف العلاقات . تركزت بدرجة اساسية في تنظيم جمع الضرائب وتوزيع عوائدها على اجهزة الدولة المركزية ممثلة بالملك واجهزة الدولة اللامركزية ممثلة برؤساء المدن والمقاطعات . وكذا القوانين التي نظمت العلاقات التجارية وحقوق وواجبات العاملين بها من اليمنيين او الاجانب كما هو الحال بالنسبة لقانون قتبان التجاري الذي تضمن قواعد تشريعية لم تتضمنها اية تشريعات سابقة في العالم القديم . . ولعل اكتشاف هذه القوانين في فترة متأخرة عن طريق المستشرقين قد اوقع مؤرخي القانون في خطاء ابتداء«تدوين تاريخ القانون ابتداء من القانون الروماني . .

وبعد :-

تلك كانت شذرات من منجزات ومظاهر الحضارة اليمنية القديمة ولقد ترتب على سقوطها : وال تلك المظاهر ودخلت اليمن عصر التمزق والانحطاط خاصة بعد ان تمكن الاحباش الذين كانوا يعملون لصالح بيزنطه من اخضاع اليمن تحت حكمهم ولم يتجاوز اليمنيون ظاهر التمزق والضياع الا بعد ظهور الدعوة الاسلامية ومشاركتهم الكبيرة في حمل لوائها . .

وهو ماسوف نتناوله في القسم التالي من هذا البحث . .

اليمن في فجر الاسلام

اسلام اهل اليمن :

منافذ وصول اخبار الدعوة الاسلامية الى اليمن :

وصلت اخبار الدعوة الاسلامية من مكة الى اليمن عبر المصادر التالية :

١ ـ عن طريق التجار اليمنيين الذين كانوا يترددون على مدن الحجاز وكذا اليمنيون الذين كانوا يختلفون اليها لاغراض مختلفة من ذلك على سبيل المثال قصة اسلام قيس ابن مالك بن لأي الارحبي ـ الذي تروي الاحاديث انه اسلم في بداية الدعوة حيث سمع الرسول يدعو الناس الى الاسلام فاسلم ـ وانه عاد من مكة مسلما وانه كان وراء إسلام همدان . .

٢ ـ عن طريق تجار الحجاز الذين كانوا يتاجرون من والى اليمن فلقد كان لقريش كما يذكر القرآن

رحلتين احداهما في الصيف الى الشام والثانية في الشتاء الى اليمن « لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » . .

٣ - عن طريق مبعوثي الرسول الذين وفدوا اليمن يحملون كتبه يدعو فيها أهلها الى الاسلام . .

دخول اهل اليمن الاسلام :

تجمع المصادر التاريخية ان اهل اليمن جميعهم اسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن قبائلهم قد تداعت الى المدينة ابتداء من السنة السابعة للهجرة بقدوم الاشاعرة والهمدانيين وبعدهم كافة قبائل اليمن، وان اخر تلك الوفود قد وصل المدينة عام الوفود كما تشير المصادر الى ان وفود اليمن كانت من اكثر الوفود عددا بسبب تعدد قبائلهم فلقد كانت اليمن حينذاك خاضعة للاحتلال الفارسي الذي كانت سيطرته مقتصرة على منطقة صنعاء وذمار وعدن والرضراض وهي المناطق التي كانت لاتزال مزدهرة اقتصاديا اما بقية المناطق اليمنية فقد تناثرت اشلاء ممزقة يسيطر عليها الاقيال وشيوخ القبائل المتنافسين فيما بينهم بحيث كون كل واحد منهم لنفسه ملكا محدودا بحدود قبيلته . . وهذا يفسر لنا السبب الذي حدا بالرسول (ص) ان يوجه كتبه الى عدة افراد وجماعات فلم تكن هناك سلطة مركزية عليا يمكن له التعامل معها او دعوة ابناء اليمن من خلالها للدخول في الاسلام . .

وبقدر ماشكل هذا الوضع من اساءة الى التطور العام للبلاد فانه قد لعب دورا ايجابيا في تسهيل وسرعة انتشار الدعوة الاسلامية على خلاف ماكان الوضع عليه في البلدان المحكومة بانظمة مركزية قوية تحس بالعداء والكراهية للاسلام والنفور منه لما يحمله من تهديد لهيمنتها ومن استئصال لشأفتها لذلك نجدها تستنفر كامل قوتها وحقدها في معركة فاصلة توقن انها اخر آمالها في الاحتفاظ بما تتمتع به من استعباد لشعوبها . . ولقد خاض الاسلام معارك تاريخية حاسمة تعد الاولى من نوعها في تاريخ الجنس البشري ، كونها تخاض لتحرير الانسان والاحتفاظ له بكرامته وحقوقه كارقى مخلوقات الله ومن الخطأ الاعتقاد ان الاسلام كان يحارب من اجل اكراه الناس على الايمان والتسليم به فهذا مالا مجال لاثباته . ولعل في الصلح المبرم مع نصارى نجران والفقرة الأخيرة من كتابه (ص) الى الحارث بن عبدكلال والى نعيم بن عبد كلال والى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان ما يكفي لتأكيد ماانذهب اليه . .

الاسباب التي دفعت اليمنيين لاعتناق الاسلام

١ - ان الدعوة للاسلام دعوة للتوحيد وهو العقيدة التي كان عليها اليمنيون في معظم فترات تاريخهم القديم كما يشير الى ذلك مفسروا النصوص القرآنية التي تناولت اليمنيين وكذا المؤرخون بالاضافة الى ذلك فانهم كانوا لايزالون قريبي عهد بديانات سماوية كاليهودية التي انتصر لها ذو نواس الحميري والنصرانية التي كانت فاشية في نجران وحاول الاحباش التمكين لها في اليمن خلال فترة احتلالهم لها . . .

٢- شدة وعي اليمنيين ونقاء سرائرهم مما مكنهم من فقه الدعوة وإدراك مقاصدها السامية . لذلك وصفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بخصال لم يصف بها غيرهم حيث قال فيما يرويه ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة إذ قال : «قال الله إذا جاء نصر الله ، وجاء الفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم لينة طباعهم ، الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية» كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال: «أشار النبي صلى الله عليه واله وسلم إلى اليمن وقال الا أن الايمان هاهنا» والأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة وكلها تعبر عن توافر الخير والصلاح في اليمنيين واستمراريته فيهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣- شدة معاناة اليمنيين من أوضاع التمزق والصراع الذي نشب بين قبائلهم منذ زالت دولتهم المركزية وتطلعهم إلى الإسلام كمنقذ لهم من تلك الأوضاع بفضل مافقهوه من اخبار الدعوة وماعرفوه من مبادئها •

●الآثار المباشرة لاعتناق اليمنيين الاسلام :

١- إعادة توحيد البلاد في ظل عقيدة واحدة ، مما مكنهم من المشاركة بدور قوي وأساسي في حركة التحرير الاسلامية - ونشر الدعوة الى الله في المناطق التى تم فتحها وقد كان منهم قادة الجيوش والكتائب المقاتلة والعلماء المجتهدون يعملون جنبا الى جنب مع اخوانهم المؤمنين بتفان وإخلاص في سبيل الله ، ولم يقتصر دورهم هذا على مرحلة معينة أو منطقة بذاتها وانما امتد طيلة فترات العطاء الإسلامي ،وقد انساحوا في مقدمة الجيوش الفاتحة حتى وصلوا الى الأندلس وفرنسا والصين ، ولاتزال مآثرهم وقلاعهم باقية تحمل أسمائهم حتى الآن . يقول جورجي زيدان في كتاب التمدن الاسلامي «أن أكتاف اليمانية هي التى رفعت عرش الدولة الأموية» كما يعود الى جهادهم الدور الحاسم في التمكين لدولة عبدالرحمن الداخل في الأندلس .

٢- أصبح اليمنيون جزءا من الدولة الاسلامية - وشرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ التدابير والاجراءات الادارية لدمجهم نهائيا في الكيان الاسلامي ومن تلك التدابير مايلي :

أ - إرسال الفقهاء الى القبائل التى تدخل الإسلام من أجل تعليمهم أمور الدين ومساعدتهم على تغير حياتهم وتكيف أمورهم الجارية وفقا لمقتضيات العقيدة . وحل منازعاتهم وما يجد بينهم من خصومات في ضوء كتاب الله وسنة رسوله والتخلي عن عادات الجاهلية سواء في جانب العقيدة أو الحكم .

كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يرسل الجباة الذين يجمعون الصدقات وزكاة الأموال كتعبير عن التضامن والتشارك في اطار الدولة الواحدة وعن الالتزام بما تفرضه الدولة الإسلامية من فرائض مالية تنفيذا لأوامر الله بحيث يعد التقصير عن الوفاء بها وانكارها خروجا من الدين وارتدادا عنه الى الجاهلية الأولى وهناك قائمة من صحابة رسول الله الذي ابتعثهم الى اليمن لمهمات التعليم والقضاء والحكم ومنهم وبر بن يحنس الذي جاء الى صنعاء مع الوفد الذي زار المدينة المنورة برئاسة فيروز الديلمي منتدبا من باذان لإعلان اسلام الأبناء في كافة أرجاء اليمن أمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ومنهم الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يروي البراء أنه خرج معه الى اليمن وأقاما فيها ستة أشهر وأن الامام على قرأ على همدان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا جميعا وأن الامام كتب بذلك الى رسول الله فخر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان ، السلام على همدان ، السلام على همدان.ومنهم معاذ ابن جبل ، أبو موسى الأشعري ، خالد ابن الوليد ، البراء ابن عازب . سعيد ابن لبيد الأنصاري ، خالد بن سعيد ابن العاص ، الطاهر بن أبى هاله ، يعلى بن أمية ، عمرو بن حزم الأنصاري، عكاشة بن ثور ، جرير بن عبدالله البجلي ، عامر بن شهر الهمداني ، شهر بن باذان ، أبو سفيان بن الحارث،فيروز الديلمي ، قيس بن المكشوح ، فروة بن مسيك المرادي ، عبدالله بن العباس ، سعيد بن سعد بن عبادة ، المهاجر بن أميه ، زياد بن لبيد البياضي . .

ب - قسّم اليمن الى مخاليف على رأس كل مخلاف صحابي ، وبذلك تلاشت الزعامات القبلية وتفتت روابطها أو على الأقل أصبحت غير قادرة على مواجهة الأوضاع الجديدة والقضاء عليها بالكلية بحيث شدت تلك المخاليف الى عاصمة الدولة المركزية في المدينة المنورة وربطت حركتها بما يصل اليها من القيادة الإسلامية في المدينة وتلاحمت اليمن كجزء متماسك في اطار الدولة الإسلامية ولم تستطع أي من الحركات المعادية لانضمام اليمن للإسلام التأثير في ذلك .

«للبحث بقية»

عوامل الصراع السياسي المذهبي الإقطاعي القبلي في اليمن قبل الثورة بين الأيوبيين والإمام عبدالله بن حمزة ٥٨٣ - ٦١٤هـ ١١٨٧ - ١٢١٧م

د/ عبدالغني محمود عبدالعاطي

خرج يحيى بن الحسين [١] من جبل الرس [٢] الى اليمن سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م استجابة لدعوة بعض اهالي اليمن ، وبدأ بالدعوة لمذهبه الا انه لم يجد الاستجابة التي تشجعه على البقاء، فتركهم وعاد الى بلاد الحجاز، [٣] لكن بعض قبائل اليمن ارسلت اليه تلح في ضرورة عودته فدخل صعده [٤] في شهر صفر سنة ٢٨٤هـ مارس ٨٩٧م ومنها الى نجران [٥] بعد ان بايعته القبائل واصلح فيما بينها . ثم توج اعماله بدخول صنعاء في المحرم سنة ٢٨٨هـ يناير ٩٠١م وخطب له على منابرها وارسل ولاته على المخاليف في الكوار [٦] . .

على ان الامام الهادي بصدد الامامة قد تجاوز الخطوط الرئيسية للزيدية مقتربا من الاثنى عشرية فهو ينتقد تولى ابي بكر الخلافة ويخطئه [٧] ويرى ان الامامة لاتثبت باجماع الامة ولا بعقد ولا برواية ، ولكنها تثبت لصاحبها بتثبيت الله لها فيه، ويعقدها في رقاب من اوجبها عليهم من جميع خلقه . . والاشارة الى ضلال الامة اذا اخذت العلم عن غير الأئمة . . [٨]

ومن ثم فان الامامة لاتورث ولا يوصي بها ولكن هناك شروط معينة يجب ان تتوفر فيمن يلي الامامة كأن يكون زاهدا شجاعا سخيا عالما، مقيما لاحكام الله وحدوده لاتأخذه في الله لومة لائم ، قائما بحقه شاهرا سيفه داعيا الى ربه فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين فقد حكم الله له بالامامة رضي الخلق ام سخطوا . . [٩]

وقد اضعفت هذه الشروط احيانا من كيان الامامة كأن يرى اكثر من واحد من ذريته انه مؤهل للقيام بالامامة فيحدث الصراع فيما بينهم او على الاقل تنقسم قوى الزيدية كما حدث سنة ٣٣٢هـ ٩٣٤م في اعقاب موت الامام الناصر احمد بن الهادي [١٠] او كما حدث في الفترة ما بين ٣٨٩-٤٠٣هـ ٩٩٩-١٠١٢م [١١] او تأتي فترات اخرى فلا يخرج احد منهم للدعوة كالفترة من ٤٠٣ الى ٤٢٦هـ ١٠١٣-١٠٣٥م ثم حدثت فترة انقطاع طويلة تقترب من قرن من الزمان لم يخرج فيها احد من الأئمة وهي الفترة التي اعقبت موت الامام ابي الفتوح الديلمي سنة ٤٤٤هـ ١٠٥٢//١٠٥٣م حتى قيام الامام المتوكل احمد بن سليمان سنة ٥٣٢هـ ١١٣٨/١١٥٧م وبموته سنة ٥٦٦هـ

١١٧٠/ ١١٧١م تعطلت الامامة مرة اخرى الى ان اعلن عبدالله بن حمزة [١٢] خروجه سنة ٥٨٣هـ ١١٨٦/ ١١٨٧م وفي اثناء هذه الفترة بدأ الايوبيون حكمهم لليمن سنة ٥٦٩هـ ١١٧٣/ ١١٧٤م ومن الملفت للنظر ان الجيش الايوبي بقيادة توران شاه اخو صلاح الدين قد اشتبك في معارك عنيفة وشرسة مع بني مهدي [١٣] وآل الزريع [١٤] وكذلك مع قبائل جنب [١٥] وبني شهاب [١٦] وسنحان [١٧] وانتهى هذا الصراع لصالح توران شاه فاستولى على ما بايديهم من مدن وحصون اوصالحهم عليها .

وعلى العكس من ذلك نجد ان بني حاتم [١٨] لم يتصدوا لجيوش توران شاه لان السلطان علي بن حاتم اليامي صاحب صنعاء ادرك انه لاطاقة له بقتال توران شاه فخرب اسوار صنعاء وانسحب بقواته وتحصن في حصن براش [١٩] فدخل توران شاه صنعاء دون قتال ، ثم تركها لاستكمال فرض سلطانه على تهامه فاستغل السلطان علي بن حاتم الفرصة واكمل هدم الاسوار وتدمير الخنادق .

بيد ان توران شاه لم يطب له المقام في اليمن ، فاستأذن اخاه صلاح الدين في العودة [٢٠] ومن الملاحظ ان توران شاه لم يستنب احدا على مدينة صنعاء [٢١] وهذا مايوحي بأن آل حاتم قد استعادوا سيطرتهم على المدينة قبل رحيل توران شاه على اية حال ، اضطربت احوال اليمن بعد وفاة توران شاه سنة ٥٧٦هـ ١١٨٠/ ١١٨٦م بسبب التنافس بين النواب الايوبيين ومحاولة كل واحد منهم الاستقلال بما تحت يديه من الاقاليم والمدن الامر الذي دفع صلاح الدين الى ارسال اخيه سيف الاسلام طغتكين [٢٢] الى اليمن في سنة ٥٧٩هـ ١١٨٣م لاعادة فرض النفوذ الايوبي .

ولا شك في ان الفترة مابين رحيل توران شاه عن اليمن سنة ٥٧١هـ ١١٧٥م حتى وصول سيف الاسلام طغتكين في اواخر سنة ٥٧٩هـ ١١٨٤ قد هيأت الفرصة امام القوى الداخلية في اليمن لاستعادة قوتها ونفوذها .

حتى انه عندما فرض سيف الاسلام الحصار على حصن حب [٢٣] سنة ٥٨١هـ ١١٨٥م وفيه السلطان زياد بن حاتم الزريعي كادت القوى الداخلية في اليمن من بني حاتم وبني مهدي وقبائل جنب وغيرها ان تتحد في عمل عسكري مشترك ضد الايوبيين ولكن بعد ان تجمعت قواتهم تسببت عداواتهم واحقادهم القديمة في تفرقهم [٢٤] فتمكن سيف الاسلام من الاستيلاء على الحصن سنة ٥٨٢هـ ١١٨٦م وبدأ بعد ذلك في انتهاج سياسة جديدة ترمي الى فرض سلطانه على جميع اقاليم اليمن ، وهو نفس التوقيت الذي خرج فيه الامام عبدالله بن حمزة داعيا لنفسه وهي الدعوة الاولى للاحتساب في الجوف [٢٥] فأجابه الاشراف ومشايخ القبائل ، ثم انتقل الى صعده وبدأ يمارس بعض الاعمال العسكرية لتأمين القبائل التي اطاعته الامر الذي ورطه في القتال مع بني حاتم على ان الخطر الحقيقي الذي هدد عبدالله بن حمزة هو الملك سيف الاسلام طغتكين الذي يقول عنه المؤرخون انه زلزل اليمن وملكه وعرا وسهلا ، طوعا وكرها [٢٦] وبالتالي فلم يسمح سيف الاسلام لاي من القوى السياسية او الدينية في اليمن ان تعترض طريقه واوقعت قواته الهزائم المتتالية بالامام عبدالله بن حمزة واتباعه فاضطر الامام الى العودة للاقامة في الجوف وركن هو واتباعه الى الهدوء [٢٧] .

توفي سيف الاسلام طغتكين في شوال سنة ٥٩٣هـ [٢٨] سبتمبر ١١٩٧م وتولى بعده ابنه الملك المعز اسماعيل [٢٩] ويبدو ان القوى الداخلية في اليمن قد وجدت ان الظروف قد تهيأت امامهم للقيام والنهوض مرة اخرى فقام الامام عبدالله بن حمزة بتجديد الدعوة في ذي القعدة وخرج من الجوف الى هجرة دار معين من اعمال الجوف فاقام اربعة اشهر . ومن ذلك يتضح ان القوى المتنافرة في اليمن قد اتحدت لاول مرة بسبب مالاقوه من شدة وبطش سيف الاسلام طغتكين وربما كانت محاولة سيف الاسلام للاستيلاء على النخل والاراضي الزراعية باليمن هي السبب الرئيسي لالتفاف كثير من القبائل حول الامام عبدالله بن حمزه لتبدأ سلسلة من الحروب الطويلة والشرسة بين الامام عبدالله بن حمزة وبين القوى الايوبية ، لم تهدأ في فترة من الفترات الا لتبدأ من جديد اشد

عنفا وضراوة . . والمتتبع لمراحل هذا الصراع يجد ان هناك عدة عوامل سواء كانت طبيعية او بشرية هي التي تحكمت فيه، ورجحت كفة احدى القوى على الاخرى . .

لعبت تضاريس المنطقة دورا هاما في الصراع بين الايوبيين والزيدية من اجل السيطرة على اليمن، ذلك ان اليمن يتكون من سهلين كبيرين ، السهل الشرقي ويمتد من الاحقاف جنوبا الى ماوراء نجران شمالا ، والسهل الغربي (سهل تهامه) ويمتد من الشمال الى باب المندب جنوبا. ويعرف هذا السهل بتهامة اليمن ومجموعة من سلسلة الجبال الحاجزة بين السهلين وقد تركز الصراع في المنطقة الجبلية لان الايوبيين قد احكموا سيطرتهم على مناطق السهول الغنية بما لديهم من قوات عسكرية تفوق بكثير ماعند منافسيهم . .

وتتكون المنطقة الجبلية من مجموعة سلاسل من الجبال تمتد من ارض المعافر الى الطائف في الشمال ، ويتراوح ارتفاع هذه الجبال ما بين الف متر وثلاثة آلاف وستمائة متر[٣٠] وفي بلاد جبلية كهذه حيث تمزق الاودية العديدة كل جزء من اجزائها وتحولها الى كتل جبلية منفصلة عن بعضها وحيث تتعدد الشعاب ويعظم عمق الاودية وانحدار جوانبها فانها تنعزل عن بعضها البعض حتى في الوادي الواحد فان الانتقال بين المراكز التي تقوم على طول امتداده يكون صعبا للغاية ان لم يكن مستحيلا [٣١] . .

وهكذا يمكن القول بأن المنطقة الجبلية تتكون من عدة احواض منعزلة بعضها عن الاخر، وساعدت وعورة الطرق وبناء الحصون العسكرية في مناطق يصعب الوصول اليها، بالاضافة الى تعدد التيارات السياسية والدينية والعصبية القبلية على عدم قيام سلطة مركزية قوية في هذه المنطقة، وشجعت في نفس الوقت روح التمرد والاستقلال . .

وقد حبت الطبيعة بلاد اليمن بموسمين للامطار مما ساعد على قيام حياة مستقرة في المساحات المحدودة القابلة للزراعة سواء في الوديان او على جوانب المدرجات الجبلية . وقد ادى ذلك الى تناثر مراكز الاستقرار وقلة السكان في كل مركز منها اما في القيعان حيث تتسع المساحات القابلة للزراعة فان مراكز الاستقرار تكون اكبر نسبيا[٣٢] ويرى بعض الباحثين ان مراكز الاستقرار في اليمن كثيرة كثرة لاتعرفها اكثر بلاد العالم سكانا. والسكان فيها من القلة بحيث لاتسمح بتجمع الاعداد الكبيرة في مركز واحد[٣٣]

هذا التناثر السكاني مع وعورة المنطقة كان يتطلب من اية سلطة مركزية تريد احكام سيطرتها على المنطقة ان يكون لديها قوات عسكرية ضخمة وهذا مالم يتوافر لاي من الطرفين المتنازعين وفي نفس الوقت فان اخضاع مدينة اوقرية بعينها لم يكن يتطلب الا قوات عسكرية محدودة نظرا لضعف العنصر البشري في هذه التجمعات . .

ومن ثم فان كثرة ما تعرض له السكان من الاغارات سواء بسبب الخلافات القبلية او تضارب التيارات الدينية والسياسية قد حدا بهم الى البحث عن الامن في اقامة الاسوار حول المدن المكشوفة والتحصينات والملاجئ في المناطق الجبلية يأوون اليها اثناء الاغارات والاضطرابات . ونتيجة لذلك تعددت اشكال المدن اليمنية واختلفت وفقا للضرورة التي املتها تضاريس المنطقة ففي الارض المنبسطة المكشوفة ، قامت المدن المسورة مثل زبيد في سهل تهامة ، وصعدة في الهضبة الشمالية ، وصنعاء في قاع صنعاء . والشكل العام لهذه المدن المسورة هو الشكل الدائري الذي ييسر الدفاع عنها وحمايتها من جميع جوانبها[٣٤] اما المدن التي قامت على قمم الجبال ومنحدراتها ، فانها تاخذ بشكل امتداد القمة او حسب ما تمليه طبيعة المنحدرات الجبلية[٣٥] وتتوافر الحماية الطبيعية لهذه المدن ، اذ ان مجرد وقوعها في مستوى مرتفع يصعب الوصول اليه يكفل لها الحماية والامن ويعوضها عن الاسوار . ومن امثلة هذه المدن حجة وشهارة[٣٦] واذا تتبعنا الصراع بين الامام عبدالله بن حمزة والايوبيين نجد ان السيطرة على المدن المسورة كان من نصيب القوة التي تؤكد تفوقها العسكري ، وهذا مايظهره تبادل السيطرة على كل من صعدة وصنعاء وحصن كوكبان [٣٧] أما مدن القمم الجبلية والمنحدرات فيمكن القول

ان السيطرة عليها كانت سيطرة اسمية فقط ، وغالبا ما تغيرت تبعية هذه المدن من آن لاخر وفقا للاهواء السياسية او الدينية او المصالح الخاصة للقبيلة او عند اقتراب جيوش اي من القوتين المتصارعتين لهذه المدن .

ومن الجدير بالملاحظة ان معظم الحملات العسكرية لم تنل من السكان انفسهم لانهم كانوا يفرون الى الملاجئ ورؤوس الجبال وبطون الاودية ، ومن ثم كانت الجيوش تعمد الى تخريب المنازل والحقول وقطع الاشجار وتدمير المزروعات والاستيلاء على ما يجدوه من الماشية [٣٨] واذا كانت الطبيعة الجغرافية والتناثر السكاني في الاقليم قد لعبا دورا هاما في الصراع بين الايوبيين والامام فان العامل الاقتصادي قد لعب هو الآخر دورا لا يقل اهمية فقد كان للايوبيين مصادرهم المالية المتعددة سواء ما ياتي من العشور والضرائب المتحصلة على السلع في ميناء عدن[٣٩] او من الخراج المتحصل من الاراضي الزراعية وعلى الاشجار المثمرة وخصوصا النخل [٤٠] وغير ذلك من الضرائب ومصادر الدخل الاخرى [٤١] ومع ذلك فقد ظلت مصر هي المورد الرئيسي الذي تخرج منه الاموال والرجال كلما تهدد سلطان الايوبيين في اليمن سواء في عهد الناصر صلاح الدين او اخيه الملك العادل . وعلى الجانب الآخر كان الامام عبدالله بن حمزة يحكم المناطق الواقعه تحت سيطرته حكما دينيا ، وكانت مصادره المالية هي ما يأتى من الاعشار ، والزكاة ، وغنائم الحرب ، والارض التي يستولي عليها [٤٢] وبعض المصادر الاخرى كمعدن الحديد الذي كان يستخرج بوفرة في منطقة صعدة . ومن ثم نجد ان مصادره المالية كانت تاتى من مصدرين ، الاول هو الواجبات التي تؤديها القبائل الخاضعة والمعترفة به وهي العشور والزكاة وغير ذلك . وفي كثير من الاحيان نجد ان هذه القبائل او المدن كانت تمتنع عن دفع هذه الاموال اليه الامر الذي ألجأ الامام عبدالله بن حمزة الى تجريد قواته لالزامهم بدفع ما عليهم لبيت ماله [٤٣] المصدر الآخر وهو غنائم الحرب والارض التي يستولي عليها . والمتتبع لتسلسل المعارك بين الامام والايوبيين يجد ان هذه الحرب كانت في معظم الاحيان في صالح الايوبيين ، وغالبا ماكانت تستنزف ما عنده من اموال ، وكثيرا ما عانى الامام عبدالله بن حمزة من الضائقة المالية بسبب كثرة المصروفات المتمثلة في دفع ارزاق جنوده او في تشييد بعض المباني والحصون . يذكر الامام عبدالله بن حمزة في رسالة له لاحد اتباعه «ومما سالت عنه واحببت الجواب فيه ماكان من مجيئ كبراء اهل صنعاء الينا ومشايخهم ، وماسالوا من التقدم اليهم والمصير الى بلدهم ، فاخبرناهم بقلة ذات اليد ، وانا لا نطيق الانفاق على العساكر ، ولا نجد على ذلك سبيلا . فذكروا انهم يعينون ويجتهدون وان اهل البلد على ذلك مجمعون . فلما صرنا اليهم كتبنا على الناس على قدر طاقتهم ، بل دون طاقتهم ودونها . فكتب على صاحب العشرة الآلاف مائة ، وعلى صاحب عشرين الفا مائتان ، وعلى صاحب المائة ديناران ، وعلى صاحب الثلاثين دينارا وشبه ذلك ، وكلهم الى ذلك مسارع وكلهم راى فيه المنفعة لنفسه في ماله وحرمته[٤٤] .

وإذا كان أهل صنعاء قد أوفوا التزاماتهم نحو الامام مما ساعد على دفع نفقات جنده واستمرار اقامة جيشه في صنعاء ، فإن الأمر قد اختلف تماما حينما استولى الامام على حصن كوكبان ، وهو من الحصون الضخمة التي تتطلب الكثير من الاموال لصيانتها وشحنها بالجند والخيل والعتاد ، وكان اهل المنطقة قد تعهدوا للامام عبدالله بان يدفعوا اليه عن «كل نفس بمد ودينار على القريب والبعيد والضعيف والشديد ، باسم المعونة في شحنة الحصن والانفاق عليه»[٤٥] غير ان اهل هذه الناحية لم يلتزموا بالوفاء بما تعهدوا به ، فبدأ الامام يفكر في أمر هذا الحصن إما باعادته للسلطات الايوبية ، او في هدمه وذلك لقلة الانتفاع به ، وكثرة الانفاق عليه ، وانقطاع المواد من البلاد التى حواليه [٤٦] ولما كان هدم الحصن يتطلب الكثير من النفقات مع احتمال التعرض لهجمات الأيوبيين ، فقد طرح هذا الرأي جانبا ، واستقر الأمر في النهاية على تسليم الحصن الى القائد الأيوبي «على أن يسلم مالا وبلادا يستعان به على دفع شره»[٤٧] .

ومن ذلك يتضح أهمية العامل الاقتصادي وتأثيره في الحد من نشاط الامام ، الأمر الذي اضطره في كثير من الأحيان الى مهادنة الأيوبيين ، والموافقة على شروطهم .

وقد حاول الامام أن يضفي على حركته شكل الدولة المستقرة وذلك بمنع الناس من التعامل بالعملة العباسية أو الأيوبية التى تحمل اسم خلفاء بني العباس . حيث يعتقد في أنهم قد اغتصبوا حقه ، فأصدر في سنة ٦٠١هـ ، ١٢٠٤/ ١٢٠٥م الدراهم المنصورية ، وجعل كل درهم نصف قفلة[٤٨] وبعضها ثمن قفلة ، غير أن الناس امتنعوا عن التعامل بها . الأمر الذي أدى بالامام عبدالله بن حمزة الى كتابة منشور قرئ على الناس في المساجد والأسواق يبين لهم فيه أهمية التعامل بالعملة الجديدة[٤٩] ، إلا أن الناس ظلوا يتعاملون بالعملات العباسية والأيوبية ، فلجأ الامام الى استخدام الشدة والعنف والزمهم بالتعامل بعملته الجديدة . ومع ذلك كانت دار ضرب الامام تتوقف عن سك العملة في كثير من الأحيان لعدم وجود الفضة الكافية لسك العملة[٥٠] .

العامل الرابع ، والذي يعد من أهم هذه العوامل ، هو الانقسامات الداخلية في كل جبهة من الجبهتين ، ومدى استفادة الجبهة المعارضة ، وتأثير ذلك في إحداث الصراع .

فعلى الجانب الأيوبي نجد أن الملك المعز اسماعيل بن طغتكين ، ماكاد يلي الملك حتى قام بالتخلص من الكثير من أعوان أبيه ، وانتشرت عنه الشائعات بأنه مولع بأكل اللحوم الآدمية ، كما أساء السيرة مع جنوده وأمرائه ، ومنعهم أرزاقهم ، الأمر الذي جعل كثيرا من قادته يخشون بطشه فهجروه وانضموا الى أعدائه ، وفي أواخر أيامه زاد عنفه وتآمره على كُبار قادته ، ثم ادعى أنه قرشي النسب ودعا لنفسه بالخلافة[٥١] . مما زاد من تمرد قادته وعصيانهم .

هذه الأفعال من جانب المعز ، بالاضافة الى التنافس والتحاسد بين أمرائه ، أدت الى اضعاف قوة الأيوبيين ، وشجعت القوى المعارضة على النهوض ، وأطمعتهم في التخلص من الحكم الأيوبي ، وقد استغل الامام عبدالله بن حمزة هذه الظروف وقام باحتضان وإيواء المخالفين على المعز ومنحهم الامتيازات والتشاريف التى تتناسب مع مكانتهم العسكرية .

وكان تمرد سيف الدين حكو هو أول انشقاق داخل الجبهة الأيوبية ، فكتب الى الامام عبدالله يبدي رغبته في الانضمام اليه ومبايعته ، فرحب الامام ، وأرسل مبعوثين عنه لترغيبه في إتمام ذلك . غير أن أخبار ميل حكو للامام تسربت الى المعز ، فأرسل مجموعة من جنده للقبض عليه ، ولكن حكو تمكن من خداعهم والانسحاب بقواته ، ثم قام بمهاجمة بعض المواقع الأيوبية واستولى عليها ، كما أوقع عدة هزائم بجيوش المعز والقبائل الموالية . بعد ذلك توجه للقاء الامام[٥٢] «فسر به الامام سرورا عظيما ، وحدد عليه ايمان البيعة ، واقترح حكو عل الامام أن يسلطنه على الجند والأمراء الذين عنده ، فأجابه الامام إلى ذلك ، وألزم كافة الجند والأمراء المشي بين يديه مترجلين ، وشال غاشيته فأعطاه إياها ، وعظم شأنه ، واستمال جوارحه بذلك ، فخدم حينئذ بنصيحة ، وقطع أمله من المعز»[٥٣] واشتدت وطأة حكو وجيوش الامام على الأيوبيين ، فتوجه المعز الى صنعاء عازما على مهاجمة مقر الامام في شبام ، فتمرد عليه قائد آخر اسمه هشام الكردي ، وانسحب بقواته ولجأ الى الامام[٥٤] ثم أن المعز أساء معاملة جنوده . وتآمر لدس السم لأحد كبار قادته يدعى شمس الخواص . وعندما تأكد شمس من المكيدة تمرد على المعز ، وخرج إلى عصر[٥٥] في ستمائة نفر مابين فارس وراجل وهم معظم جند المعز ، فانثنى عزم المعز عن مهاجمة شبام وعاد الى تعز .

أما شمس الخواص فقد كتب للامام يبدي رغبته في الدخول في طاعته ويطلب منه لقائه في عصر . وبهذه القوات من رجال حكو وهشام وشمس الخواص ، حقق الامام عبدالله أعظم انتصاراته ، ودخل صنعاء في ذي القعدة سنة ٥٩٤هـ[٥٦]

ديسمبر ١١٩٧م انتقل المعز من تعز الى زبيد لمواجهة الموقف وسرعان ماوقع شمس الخواص في أيدي المعز فأمر بسجنه[٥٧] أما سيف الدين حكو فقد رأى أنه صاحب الفضل في الانتصارات التى حققها الامام فراودته نفسه في الاستيلاء على اليمن ، واستأذن الامام في ذلك . وفي نفس الوقت كان الملك المعز قد أعد عدته لاستعادة صنعاء ، لتدور سلسلة من المعارك بين الجانبين تنتهي بمقتل سيف الدين حكو ودخول المعز صنعاء[٥٨] .

ساء موقف الامام بعد مقتل حكو ، وأخذ يبحث عن بديل من قادة الأيوبيين لاقامته مكانه ، فأرسل الى هلدرى بن أحمد المرواني وكان مخالفا على المعز ، واستجاب هلدرى للدعوة «فخرج الامام في لقائه ، وعظمه ، وأجله ، وسلطنه ، كما فعل لحكو ، ولقبه بالملك المسعود»[٥٩] .

واستمر هلدري في خدمة الامام حوالي ثلاث سنوات ، اضمر الخلاف وعاد الى صفوف الايوبيين . ويرى ابن حاتم ان السبب في ذلك رسالة وصلت الى حكو من طاشكين احد أمراء خليفة بغداد (يعده عن الخليفة بتمليكه اليمن ، وذلك بشرط الخلاف على الامام والافساد عليه)[٦٠] على أنه يجب الاخذ في الاعتبار ان سوء سياسة المعز كانت دائما سببا طاردا للاعوان والقادة . فخرج الامير علم الدين وردسار من عدن حتى وصل الى الامام في صعدة[٦١] وخشي الامير سيف الدين سنقر على حياته بسبب انتقاداته لسياسة المعز ولومه اياه على شدته ووحشيته في تعذيب وقتل الاسرى . ولما ظهر له ان المعز يحتال لا غتياله ، قام بتاليب كثير من الجند ، واعلن تمرده على المعز حاول الملك المعز قمع هذا التمرد ، وقام بمطاردة سنقر ، غير انه لم يظفر به . وكتب سنقر الى الامام عبدالله بن حمزة يبدي رغبته في الانظمام اليه ، فاجابه الامام ورغبه في الدخول تحت طاعته ، كما كتب الامام الى اعوانه يوصيهم بايواء الامير سنقر[٦٢] وفي اثناء ذلك قام بعض جند المعز باغتياله[٦٣] بالقرب من زبيد في آخر رجب سنة ٥٩٨هـ ، ابريل ١٢٠٢م فتوقفت المفاوضات .

وعندما تأكد الامام من صحة خبر مقتل المعز ، طمح في فرض سيطرته على جميع اقاليم اليمن ، وذلك لعدم وجود وريث قوي من البيت الايوبي وربما اعتقد الامام ان النفوذ الايوبي في اليمن سيمر بفترة ضعف وتدهور كتلك التي اعقبت عودة توران شاه الى مصر فبدأ الامام في تعيين القادة لفتح الاقاليم الخاضعة للايوبيين ، وعين وردسار لفتح صنعاء وغيرها من البلاد(وعده انه متى استفتح البلاد سلطنهُ ، كما سلطن حكو وهلدري)[٦٤] كما ارسل الامام الى الملك العادل الايوبي في مصر رسالة يعلنه فيها ان الامام قد اعترف به سلطانا للمسلمين ، وانه يخطب باسمه على المنابر ، ويطلب منه ان يعترف بإمامته[٦٥] .

ومن اهم الاحداث التي تلت مقتل المعز ، استدعاء جند الايوبيين في صنعاء لوردسار ، فاستأذن من الامام وقد اضمر في نفسه العودة الى صفوف الايوبيين ، وانطلق بقواته الى صنعاء فدخلها . وكانت المفاجأة غير المتوقعة ان يبدي الشهاب الجزري والى المدينة رغبته في الانضمام الى صفوف الامام، ويطلب من ورد ساران يتوسط له عند الامام . ونتيجة لذلك دخلت جيوش الامام صنعاء وبدأت كتب القبائل تصل الامام تعلن عن طاعتها ، كما خرج الامير شهاب والامير يحيى بن حمزة من صنعاء على راس قوات كبيرة حتى وصلوا الى حصن الدملوه[٦٦] فاعلنت كثير من المدن مبايعتها للامام[٦٧] ويعد التوسع والانتشار الذي حققه الامام في اعقاب موت المعز هو قمة ما حققه من انجازات لان الايوبين سرعان ما تمسكوا بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها سيف الدين سنقر الذي عين وصيا على الملك الناصر بن طغتكين[٦٨] ، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات الايوبية الحمزية ، كان من ابرز شخصياتها الامير علم الدين وردسار الذي عاد الى صفوف

الايوبيين . وتحمل بمفرده وأحيانا بمساعدة الأتابك سنقر عبء القتال ضد الامام . ووقعت بينهما سلسلة طويلة من الحروب بدأها وردسار باستعادة صنعاء . ويقول كثير من المؤرخين أن وردسار قد تصاول هو والامام عبدالله بن حمزة على اليمن مصاولة عظيمة ، فكانت لهم أيام شديدة ووقعات عديدة[٦٩] .

وقد تميزت هذه الحروب بالشدة والعنف ، ورجحت كفة وردسار فأعمل القتل والبطش باتباع الامام ، وهدم دورهم وقطع زرعهم . وقامت القوات الأيوبية بمهاجمة معاقل الامام ، ومراكز تجمع انصاره ودخلوا صعده وحوث[٧٠] ، وبلغت نكاية وردسار بالامام أنه قام بتخريب وهدم دوره في درب فاضل بالجوف ، وفي حوث ، وفي خمر[٧١] ، وفي صعده حيث هدم هجر دار معين ، وأمر بنقل أخشابها الى حصن تلمص[٧٢] . لدرجة أن الأتابك سنقر قد استاء من هذا السلوك ، ولام وردسار وذكره بأن الامام سبق أن أواهم وأحسن اليهم ، فقال وردسار هذا شغل الحرب[٧٣] .

ونتيجة للحروب المتواصلة التى شنها الأيوبيون على مناطق نفوذ الامام ، والدمار والخراب الذي أحدثوه بالقرى والمدن ، كان أتباع الامام يستأنونه ذنونه في ترك الاماكن المعرضة للهجوم ويلجأون الى المناطق الوعرة التي يصعب وصول الجيوش الأيوبية اليها . فبدأ الامام يفكر في توفير الأمن والحماية لأتباعه لأنهم لايجدون موضعا يمنعهم ويلجأون اليه عند حركة العدو . فأشار عليه البعض بعمارة قلعة الامام أبي الفتح الديلمي[٧٤] . فقام الامام عبدالله بن حمزة بمعاينتها فوجد المكان يتمتع بالمنعة والحصانة الطبيعية ، فأمر باعادة عمارتها ، وأحضر اليها الآلات والعمال لحفر خندق وبناء سور حول القلعة . وبدأ العمل بها في شوال سنة ٦٠٠هـ يونيو ١٢٠٣م ، وكان الامام وكبار أصحابه يشاركون في العمل بأيديهم ، ولهم بعض الأراجيز كانوا يتسامرون بها أثناء الحفر وحمل الحجارة[٧٥] ولنفس السبب أيضا قام الامام عبدالله بشراء حصني كوكبان وبكر[٧٦] من ولاة الأيوبيين عليهما[٧٧] غير أن حماية القلاع والحصون كانت تتطلب قوات عسكرية تتمركز فيها للدفاع عنها ، كما كانت تتطلب الكثير من الأموال للانفاق منها على الجند وعلى صيانة الحصون نفسها ؛ الأمر الذي جعل الامام يزهد في الاحتفاظ ببعض هذه الحصون .

النتيجة الثانية لهذه الحروب هي جنوح الامام عبدالله بن حمزة للسلم وموافقته على عقد المعاهدات مع القوى الأيوبية لتحديد مناطق نفوذ كل من الطرفين وترك الحرب والجهاد[٧٨] ، بل يمكن أن يقال أن وردسار قد فرض على الامام نوعا من الأتاوة يؤديها له الامام نظير استمرار الصلح بينهما . فتذكر المصادر قبول الامام بأن يؤدي الى وردسار في كل سنة مائة حمل من الحديد وعشرين رأسا من الخيل[٧٩] ومع ذلك كان وردسار هو الذي يبدأ باستمرار بنقض الهدنة ، وفتح باب الحرب والقتال من جديد .

وهكذا نجد أن السياسة الحكيمة التى اتبعها الأتابك سنقر مع رجاله كانت سببا في اتحاد الجبهة الأيوبية وتماسكها ، ولم يخرج عن طاعته إلا بعض صغار القادة لم يكن لهم شأن كبير من أمثال محمد بن كز[٨٠] أو لجوء الشهاب الجزري بشخصه[٨١] فقط الى الأمام ، غير أنهما سرعان ماوقعا في ايدي الاتابك سنقر فامر بحبسهما سنة ٦٠٨هـ ١٢١١م[٨٢] ولحق به وردسار في العام التالي وربما في سنة ٦١٠هـ ١٢١٣م[٨٣] . وصارت الأمور بأيدي الملك الناصر بن طغتكين وأتابك غازي بن جبريل الذى طمع في الملك فدس السم للملك الناصر ، غير أن مماليك الناصر انتقموا لسيدهم . وقتلوا غازي بن جبريل[٨٤] وبموت الملك الناصر في المحرم من سنة ٦١١هـ ، خلى العرش الأيوبي في اليمن لعدم وجود وريث ، فآلت الأمور الى أم الملك الناصر وأخواته ، انتهز الامام فرصة الاضطراب وبدأ ينشط من جديد ، وتمكن من دخول صنعاء في ربيع الأول من نفس السنة ،

وتابع ذلك بالاستيلاء على ذمار وهران وكوكبان وغيرها من المدن والحصون[٨٥] .

وتصادف أن قدم الى اليمن رجل من بني ايوب يدعى سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، فاستدعته ام الملك الناصر وطلبت منه القيام في الملك مكان ابن عمه . ولكن سليمان لم يكن الشخص المناسب للقيام بأعباء هذا المنصب ، فانصرف الى ملذاته وشهواته واهمل شئون الدولة[٨٦] ، مما هيأ الفرصة للامام عبدالله بن حمزة للتوسع على حساب الايوبيين . غير ان الملك العادل الايوبي سرعان ما تدارك الموقف وارسل حفيده الملك المسعود بن الملك الكامل في جيش كثيف، الى اليمن ، وزوده بالمال والعتاد ، وجعل اتابكه ومدير ملكه جمال الدين فليت[٨٧] .

وصل الملك المسعود زبيد في المحرم من سنة ٦١٢هـ مايو ١٢١٥م واستولى على الملك دون عناء ، ثم شرع في طرد قوات الامام من المدن والحصون التي استولى عليها في أعقاب موت الملك الناصر . واستمرت الحرب بين الطرفين الى ان توفى الامام في المحرم سنة ٦١٤هـ ابريل ١٢١٧م[٨٨] . اما بالنسبة لجبهة الامام عبدالله بن حمزة الذي يعد من اعنف الأئمة في اليمن . فإنه على الرغم من كل ذلك حدثت في عهده عدة انقسامات داخل الجبهة الداخلية ، كما انصرف كثير من سكان اليمن عن تأييده وربما يعود السبب في ذلك الى الامام عبدالله بن حمزة فقد كان الامام عبدالله دائم الزهو والفخر بنسبه العلوي الفاطمي للدرجة التي جعلته يرى ان اي انسان مهما اوتى من علم وفضل ودين لمن يسمو الى مكانة اي فرد من البيت العلوي الفاطمي[٨٩] كذلك كان لاستخدام الامام عبدالله بن حمزة للعنف الذي يصل الى حد البطش بمن خالفه سواء كان من ابناء البيت العلوي او بالفرق المنشقة على المذهب الزيدي اثره في انصراف كثير من الزيدية عن تأييده ، وتقديم مساعداتهم للايوبيين في السر والعلن .

ولغة العنف التي اتصف بها الامام عبدالله بن حمزة تبدو واضحة في رسائله وفتاويه[٩٠] وعلى سبيل المثال فانه يرى ان الطريقة الفعالة لنشر دعوته لاتكون بالمناضرة والحجة والاقناع لان هذه الوسيلة تتطلب وقتا طويلا ولا تاتي بالنتائج المطلوبة ، اما السيف فانه الوسيلة الفعالة لنشر الدعوة،ووجهة نظره في ذلك ان الرسول عليه السلام قد «دعا ثلاثة عشرة سنة فدخل الناس في الدين افرادا ، ثم دعا بالسيف عشر سنين فدخل الناس في الدين افواجا»[٩١] .

بدأت بوادر الأنقسام داخل جبهة الأئمة في سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م عندما أعلن الامير يحيى بن احمد بن سليمان [٩٢] عصيانه على الامام وتأييده للايوبيين . . وحاول الامام عبدالله قمع هذا التمرد فأرسل أخاه يحيى بن حمزة في أربعة آلاف مقاتل ولكنه عجز عن اقتحام مقر الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان في حصن مبين[٩٣] ومن ثم قام الامام بمحاولة استرضاء الأمير الثائر فجعل له ولاية صعدة وأعمالها . إلا أن الأمير عاد إلى الخلاف مرة أخرى ، وساعده الأيوبيون ،.فادعى الامامة ، ودعا الناس إلى طاعة الملك المعز بن طغتكين ، وكتب الى الامام وسبه سبا فاحشا ، دعاه فيه بمسيلمة الكذاب ، ووقعت بينه وبين الامام عبدالله عدة معارك انتهت بهزيمة الأمير يحيى بن أحمد ووقوعه في الأسر ، ثم أمر الامام أعوانه باغتيال الأمير يحيى بن أحمد في سجنه[٩٤] .

وبمقتل الأمير يحيى وقع الانقسام الفعلي داخل جبهة الأئمة ، فنفر الأشراف من بني الهادي من الامام عبدالله بن حمزة على الرغم من محاولته انكار مشاركته أو علمه بجريمة اغتيال الأمير يحيى بن أحمد[٩٥] فخرج الشريف سليمان بن القاضي للأخذ بثأر ابن عمه[٩٦] ، وفي العام التالي ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م خرج الأمير على بن يحيى بن الحسين بن الهادي مخالفا على الامام ، ومؤيدا للملك المعز ، إلا أن الامام تمكن من هزيمته[٩٧] كما يذكر أيضا أن الأمير محمد بن

الامام أحمد بن سليمان قام بتدمير مدينة أثافت[٩٨] انتقاما لمقتل أخيه[٩٩] وصار الأشراف من بني الهادي عنصرا محرضا ومساعدا للأيوبيين ضد الامام[١٠٠] يذكر مؤلف سيرة الامام عبدالله بن حمزة أنه في اثناء مهاجمة الأتابك سنقر بالاشتراك مع الأمير وردسار لأملاك الامام وعزمه على دخول صعدة ، وفر إليه العديد من آل الامام الهادي المخالفين على الامام عبدالله بن حمزة منهم الشريف قاسم بن يحيى بن الحسين من ولد الهادي الى الحق «وكان قد أفسد في بلاد الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة ، وظاهر المفسدين ، ولم يدع مايمكنه من قول ولا فعل»[١٠١] . وممن وفد أيضا الى الأمير سنقر من الشرفاء ، الأمير يحيى بن علي ، وكان شديد الاجتهاد في توطيد أمر الأيوبيين «وكانت له عناية متقدمة وفساد في بلاد الامام بعد أن عزلهُ من ولاية الظاهر»[١٠٢] كما وصل اليه أيضا الشريف حاتم بن علي ، ويبدو أن الأشراف من أبناء الهادي وجدوا أن الفرصة قد حانت للأخذ بثأرهم من الامام عبدالله بن حمزة ، واستبشروا بزوال دولته وأضعاف أمره . ويذكر مؤلف سيرة الامام أن الشريف جعفر بن القاسم كان يتحدث في المجامع والأسواق منتقدا سياسية الامام عبدالله بن حمزة ويقول بأن ماجرى في دولة الامام من الذل على العرب والاهانة والجور ، سيقوم السلطان سنقر بإزالته ، وإصلاح البلاد[١٠٣] .

وهكذا كانت سياسة العنف التى اتبعها الامام عبدالله بن حمزة سببا في تفتيت جبهة الامامة ، وأشعلت العداء بين بطونها ومما زاد من الشقاق داخل جبهة الامامة أن المطرفية كانوا قد بايعوا الامام عبدالله بن حمزة في بداية دعوته ، ولكنهم سرعان مانقضوا هذه البيعة[١٠٤] وبدأوا في مناصبته العداء وتحريض القبائل على قتاله[١٠٥]وحاولوا باستمرار توريط الامام في قتال الايوبيين [١٠٦]وجرت بعض المحاولات للتوفيق بين المطرفية والامام وعقدت عدة مناظرات بين الطرفين[١٠٧] لم يصلا فيها إلى حسم الخلاف بينهما الأمر الذي جعل الامام يتوعدهم ويحكم بتكفيرهم وجواز تشتيتهم إن لم يتخلوا عن مبادئهم[١٠٨] ثم بدأ الامام في اضطهادهم وحربهم ، فخرج عليه أحد أبناء الهادي ويسمى المشرقي محمد بن منصور مدافعا عن المطرفية ومنكرا على الامام تكفيرهم وحربهم ، وأيدته في ذلك بعض القبائل . ثم قام المشرقي ومؤيدوه بمهاجمة بلاد الامام والاستيلاء على بعض حصونه . فجرد عليهم الامام أخاه يحيى بن حمزة . وكان انتقامه من المطرفية رهيبا ، فهدم ديارهم ، وخرب مساجدهم ، وسبأ ذراريهم ، وأوقع بهم مذبحة رهيبة حتى كاد أن يبيدهم[١٠٩] ويعلق يحيى بن الحسين على تلك المذبحة والمقبرة الكبيرة التي دفن فيها الضحايا بقوله (فرأيتها مقبرة هائلة عبرة لمن اعتبر وبأمثلها لايكون الا مثل الامير يحيى بن حمزة فانه كان فتاكا مشهورا [١١٠].

العامل الخامس من عوامل هذا الصراع هو الدور الذي لعبته القوى الداخلية في اليمن . . والمتتبع لاحداث هذه الفترة يجد ان القوى المحلية قد لعبت دورا غير واضح المعالم في هذا الصراع وذلك ان الملك سيف الاسلام طغتكين قد دخل في العديد من المعارك مع هذه القوى حتى تمكن من كسر شوكتهم واخضاعهم لسلطانه . . وكان بنو حاتم ، اهم القوى الداخلية باليمن في هذه الفترة قد تبينوا سياسة المهادنة من اجل الاحتفاظ بمابقي ايديهم من مدن وحصون . . ولكن سرعان ما استولى الملك سيف الاسلام على املاكهم بعد ان اوقع بهم اكثر من هزيمة . . وصالح زعيمهم السلطان علي حاتم على ان يعطيه راتبا شهريا من المال والمؤن بحيث لاتكون له بلاد [١١١] وفي اواخر عهد سيف الاسلام توترت العلاقة بينه وبين السلطان علي بن حاتم . . وبدأت القوى الداخلية في اليمن ترى ان السبيل للحد من نفوذ وسيطرة الملك العزيز هو اقامة جبهة داخلية قوية لمواجهته فاشار البعض عل السلطان علي بن حاتم بان يقيم الامام عبدالله بن حمزة [١١٢] وتعاون بنو حاتم مع الامام في بداية دعوته

وفتحوا قلاعهم وحصونهم في بداية صراعه مع الايوبيين [113].

وتقديرا من الامام عبدالله بن حمزة للمساعدة التي قدمها بنو حاتم وعد السلطان علي بن حاتم بانه اذا ما تمكن الامام من البلاد وملك صنعاء فانه سيعيد السلطان على جميع حصونه وبلاده على ان تكون صنعاء مناصفة بينهما[114] وفي نفس الوقت ارسل المعز بن طفتكين الى السلطان علي بن حاتم يستميله الى طاعته .. وانه سيعطيه مدينة صنعاء .. فارسل اليه علي بن حاتم اخاه بشر بن حاتم وولده عمر بن علي .. بعد وصول الذمة الاكيدة فأمسكهما .. ونكث عهده .. فثبت علي بن حاتم علي موالاة الامام عبدالله بن حمزة [115] ، فلما تمكن الامام عبدالله من دخول مدينة صنعاء تراجع هو الاخر عن الوفاء بعهده للسلطان علي بن حاتم [116] فكان ذلك سببا لبداية التوتر بين بني حاتم وبين الامام عبدالله بن حمزة ، وبدأ السلطان بشر بن حاتم في مساعدة الايوبيين وتحريضهم على الامام ، ومساعدة المنشقين على الامام من بني الهادي[117] ..

وحاول الامام عبدالله استرضاء بني حاتم بمنحهم حصن فِدَة .. ولكنهم اعرضوا عنه لانهم كانوا قد بدأوا مفاوضات الصلح مع الملك المعز[118] .. ولكن الملك المعز اسماعيل لم يستغل فرصة توتر العلاقة بين الامام عبدالله وبني حاتم ، وبدلا من ذلك تطلع للاستيلاء على املاك بني حاتم .. واحتال حتى القى القبض على السلطان بشر ، ثم فرض الحصار على حصن كوكبان ثم تم الصلح على ان يتنازل بنو حاتم عن حصن بكر وكوكبان[119] ..

وهكذا ساءت العلاقة بين بني حاتم وبين كل من الايوبيين والزيدية .. وبدأت سياستهم في التقلب بين التأييد والعداء للقوتين المتصارعتين .. وبموت الملك المعز اسماعيل بن طغتكين في سنة ٥٩٨هـ بدأ كل من الامام والامير وردسار يعمل على استمالة بني حاتم الى جانبه .. فتصالح الامام عبدالله مع السلطان بشر بن حاتم بأن يجعل له ولاية حضور وبلاد حراز [120] وفي العام التالي ٥٩٩هـ صالح وردسار سلاطين بني حاتم بنصف الرحبة واعادة اموالهم واملاكهم في وادي ظهر والمنظر وشعوب [121] .. ولما علمت القبائل بأمر هذا الصلح ضاق بهم الامر وايقنوا انه لابقاء لهم مع وردسار بعد صلحه لآل حاتم لانهم سلاطين العرب الذين يخشى بأسهم .. وانه لما تم الصلح استظهر وردسار ببني حاتم وقويت شوكته / [122] ..

وجدير بالذكر ان السياسة المزدوجة لبني حاتم لم تفدهم كثيرا لان مجرد ميلهم الى احدى القوى كاد يؤدي الى سحب الامتيازات التي منحتها القوة الاخرى .، . واخيرا بدأ دور السلطان بشر بن حاتم يتبلور في اتخاذه لجانب الايوبيين واعلان عدائه سافرا للامام والعمل جاهدا في المباعدة بين السلاطين ابناء اخيه علي وبين الامام عبدالله بن حمزة [123] .. وكثرت اجتماعاته بالامير سنقر ووردسار وتحريضهما على قتال الامام وطرد الاشراف من البلاد .. وعندما علم بعزمهم على قصد مدينة صعدة .. كتب الى الشرفاء من آل الهادي المخالفين على الامام يمنيهم بالاستعداد لجني ثمار ما غرسوه وتشييد ما اسسوه [124] .. اي ان يطلب منهم الاستعداد للقيام بأمر الامامة ..

وحينما وصل الاتابك سنقر الى صنعاء في شهر رجب سنة ٦٠١هـ بادر السلطان بشر بن حاتم بالوصول اليه لاعانته وتقريب العرب منه ليكون واسطة بينه وبينهم وكان معه بعض من ابنائه وابناء اخيه علي بن حاتم فاستقبلهم الاتابك سنقر واكرمهم وخلع عليهم[125] ثم ارسل السلطان بشر بن حاتم الى باقي ابناء اخيه مشيدا بجود وكرم الاتابك وعظيم قواته .. وينصحهم بترك محاربته لانه لاطاقة لهم بمقاومته ويرغبهم بما يحصل لهم من النفع بصلحهم له .. فاجتمعوا للمشاورة فمنهم من استقام على بيعته للامام ومنهم من رغب في صلح

الايوبيين .. وفيما يعود عليهم من النفع وسلامة زروعهم وبلادهم .. وقدم السلطان مبارك بن علي مصالحا .. وتلاه اخوه السلطان زيد ، وبقى السلطان عمر بن علي على موقفه العدائي من الايوبيين .. فبعث له الاتابك رسولا تمكن من اقناعه بالمصالحة بعد ان اعادوا له بلاده حول حصن العروس .. (١٢٦)

وهكذا تمكن السلطان بشر بن حاتم من اقناع ابناء اخيه السلطان علي بن حاتم بترك مساعدتهم للامام عبدالله بن حمزة ومحالفة الايوبيين .. غير ان هذه الفترة لاتفصح عن الدور الذي قام به سلاطين بنى حاتم بعد صلحهم مع السلطات الايوبية ..

ومن ثم فان المتتبع لمراحل الصراع بين الايوبيين والامام عبدالله بن حمزة سيجد ان القوتين قد تبادلتا السيطرة على اقاليم اليمن .. وكانت كفة احداهما ترجح على الاخرى وفقا لاستثمارها واستفادتها من هذه العوامل ..

هوامش :-

١ـ يحيى بن حسين بن القاسم . ولد بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ يوليو ٩١١م ودفن في صعدة ..

العباسي ، سيرة الهادي ص ١٧ ، عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ١٩٥٧ ص ٧٩ احمد صبحي الزيدية ، ص ١٣٩ ..

٢ ـ الرس والرسيس ، وادي بنجد او موضعان .

شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان بيروت ١٩٥٨ ، جـ ٣ ص ٤٣ـ٤٤ والرس ماء ونخيل لبني اسد .. والرس الآن مدينة رئيسية من مدن القصيم .. محمد بن ناصر العبودي ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، بلاد القصيم ، القسم الثالث ، منشورات دار اليمامة ١٩٨٠ ص ١٠٢٣ ـ ١٠٢٦ ..

٣ـ العباسي ، سيرة الهادي ص ٣٦ ، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي ، انباء ابناء الزمن مخطوط مصور رقم ١٧ تاريخ وتراجم بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير صنعاء ، ص ٢٥ ، غاية الاماني في اخبار القطر اليماني . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ جـ ١ ص ١٦٦ ، محمد بن اسماعيل الكبسي ، اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٢ ، صبحي ، الزيدية ، ص ١٣٩ ، حسين احمد السياغي ، اصول المذهب الزيدي اليمني وقواعده ، دمشق ١٩٨٤ ، ص ٧ .

٤ـ صعدة .. بفتح الصاد وسكون العين ، تقع على بعد ٣٠٠ كيلو متر شمال صنعاء .. وهي مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار .. واشتهرت بدباغة الجلود وصناعة الاسلحة ، كانت تسمى في الجاهلية جماع ، اما سبب تسميتها صعدة فيقال انه كان بها قصر مشيد فتامله رجل من اهل الحجاز فلما اعجبه قال .. لقد صعده لقد صعده فسميت من يومئذ ،

الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، صنعاء ١٩٨٣ ، ص ١١٦ وص ٢٢٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ص ٤٠٦ محمد بن احمد الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، بيروت ١٩٨٤ م ٢ جـ ٣ ص ٤٦٧ ، ابراهيم احمد المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية .. صنعاء ١٩٨٥ ، ص ٣٩٠ ، حسين بن علي الويسي ، اليمن الكبرى القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١١٧،١١٨ .

٥ـ تقع نجران الى الشمال الشرقي من صعدة على بعد مائة كيلو متر تقريبا ومن اهم قراها الاخدود التي ذكرت في القرآن ..

الويسي ، اليمن الكبرى ١١٧ ـ ١١٨ عن وادي نجران وفروعه .. انظر الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ١٦٢ ـ ١٦٤ .

٦ـ العباسي ، سيرة الهادي ، ص ١٨ ، ص ٤١ ـ ٤٢ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ، ص ٢٢٥ ويحيى بن الحسين ، انباء ابناء الزمن ، ص ٢٥ ، غاية الاماني ، جـ ١ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ، ابو الحسن علي بن الحسن الخزرجي ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، دمشق ١٩٨١ ، ص ٢٥ عبد الرحمن بن علي الديبع ، قرة العيون باخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، القاهرة ١٣٧٤هـ ص١ ص ١٦٨ ـ ١٧٤ ..

والمخاليف ، هي القرى ، سيرة الهادي ص ٤٣ ، ويقول ياقوت والمخاليف بمنزلة الكور والرساتيق ، معجم البلدان ، جـ ٥ ص ١٦٧ ـ ١٦٨

٧ـ اعتبر الهادي ان ابا بكر قد اخطا في مسألة فدك بدعوى انها كانت في ملك فاطمة قبل وفاة النبي الذي كان قد وهبها اياها ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ؛ صبحي ، الزيدية ، ص ١٨١ ؛ فضيلة الشامي ، تاريخ الفرقة الزيدية ، ص ٥٩ ويقول السياغي عن تسلسل المذهب الزيدي في اليمن ان الامام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم كان له من العناية باقوال جده ومؤلفاته واجتهاداته ماهو معروف

عند ارباب الفقه ، فنشرها وضم اليها اجتهادات نفسه ومؤلفاته وماله من انظار خالف فيها بعض آراء جده واجتهاداته . ثم تلى ذلك علماء آخرون اختصوا بالعناية بمؤلفات الهادي واجتهادلته وفتاويه وتمحيص اقواله ، ولهم ولاتباعهم مؤلفات عديدة واجتهادات فيها مخالفة لكلام الهادي او زيد بن علي . انظر اصول المذهب الزيدي ، ص ١٣ ـ ١٤ وهذا تأكيد لقول الشهرستاني بأن اكثر الزيدية قد مالت عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الامامية الملل والنحل ، جـ(١) ص ١٥٧ .

٨ـ صبحي ، الزيدية ، ص ١٨١ ، انظر ، العباسي ، سيرة الهادي ، ص ٢٧ .

٩ـ صبحي ، الزيدية ، ص١٥٠ ـ ١٥١ ؛ انظر ، سيرة الهادي ، ص٢٢ ، ص٢٧ .

١٠ـ يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص٢١٦ ؛ حسين بن احمد العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وامام ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ص٣٤ .

١١ـ يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص٢٢٨ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص٤٨ ـ ٥٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٢٢٨، ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص٣٤ـ٣٥ .

١٢ـ عبدالله بن حمزة بن سليمان بن علي بن حمزة بن

. ولد بقرية عيشان من ظاهر بلاد همدان لاحدى وعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة .

حميد بن احمد المحلي اليمني ، الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية ، مخطوط رقم ٧٦ تاريخ وتراجم في المكتبة الغربية ، بالجامع الكبير ، جـ٢ ورقة ١٣٠ ؛ ابو إسحاق ، التذكرة ، مخطوط رقم ٥٨ تاريخ وتراجم في المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، ورقة ٦١ ؛ يحيى بن علي الحبشي القاسمي ، تتمة الافادة في تاريخ الائمة السادة ، مخطوط ضمن مجموع ٣٥ في المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، ورقة ٨٦ ؛ ابراهيم بن القاسم بن محمد بن القاسم ، طبقات الزيدية ، مخطوط رقم ٢٢٦ تاريخ وتراجم في المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، ص٢٢٢ ؛ محمد بن حمزة بن مظفر ، الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان ، مخطوط رقم ٥٩ تاريخ وتراجم في المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، ورقة ٨٢ .

١٣ـ دولة بني مهدي في زبيد أسسها أبو الحسن علي بن مهدي سنة ٥٥٤هـ وتوفي في نفس العام فخلفه ابنه مهدي بن علي الذي توفي في ذي الحجة سنة ٥٥٨هـ نوفمبر ١١٦٣م فخلفه اخوه عبدالنبي ، واشتهر آل مهدي بعدائهم واضطهادهم لأهل السنة ، وبسطوا سلطانهم على تهامة ومعظم اليمن الأسفل الأمر الذي ادى الى اصطدامهم بدولتي بني الدبيع بني حاتم ، وظلت دولة بني مهدي قائمة الى أن تغلب عليها توران شاه سنة ٥٦٩هـ ١١٧٣/ ١١٧٤م .

عمارة بن علي اليمني ، تاريخ اليمن ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، صنعاء ١٩٧٥ ، ص١٨٤ ـ ١٩٠ ؛ عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني ، تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ، صنعاء ١٩٨٥م ، ص٧٢ـ٧٦ ؛ الجعدي ؛ فقهاء اليمن ، ص١٨٣ ـ ١٨٤ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٣٦٠ ـ ٣٦٨ ؛ الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد ، تحقيق يوسف شلحد ، بيروت ١٩٨٣ ، ص٧٥ـ٧٧ ؛ وجيه الدين الحبيشي ، تاريخ وصاب ؛ تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، بيروت ١٩٧٩ ، ص١٠٥ ـ ١٠٨ .

١٤ـ دولة بني زريع في عدن ٤٦٧ ـ ٥٦٩هـ ١٠٧٥ /١١٧٣ نفوذ بني زريع في عدن سنة ٤٦٧هـ كنواب عن الصليحيين ، فلما ضعف امر الدولة الصليحية استقلوا بملك عدن ، واعترف علي الأعز بن سبأ ٥٣٣هـ ١١٣٨م بالتبعية للخليفة الفاطمي بمصر ، ويعد محمد بن سبأ ٥٣٤ ـ ٥٤٨هـ ١١٣٩/١١٥٣م أهم حكام آل الزريع .

وظلت هذه الدولة قائمة الى ان تغلب عليها توران سنة ٥٦٩هـ .

عمارة ، تاريخ اليمن ، ص١٣٩ـ١٥٣ ؛ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٦٣ـ٦٤ ؛ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، تحقيق أو سكر لوفغرين ، ليدن ١٩٥١ ، ص١٦٩ ؛ العرشي ؛ بلوغ المرام ، ص٢٧ـ٢٨ ؛ احمد فضل بن علي محسن العبدلي ، هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن ،، بيروت ١٩٨٠ ، ص٥٤ ـ ٦٣ ؛ وجيه الدين ، تاريخ وصاب ، ص٦٦ـ٧١ ؛ ابو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن احمد ابي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، تحقيق وسكار لوفغرين ، ليدن ١٩٣٦ ، جـ١ ص٤٠ـ٤٢ .

١٥ـ جنب بفتح الجيم وسكون النون آخره باء موحدة ، من قبائل مذحج ، وسموا جنبا لأنهم جانبوا أخاهم يزيد بن يزيد بن حرب ، ومن جنب هذه قبيلة جنب التى كان موطنها هران ذمار ، ثم انتقلت الى مغارب ذمار وبه سمي مخلاف الجنبي ، ويطلق اسم جنب أيضا على عدة قبائل .

عمر بن يوسف بن رسول ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ؛ تحقيق/ ك . وسترستين ، صنعاء ١٩٨٥ ، ص ٦٤ـ٦٥ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٣٠ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ١ ص١٩٢ ـ ١٩٣ ؛ القحفي ، معجم البلدان والقبائل

اليمنية ، ص١٤٥ .

١٦ـ بنو شهاب من قبائل كنده ، ومخلاف بني شهاب في ناحية البستان بالقرب من صنعاء ، الحجري ، بلدان اليمن م١ جـ١ ص١١٨ ـ ١١٩ ؛ م٢ جـ٣ ص٤٦٠ .

١٧ـ سنحان اسم مشترك لبعض القبائل باليمن ، فهناك سنحان التى تنسب الى قبائل جنب المذحجية ، كما توجد قبائل سنحان التى تنسب الى قبائل القضاعيين ، كما أن سنحان تطلق ايضا على عدة مواضع باليمن .

عمر بن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص٤٨ ، ٥١ ، ٦٥ ، ١٢٢ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م٢ جـ٣ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣ ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص٣٣٣ ؛ حسين احمد السياغي ، معالم الآثار اليمنية ، صنعاء ١٩٨٠ ، ص٣٨ .

١٨ـ دولة بني حاتم في صنعاء ٥٣٣ ـ ٥٦٩هـ ١١٣٨/١١٧٣م أسسها السلطان حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل اليامى سنة ٥٢٣هـ ، وكان له ستة اولاد اشهرهم علي وبشر وبوفاة السلطان حاتم سنة ٥٥٦هـ ١١٦١م تولى بعده ابنه علي بن حاتم .

عمر بن رسول ، طرفة الأصحاب ، ص١١٩ ـ ١٢٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٢٩٧ ؛ ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٦٥ .

١٩ـ براش حصن مطل على مدينة صنعاء متصل بجبل نقم من شرقيه . ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٣٦٤ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ١ ص١٠٥ ـ ١٠٦ ؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ص٧٢ .

٢٠ـ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٥١ ـ ١٥٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٢٤ ـ ٣٢٦ ؛ ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٧٧ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٣٧٩ ـ ٣٨٢ .

٢١ـ بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي ، السمط الغالي الثمن في اخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس سميث : كمبردج ١٩٧٣ ، ص٢٠ـ٢١ ؛ ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٧٧ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٢٦ ؛ ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص٨٠ .

٢٢ـ سيف الاسلام طغتكين بن أيوب بن شاذي ، كان ملكا شهما شجاعا اديبا لبيبا عاقلا اريبا عازما ، بعثه اخوه الملك الناصر صلاح الدين الى اليمن في الف فارس وخمسمائة راجل . فدخل مكة في رمضان سنة ٥٧٩هـ ، ثم توجه نحو اليمن ووصل زبيد في ١٣ شوال من تلك السنة .

بامخرمه ، تاريخ ثغر عدن ، جـ٢ ص١٠١ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٢٨ .

٢١ـ حب بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة ، من اشهر حصون اليمن وامنعها ، اقيم في سرة جبل بعدان من اعمال إب .

الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ١ ص٤٥ـ٤٦ ؛ جـ٢ ص٢٢٧ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص٢٠٠

٢٤ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٢٥ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٦٠ ـ ١٦١ ؛ ابن الربيع ، قرة العيون ، جـ١ ص٣٨٩ ؛ محمد عبدالعال احمد ، الأيوبيون في اليمن ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص١٢٥ ـ ١٢٦ .

٢٥ـ يحيى بن الحسين ابناء الزمن ، ص٥٥ ؛ غاية الأماني ، جـ١ ص٣٢٩ ـ ٣٣٠ ؛ مؤرخ مجهول ، اخبار الهجرة المنصورية ظفار وحصونها الأربعة مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٤٧٠ تاريخ تيمور ، ص٦ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٥٧ ؛ عبدالله عبدالكريم الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ؛ بيروت ١٩٨٤ ، ص١٢٨ .

ويبدو أن الزيدية لم يتوقعوا خروج عبدالله بن حمزة للدعوة في ذلك الوقت ، وكانوا ينتظرون خروج شمس الدين يحيى او بدر الدين محمد ابنى أحمد بن يحيى .... بن الامام الهادي يحيى بن الحسين ، وكانوا متوقعين الدعوة من شمس الدين يحيى بالذات لمحله من العلوم المشروطة في حق الامام ، ولكنه جنح الى السلامة عن تحمل أعباء الامامة ، ويقال أن عبدالله بن حمزة طلب من الأمير شمس الدين القيام بالأمر ولكنه اعتذر عن ذلك ، مع ملاحظة أن يحيى بن الحسين قد خلط في اسماء شمس الدين يحيى وبدر الدين محمد فأحيانا يذكرهما بانهما ابني احمد بن سليمان ، كما في انباء أبناء الزمن ، ص٥٥ وأحيانا يذكرهما انهما ابني احمد بن يحيى بن يحيى كما في غاية الأماني جـ١ ص٣٣٠ والصحيح هو ماذكر في غاية الأماني .

والاحتساب هو الدرجة التى تسبق الامامة عند الزيدية ، وقد يتولى الرجل الاحتساب ولا يدعو الى الامامة كما وقع للشريف القاسم بن جعفر ، ولغيره وهم جم غفير ، وقد يسمى الاحتساب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

العرشي ، بلوغ المرام ، ص٤٢٠ ؛ محمد عبدالعال الأيوبيون في اليمن ، ص ١٥٤ .

وقد سبق عبدالله بن حمزة الى الاحتساب لقتال الأيوبيين ، وعندما أعلن عبدالله بن حمزة دعوته الثانية سنة ٥٩٣ ، قام بتأييده ونصرته .

ابن مظفر ، الترجمان ، ورقة ٩١ ، العرشي ، بلوغ المرام ، ص٤٢ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٧٠ـ٧١ ؛ محمد بن محمد زبارة ، أئمة اليمن ، تعز ١٩٥٢ ، جـ١ ص١٢٧ ـ ١٢٨ .

٢٦ـ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ٢ ص١:١ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٣٩٥ ، الفضل المزيد ، ص٨٣ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٣١ ـ ٣٣٢ ؛ ابن حاتم ، السمط ، ص٢٩ ـ ٣١ .

٢٧ـ يحيى بن الحسين انباء الزمن ، ص٥٥ـ٥٦ ،

غايـة الامـاني ، جـ١ ص٣٣٠ ، ص٣٣٣ - ٣٣٤ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٥٧ - ٦٠ . زبارة ، ائمة اليمن ، جـ١ ص١١٠ - ١١١ ؛ الجرافي ، المقتطف ، ص١٢٨

٢٨- يضفي مؤرخـو اليمن شكلا اسطوريا على موت سيف الاسـلام ، فيذكرون انه لما استولى على اليمن دعته نفسه الى شراء اراضيه ، فندب المثمنين في سائر الاقـاليم لتثمين الأرض ، فشق ذلك على اهل اليمن ، فاعتصموا في المساجد ، وتوسلوا بكتاب الله برفع الظلم ثلاثـة ايام ، فلما كان عشية السادس والعشرين من شوال سمعـوا هاتفـا يقـول قد قضي الأمر الذي فيه تستفتيان فوجدوا سيف الاسلام قد توفي في تلك الساعة

وجيه الدين ، تاريخ وصاب ، ص١١١ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٦٩ - ١٧٠ ، بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ٢ ص١٠٣ - ١٠٤ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ(١) ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ويعتقد البعض انه مات مقتولا بالسم .

ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ١٦٦ ، يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ(١) ص ٣٤٠

٢٩ - كان المعز اسماعيل قد اتى بعض الافعال التي اغضبت والده ، فطرده من اليمن ، واختلفت الروايات في الطريقة التي عاد بها المعز اسماعيل

انظر ، محمد عبدالعال ، الايوبيون في اليمن ، ص ١٤٩ - ١٥٢ .

٣٠- يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٤١ ؛ زبـارة ، ائـمـة اليمن ، جـ١ ص١١٣ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٦٢ .

بينما يذكر يحيى بن الحسين في انباء الزمن ص٥٧ ، وابن حاتم في السمط ص٤١-٤٢ بأن السلطان علي بن حاتم هو الذي حرض الامام عبدالله بن حمزة على القيام ، وارسل اليه اخاه بشر بن حاتم في ثلاثين فارسا ، وسأله النصرة والقيام فأجاب ، وبث الدعوة في جميع الآفاق ، وتوفي السلطان سيف الاسلام ، دون أن يعلم بأمر قيام الامام عبدالله بن حمزة

٣١- عن جغرافيـة المنطقة ، انظر ، حسين بن علي الويسي ، اليمن الكبرى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص١٨ - ٢٦ ؛ أحمد حسـين شرف الدين ، اليمن عبـر التاريخ ، القـاهـرة ١٩٦٤ ، ص١٧ ؛ عبـدالله بن عبـدالوهاب الشمـاحي ، اليمن ، الانسـان والحضـارة ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص٧-٨ .

٣٢- محمد صبحي عبدالحكيم وآخرون ، التحضر في الوطن العربي ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص٦٤٩ .

٣٣- محمد صبحي عبدالحكيم وآخرون ، التحضر في الوطن العربي ، جـ١ ص٦٤٨ - ٦٤٩

٣٤- محمد صبحي عبدالحكيم وآخرون ، التحضر في الوطن العربي ، جـ١ ص٦٤٣ .

٣٥- محمد صبحي عبدالحكيم وآخرون ، التحضر في الوطن العربي ، جـ١ ص٦٦٣ - ٦٦٤ .

٣٦- محمد صبحي عبدالحكيم وآخرون ، التحضر في الوطن العربي ، جـ١ ص٦٦٤

٣٧- الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ؛ محمد صبحي عبدالحكيم وآخرون التحضر في الوطن العربي ، جـ(١) ص ٦٨٢

حجـة بلدة مشهـورة من بلاد همدان على ارتفاع ١٨٠٠ متـر ، وتقع في الشمال الغربي لمدينة صنعاء الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ١٠١

وشهـارة ، بضم الشـين او فتحهـا وهي من امنع حصـون اليمن ، تقع على جبل ارتفاعه ٣٠٠٠ متر ، ولشهـارة طرق محكمـة بين الجبال - ياقوت ، معجم البلدان ، جـ(٣) ص ٣٧٤ ؛ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ١٠٧ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م ١ جـ(١)ص ٩٥

٣٨ - كوكبان حصن ضخم على ارتفاع ٢٨٠٠ متر عن سطح البحر ، ويطل على مدينة شبام كوكبان من ناحية الشمـال الشرقي ، ويـرتفع موقع الحصن عن المدينة بمسـافـة ٥٠٠ متـر ، ويقع كوكبان على بعد تسعين كيلومتر الى الشمال الغربي من مدينة صنعاء ويقال انه سمي كوكبان لان قصره كان مبنيا بالفضة والحجارة ، وداخلهـا الياقوت والجوهر ، وكان ذلك الدر - والجوهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب فسمي بذلك ، وليس لهذا الحصن الا طريق واحـدة . ياقـوت معجم البلدان ، جـ(٤) ص ٤٩٤ ؛ السياغي ، معالم الآثار اليمنية ، ص ٧٤ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م ١ جـ(١) ص ٨٧ - ٨٨ ؛ م٢ جـ(٤) ص ٦٦٨ - ٦٦٩ ، شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ص ٢١٩ .

٣٩- مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ(٣) ورقة ٢ ، ٩ ؛ يحيى بن الحسين غاية الاماني ، جـ(١) ص ٣٤٧ - ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ؛ ابن حاتم ، السمـط ، ص ٩٩ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ .

٤٠ - ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص ١٤٠ - ١٤٣ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ(١) ص٥٨ - ٦٤ .

٤١- الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٦٨-١٦٩ ، با مخـرمـة ، تاريخ ثغر عدن ، حـ٢ ص١٠٣-١٠٤ ابن حاتم/السمط ، ص ٣٩

٤٢- عبدالله بن حمزة ، الدعوة العامة ، ورقة ٦ ، مجموع ٤٥ بالمكتبة الغربية في الجامع الكبير .

٤٣- احمد بن يحيى المرتضى ، كتاب الازهار في فقه (الائمة الاطهار ، ص ٧٣-٧٥ .

٤٤- يحيى بن الحسـين ، غايـة الامـاني ، حـ ١ ص

٣٦٩ـ٣٧٤ ، ٣٧٧ـ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٩ مؤرخ مجهول سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، ج٣ ورقة ٧

٤٥ـ عبدالله بن حمزة ، رسالة الى الحسين بن عبدالله الطبري ورقة ٤٥ـ٤٦ ، مجموع ٤٥

٤٦ـ مؤرخ مجهول سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٤

٤٧ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٤ .

٤٨ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٤ ، ابن حاتم ، السمط ، ص١١٢

٤٩ـ الأوقية تساوي عشر قفال بالختم المصري انظر ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٧٧ حاشية ٤ للمحقق

٥٠ـ جاء في منشور الامام انكم تجهلون اجتهادنا في مصالحكم في دنياكم وآخرتكم . وكانت دراهم الظلمة ودينارهم تاتينا وإياكم مخلوطة بالصفر والغش فلا نجد بدا من قبولها . ولم نر إلا ان نضرب للمسلمين نقدا طيبا مباركا فبلغنا ان الدرهم المبارك خرج ووقع منه بعض بصرة من المفسدين مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٦١

٥١ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٦٠ ـ ٦٢ ، يحيى بن الحسين انباء الزمن ، ص ٦٦ ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٨٨

٥٢ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٤٤ ـ ٤٥ ، ٧١ ـ ٧٢ ـ ، ٧٩ ، ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٨٠ ، الخزرجي المسبوك ، ص١٧٢ ـ ١٧٤ ، ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٤٠٣ ، بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ٢ ص١٩ـ٢٠ ، يحيى بن الحسين ، ابناء ابناء الزمن ، ص٦٠ ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٥٦ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٦٥

٥٣ـ حميد المحلي ، الحدائق الوردية ، جـ٢ ورقة ١٥٦ ، ابو اسحق ، التذكرة ، ورقة ٦١ ، ابن حاتم ، البسط ، ص٤٦ ـ ٤٨ ، يحيى بن الحسين ، ابناء ابناء الزمن ، ص٥٨ ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٦٣ ، زبارة ، ائمة اليمن ، جـ١ ص١١٥ ـ ١١٦ .

٥٤ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٤٨ ، يحيى بن الحسين ، ابناء ابناء الزمن ، ص٥٨ ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٤٥ ، زبارة ، ائمة اليمن ، جـ١ ص١١٦ .

٥٥ ـ يحيى الحسين ، ابناء وابناء الزمن ، ص٥٨ ، ابن حاتم ، السمط ، ص٤٨ .

٥٦ ـ عصر غربي صنعاء ، وهي مجاورة لجبل سميت باسمه . وعصر قريتان

عصر عليا ، وعصر سلفى ، وهما من المواطن المجاورة لصنعاء .

العرشي ، بلوغ المرام ، ص١٤٠

٥٧ ـ حميد المحلي ، الحدائق الوردية ، جـ٢ ورقة ١٥٦ ابو اسحق التذكرة ، ورقة ٦١ يحيى بن الحسين ابناء ابناء الزمن ص٥٩ ، القاسمي تتمة الافادة ورقة ٨٨ ، ابن مطفر ، الترجمان ورقة ٨٦ زبارة ائمة اليمن حراص ١١٦

٥٨ ـ ابن حاتم ، السمط ص٥٨ ، يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٤٦ ، الكبسي ، اللطائف السنية ص٦٤

٥٩ ـ حميد المحلي الحدائق الوردية ، جسب ورقة ١٥٩ ، ابن حاتم ، السمط ص٥٨ ـ ٦٣ يحيى بن الحسين ابناء وابناء الزمن ، ص٥٩ ، ابو اسحق ، التذكرة ورقة ٦١ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ص١٧٢ ابن عبد المجيد ، تاريخ اليمن ،ص٨٠ ، ابن الديبع قرة العيون ، جـ١ ص٤٠٢

٦٠ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٦٧ ، محمد عبدالعال ، الايوبيون في اليمن ، ص١٧٥

٦١ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٧٦ ، محمد عبدالعال ، الايوبيون في اليمن ، ص١٧٥

٦٢ ـ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٥٥ ـ ٣٥٦ ، ابن حاتم ، السمط ، ص٧٦ ـ ٧٨ ، زبارة ، ائمة اليمن جـ١ ص١٢٣ ، الكبسي ، اللطائف السنيه ، ص٦٥

٦٣ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٧٩ ـ ٨١ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص ٣٥٦ ، الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٦٥ ـ ٦٦

٦٤ ـ عن مقتل الملك المعز اسماعيل بن طغتكين انظر ابن حاتم السمط ، ص ٨١ ـ ٨٢ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٥٧ ، الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص ١٧٤ ، ابن الديبع قرة العيون ، جـ١ ص٤٠٤

٦٥ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٨٦

٦٦ ـ عبدالله بن حمزة ، رسالة الى الملك العادل الأيوبي ، مجموع ٤٥ ، ورقة ١٧ ـ ١٨ ، ابن حاتم ، السمط ، ص٨٨ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣

٦٧ـ الدملوه بضم الدال المهملة وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو ، حصن باليمن كان يسكنه آل الزريع . ويقع على بعد ٤٠ كيلو مترا جنوب شرق تعز

الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ ، الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ٢ ص٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، الويسي ، اليمن الكبرى ، ص٣٩

٦٨ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٨٦ـ٩٠ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٥٨ـ٣٦٤ ، انباء الزمن ، ص٦٢

٦٩ـ الملك الناصر ايوبه بن الملك العزيز طغتكين بن ايوب ، ولي اليمن بعد قتل اخيه الملك المعز إسماعيل بن طغتكين . فقام به وليه الأمير سيف الدين سنقر الاتابك

. وكان هو الذي رباه ولذلك قيل له الاتابك . وهذه الكلمة إنما توضع لمن يربي اولاد الملوك . بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ٢ ص٢٤ ؛ يحيى بن الحسين ، ابناء ابناء الزمن ؛ ص٦١ .

٧٠- الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٧٧ ؛ ابن حاتم . السمط ، ص٩٨ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، جـ٢ ص٥٤ ؛ مؤرخ مجهول ، اخبار الهجرة المنصورية ، ص٣ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص .

٧١- حوث: بلدة من حاشد ، تقع على بعد ١٢٠ كيلو شمال غرب صنعاء .
الويسي ، اليمن الكبرى ، ص٨٣ ؛ العرشي ، بلوغ المرام ، ص١٤٦ .

٧٢- خمر بفتح الخاء وكسر الميم ، بلدة من حاشد ، تقع على بعد حوالي مائة كيلو متر شمال غرب صنعاء . الهمداني ، الاكليل ، الجزء الثامن ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، دمشق ١٩٧٩ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ٢ ص٣١٠ ، العرشي ، بلوغ المرام ، ص ١٤٦ .

٧٣- تلمص ، حصن من بلاد سحار من اعمال صعدة الحجري ، بلدان اليمن ، م ١ جـ١ ص ١٥٥ .

٧٤- مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٢ ورقة ٢٤-٣٥ ؛ ابن حاتم ، المسط ، ص٢١ .

٧٥- تقع هذه القلعة في راس جبل ورور . وبعد ان عمرها الامام سماها حصن ظفار . ثم صار المكان يعرف باسم ظفار داود نسبة الى داود بن الامام عبدالله بن حمزة-الحجري ، بلدان اليمن ، م٢ جـ٢ ص٥٦٤ .

٧٦- مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٢ ورقة ٢ ؛ ابن حاتم ، السمط ، ص١٠٩ - ١١٠ ؛ مؤرخ مجهول ، اخبار الهجرة المنصورية ، ص١-٢ .

٧٧- بكر حصن من ناحية شبام كوكبان . الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ١ ص١٢٥ .

٧٨- ابن حاتم ، السمط ، ص١٠٨ .
بينما يذكر يحيى بن الحسين ان والي كوكبان عجز عن نفقة من عنده من الجند فعرض الحصن على الامام مقابل خمسة آلاف دينار فأعرض عنه الامام ، وفشل الوالي في ان يبيعه لغيره . فمال الى اظهار الطاعة للامام ، وخطب له على منابر شبام . ثم استدعى الأمير يحيى بن حمزة وسلمه الحصن من دون مال .

يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٨٢ .

٧٩- مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٤،٥،٨ ؛ ابن حاتم ، السبط ص١٠٢-١٠٣ ، ١١٢ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ .

٨٠- مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٨ ؛ ابن حاتم ، السمط ، ص١٠٢ - ١٠٣ ؛ مؤرخ مجهول ، اخبار الهجرة المنصورية ، ص٤ ؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٩٣ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٤٠٨ .

٨١- مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ١ ؛ ابن حاتم ، السمط ، ص١٠٨ - ١٠٩ .

٨٢- يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٩٣ ، ابن حاتم ؛ السمط ، ص١٤٣ .

٨٣- ابن حاتم ، السمط ، ص١٣١ ، ١٤٧ .

٨٤- الخزرجي العسجد المسبوك ، ص١٨٧ - ١٧٩ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، دمشق ١٩٨٤م ص١٣ - ١٤ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٩٥ ، ٣٩٧ ؛ مؤرخ مجهول ، أخبار الهجرة المنصورية ، ص٤ .

٨٥- ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٨١-٨٢ ؛ ابن حاتم ، السمط ، ص١٥٢ - ١٩٤ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٧٩ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٤ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ض٣٩٨ - ٣٩٩ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٧٢-٧٣ .

٨٦- يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٩٩ - ٤٠١ ؛ ابن حاتم ، السمط ، ص١٥٤ - ١٥٦ ، ١٦٥ ؛ علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، بيروت ١٩٨٣ ، جـ١ ص٣٩ ؛ العسجد المسبوك ، ص١٨٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص١٤٠ - ٤١١ .

٨٧- ابن عبدالمجيد تاريخ اليمن ، ص٨٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، جـ١ ص٣٩ ؛ العسجد المسبوك ، ص١٨٠ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٤١١ ؛ الفضل المزيد ، ص٨٦ - ٨٧ .

٨٨- الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٨١ - ١٨٢ ؛ ابن عبدالمجيد ، تاريخ اليمن ، ص٨٢-٨٣ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٤١٢ ؛ الفضل المزيد ، ص٨٧ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص٧٤ - ٧٥ .

٨٩- الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ص١٨١ - ١٨٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٤٠٤ - ٤٠٦ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، جـ١ ص٤١٣ - ٤١٤ ؛ حميد المحلي ، الحدائق الوردية ، جـ٢ ورقة ١٦٨ ؛ ابو إسحق : التذكرة ، ورقة ٦٢ ؛ القاسمي ، تتمة الافادة ، ورقة ٨٨ .

٩٠- للامام عبدالله بن حمزة ارجوزة في ذلك . انظر الشماحي ، اليمن ، الانسان والحضارة ، ص١٠٤ - ١٠٥ .

٩١- انظر: عبدالله بن حمزة ، الرسالة الكافية ، مجموع ٤٥ ، ورقة ٩ ؛ جوابه للحسين بن عبدالله الطبري؛ مجموع ٤٥ ، ورقة ٥١ ، كتاب الأجوبة الكافية بالأدلة

الوافية ، مجموع ٤٥ ، ورقة ٣٦ .
٩٢ـ عبدالله بن حمزة ، كتاب الأجوبة الكافية ، مجموع ٤٥ ، ورقة ٣٧ .
٩٣ـ استولى الملك طغتكين بن ايوب على صعدة سنة ٥٨٦هـ ، ورتب فيها حامية عسكرية من ثلاثمائة فارس وفي العام التالي تمكن الامير عماد الدين يحيى بن احمد بن سليمان من طرد الحامية الأيوبية ، والاستيلاء على المدينة ، غير انه لم يشأ ان يدخل في صراع مع الأيوبيين . فتوجه الى صنعاء ، واخذ عهدا من الملك طغتكين بالولاية على صعدة .
يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

وعندما جدد الامام عبدالله بن حمزة الدعوة في اواخر سنة ٥٩٣هـ واستقرت له الأمور في شمال اليمن ، قام بتعيين الأمير علي بن الحسن واليا على صعدة .
ابن مظفر ، الترجمان ، ورقة ٨٦ .

وهو الأمر الذى ربما أثار استياء الأمير يحيى ، ودعاه الى التمرد على الامام ومناصرة الأيوبيين .
٩٤ـ مبين ، بفتح الميم وسكون الباء وياء مفتوحة ، بلدة من أعمال حجة ، الحجري ، بلدن اليمن ، م٢ جـ٤ ص٦٨٨ .
٩٥ـ ابن حاتم ، السمط ، ص٦٧ـ٦٨ ؛ يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن ، ص٥٩ ؛ غاية الأماني ، جـ١ ص٣٤٨ ـ ٣٥٠ ؛ ابن مظفر ؛ الترجمان ، ورقة ٩١ ؛ زبارة ، أئمة اليمن ، جـ١ ص١١٨ ـ ١١٩ .
٩٦ـ ابن مظفر ، الترجمان ، ورقة ٩٢ .
٩٧ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ١٢ ؛ يحيى بن الحسين أنباء الزمن ، ص٥٩ ؛ محمد عبدالعال ، الأيوبيون في اليمن ، ص١٧٤ .
٩٨ـ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٥٣ ؛ زبارة ، أئمة اليمن ، جـ١ ص١٢١ ـ ١٢٢ .
٩٩ـ أثافت ، بفتح الهمزة وكسر الفاء ، وتذكر احيانا ثافت باسقاط الهمزة ، وهي بلدة في حاشد .

الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١١٤ـ١١٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ص٨٩ .
١٠٠ـ ابن مظفر ، الترجمان ، ورقة ٩١ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م١ جـ١ ص٥٧ .
١٠١ـ يقول مؤلف سيرة الامام ، وكان الشريف سليمان بن القاضي وهو من ولد الهادي عليه السلام قد خالف إلى الغزوبابين الامام عليه السلام مند مدة طويلة ، واقام عند وردسار ، واجتهد اشد الاجتهاد في قود الغز إلى مكاتباته الى اصحابه الشرفاء واهل صعدة وقبائل نجران وغيرهم يحضهم على الخلاف ويقوى عزائمهم .
مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزه ، جـ٣ ورقة ١٢ .
١٠٢ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ، ورقة ٢٦ .
١٠٣ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ، ورقة ٢٧ .
١٠٤ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ، ورقة ٣٤ .

١٠٥ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٩٩ ؛ حميد المحلي ، الحدائق الوردية ، جـ٢ ورقة ١٥٣ .
١٠٦ ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ١٠ .
١٠٧ ـ يحيي بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ ١ ص ٣٧٢ .
١٠٨ ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ ٣ ورقة ١٤ ، ١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ابن الوزير ، الروض الباسم ، جـ١ ص ١٢٣ ، مؤرخ مجهول ، اخبار الهجرة المنصورية ، ص ٨ .
١٠٩ ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ ٣ ورقة ١٢٧ يحيى بن الحسين ، ابناء ابناء الزمن ، ص ٦٦ ؛ غاية الاماني ، جـ ١ ص ٣٩٠ .
١١٠ ـ يحيي بن الحسين ، انباء الزمن ، ص٦٧ ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، حميد المحلي ، الحدائق الوردية ، جـ٢ ورقة ١٦٥ ، ابو اسحق ، التذكرة ، ورقة ٦٢ ، القاسمي ، تتمة الافادة ، ورقة ٨٧ ، ابن القاسم طبقات الزيدية ، ص٢٢٩ ، ابن مظفر ، الترجمان ، ورقة ٩١ ، مؤرخ مجهول ، اخبار الهجرة المنصورية ، ص٨ ، زبارة ائمة اليمن ، جـ١ ص١٢٤ ، العرشي ، بلوغ المرام ، ص٤٣ .
١١١ ـ يحيى بن الحسين ، انباء الزمن ، ص٦٧ .
١١٢ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص ٣٧ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .
١١٣ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص ٤٠ ، يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص ٣٤١ ، ابناء ابناء الزمن ، ص ٥٧ .

١١٤ ـ حميد المحلي ، الحدائق الوردية ، جـ٢ ورقة ١٥٦ ، ابو اسحق ، التذكرة ، ورقة ٦١ ، يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص ٣٤٣ .
في اواخر سنة ٥٩٣هـ اشترى السلطان علي بن حاتم ، كوكبان وبكر والظفر من عمال سيف الاسلام يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٤١ .
١١٥ ـ يحيى بن الحسين ، الزمن ، ص ٥٩ .
١١٦ ـ يحيى بن الحسين ، الزمن ، ص ٥٨ ، غاية الاماني ، جـ١ ص٣٤١
١١٧ ـ يحيى بن الحسين ، الزمن ، ص٥٩

١١٨ ـ ابن حاتم السمط ، ص ٦١ ، ٦٨ ، يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، جـ١ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

١١٩ ـ ابن حاتم ، السمط ، ص ٦٥ .

١٢٠ـ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٢٥١ ـ ٢٥٣ : ابن حاتم ، السمط ، ص٦٩ـ٧٠ .

١٢١ـ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني جـ١ ص٣٦٦ .

حضور ، أعلى جبال اليمن ويعرف بجبل النبي شعيب ، في ناحية البستان غربي صنعاء ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٢ : الحجري ، بلدان اليمن ، م١جـ٢ ص ٢٧٦ ؛؟ الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ٧٧ .

حراز صقع واسع غربي صنعاء مركزه مناخة في راس جبل حراز . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٢٢ ـ ١٢٣ ؛ الحجري ، بلدان اليمن ، م٢ جـ٣ ص٥٩٩ .

١٢٢ـ ابن حاتم ، السمط ، ص ٩٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٦٨ .

شعوب واد كثير الفواكه شمال صنعاء . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٥٦ ، الحجري ، بلدان اليمن ، م٢ جـ٣ ص٤٥٤ ؛ ضهر واد ناحية همدان على مقربة من صنعاء . الحجري ، بلدان اليمن ، م٢ جـ٣ ص٥٥٤ .

١٢٣ ـ ابن حاتم ، السمط ،ص٦٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، جـ١ ص٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

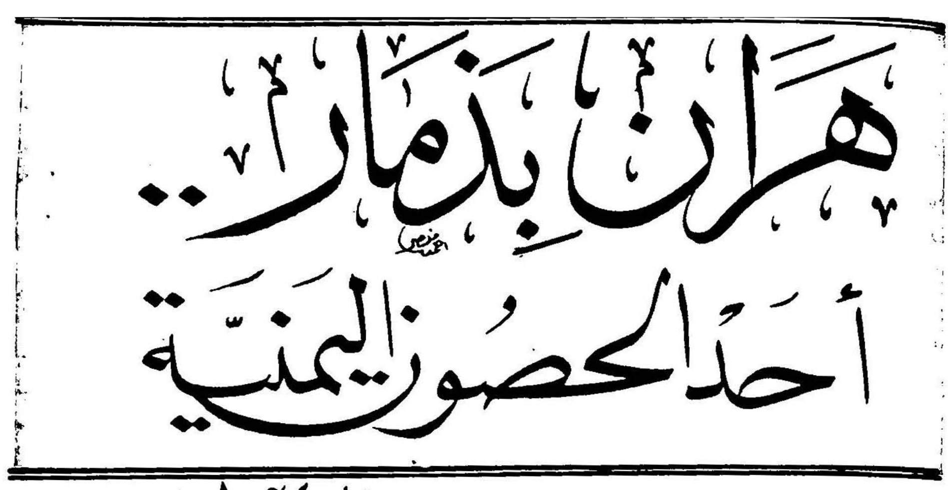
١٢٤ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٨ .

١٢٥ـ مؤرخ مجهول ، سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٢٤ـ٢٥ .

١٢٦ـ مؤرخ مجهول سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٢٦ .

١٢٧ـ مؤرخ مجهول سيرة الامام عبدالله بن حمزة ، جـ٣ ورقة ٢٦ .

العروس حصن من ناحية البستان . الحجري ، بلدان اليمن ، م٢ جـ٣ ص٥٩٩ .



بقلم: محمد عبدالله باسلامة

تنتشر القلاع والحصون في وجودها على قمم الجبال والتلال المطلة على الوديان والقيعان والسهول في اليمن وهي مع كثرتها يصعب حصرها أو معرفة مسمياتها . وقد انشأت القلاع والحصون لتؤدي وظائفها الأساسية في إحكام السيطرة والتمركز والاشراف على مواقع وممرات ومدن رئيسية اعتمدت عليها في اقامة الحماية الهامة لها ، ومع ان الأحداث التاريخية في اليمن كثيرة ومتعددة الأغراض فقد كان من العوامل الرئيسية في سير تلك الأحداث هو الجانب العسكري الذي من اهم عناصره التحصينات الدفاعية ووسائل القتال من الجنود والعتاد . والمصادر التاريخية ذات قيمة عظيمة بما تذكره من احداث اعتمدت في معظمها على الوقائع العسكرية التى كانت تدور حول القلاع والحصون وذلك بغرض فرض السيطرة من خلالها لأي قوة او ان يكون هناك حصار يدوم أياما وشهورابل وسنوات ،ومن المعروف ان من الواجب اتخاذ احتياطات ضرورية كتوفير المواد اللازمة كالحبوب والماء لذلك نقرت الصهاريج والمدافن لتخزين الحبوب والاحتفاظ بالمياه المتجمعة من المنحدرات .

ومن الناحية الأثرية لازالت الكثير من المعاقل تحتفظ بالتكوينات المعمارية والتى من أهمها إقامة الأسوار والأبراج والسلالم والبوابات ثم المنشآت السكنية سواء كانت ثكنات أو منازل . وقد توزعت أماكن الدفاع عبر الأسوار والأبراج وعند البوابات والتى تشكل بطرق مختلفة كفتحات ونوافذ وممرات وسقاطات.ولازال الجانب الأثري بحاجة الى اقامة الدراسات والبحوث الميدانية للحصول على المعلومات الأساسية الى جانب ماترد من المصادر التاريخية من معلومات هامة تذكر فيها أسماء أهم الشخصيات التاريخية التى كان لها الفضل في اقامة أي منشأة أو إعادة تكوينها او مايرد عكس ذلك من أعمال تهديم وإزالة لما كان قائما .

وفي كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر لابن المجاور المؤرخ اتمام الفراغ من كتابته سنة ١٠٠٣هـ . في هذا الكتاب الكثير من

للمعلومات التاريخية الهامة عن بناء بعض المدن والحصون الهامة مع ذكر اوصافها كما لايخلو الكتاب من توضيح تخطيطي مصاحبا الوصف للمشاهدات التى كان يصادفها المؤلف . وكمثال على ذلك ماذكره المؤلف عن بناء حصن الدملوه ذلك أن سيف الإسلام طغتكين بن ايوب قد تسلم الحصن من القائد كافور مولى الداعي بعد ان دفع مائة الف دينار وكذا دفع ستين الف دينار لمن كان مقيما فيه ثم قام بهدمه وإعادة بنائه ثانية وركب عليه ستةأبواب ومن جملتها باب الذراع وباب نبهان وباب الأسد وباب الغزال . وحفر فيها ثلاث برك احداها في الشمس على قلة الجبل والاثنين الأخريين في الفيء وغرس فيها بستانا حسنا وبنى ميدان وحصنها غاية التحصين(١) .

وفي هذه الدراسة حاولت إلقاء الضوء بما قدر لي من جهد ذاتي حول حصن هران وذلك بالتعريف بأثاره التي لازالت باقية بعد أن تهدم منه اجزاء كثيرة . موضحا بالصور المرفقة وتخطيط توضيحي .

■ الموقع :

يقع حصن هران الى الشمال من مدينة ذمار بحوالي اثنين كيلو متر تقريبا . يعتلي الحصن فوق تل صخري ومرتفعات من المسكوبات البازلتية يحيط به منخفض ذمار المكون من قيعان صغيرة نسبيا تفصلها ارض مرتفعة مثل بلسان وقاع جهران قرب معبر وقاع عراظ او عراد شرقي ذماروقاع شرع الى جنوبها(٢) . لذلك يتضح ان الحصن يشرف على مدينة ذمار وعدة وديان مما يسهل معه سرعة الاتصال به بل وتزويده بالمواد الغذائية اللازمة وتخزينها لوقت الحاجة . وتوجد اسماء اماكن تحمل اسم هران منها هران بلد ووادي من بلاد بكيل في ناحية ذيبين وهران سد حميري في حقل بلاد بريم(٣) . وقد ورد اسم هران في النقوش اليمنية القديمة تحمل اسم وادي ثم اسم مبنى اوبرج (٤) .

■ الوصف الأثري :

كما سبق الاشارة الى ان حصن هران يعتبر معقلا هاما يشرف على مدينة ذمار . الامر الذي يعود بنائه او تحصينه منذ فترة دولة سبا وذو ريدان عندما ظهرت مدينة ذمار . والبقايا الاثرية للحصن في الوقت الحاضر لاتسعف كثيرا في اثبات هذا الخبر . والتي ربما تعرضت للازالة او الانهدام بسبب تكرار الحوادث التاريخية التى دارت فيه .

وتكوينات الحصن بصورة عامة هو وجود شبه بوابة تفتح الى الجنوب . وقد كان لانقطاع السور الخارجي وبقاء الاجزاء السفلية منه وتهدم الابراج الملتصقة به مايحجب الرؤية او التصور لاهم الاجزاء المعمارية . كما يوجد سور داخلي مبنى من الطين اللبن او الزابور ثم وجود سلالم حجرية وبقايا برك مقضضه ووجود بقايا اساسات مباني تقع بالقرب من الحصن في الجهة الجنوبية بجانبها برك او مآجل وكذا بقايا اساسات مباني داخل الحصن . كما توجد مقابر وكهوف صخرية . كما يتضح في الخريطة الموضحة لذلك . وبصورة تفصيلية . فإن الصعود الى الحصن من جهة الجنوب حيث الطريق القديم الذي كان يؤدي من مدينة ذمار . ينتهى بالبوابة وهي ليست موجودة حاليا سوى الانقطاع الصخري الواقع الى اليسار واول مايصادف المرء هو وجود سور الطين او الزابور الممتد من الشمال الى الجنوب بخط مستقيم يقطعه في المنتصف برج نصف دائري تهدم منه جزء كبير . وينقطع السور الى الشمال قرب بداية السلالم الحجرية .

وقد تركت مساحة بين هذا السور والتكوين الصخري الطبيعي . ويثير بناء السور اللبن الدهشة في الحكمة من بنائه رغم وقوعه داخل الحصن مع وجود البرج الذي يتصفه وبه ثلاث فتحات اثنتان جانبيتان والثالثة امامية وقد ترك الجدار الخلفي للبرج مفتوحا . اما عرض هذا السور فهو ٢٠ر٢م واقيم الارتفاع على اربعة

مستويات أو طبقات متساوية يبلغ الارتفاع ٦٠ر٤م .

اما السلالم الحجرية فقد اقيمت من الأحجار السوداء التصقت السلالم بالتكوين الصخري يصعد منها الى اعلى مرتفع الحصن ، عرض السلالم ٨٠ر٢م .

ولم توجد على قمة الحصن من الآثار الباقية سوى بركة صغيرة واحدة تمتلئ بالمياه المنحدرة عبر حوض صغير به فتحة امامية ، وجدار البركة مقضض ، بجانب البركة في الأعلى الى الشمال بقايا سور يتالف من اربع صفات من الأحجار المستطيلة والمربعة وهي غير منتظمة بعمق ١٠٠ سم وطول ٣ أمتار وارتفاع ٩٠ر١م . أما الأثر الآخر في قمة الحصن فهو جدار سور يطل على الجهة الغربية المنحدرة .

والجدار مكون من عدد ١٠ صفات باحجار سوداء كبيرة ، العمق ٧٣ر١م وطول ٨٠ر٣م وارتفاع أكثر من ٣ أمتار . بين هذين الجدارين ساحة مستديرة على جانبيها الجنوبي والشمالي بروزات صخرية ومن هذا المكان يمكن مشاهدة مايحيط بالحصن من الجهات الأربع ومشاهدة مدينة ذمار كما يطل منه على فناء الحصن الواقع في الأسفل من الجهتين الشرقية والشمالية وقد احاط بها السور الخارجي الذي يقابل في الداخل جسم التكوين الصخري المكون من ضلعين يميلان جهة الجنوب الشرقي والشمالي الغربي ، وقد قسم الفناء السفلي للحصن الى ساحتين يفصلهما قاطع صخري مستقيم ينصفه بوابه من جسمه يبدأ هذا القاطع من أول جسم الضلع الشمالي الغربي ، ويمكن مقارنة هذا الوصف بالصور الفوتوغرافية المرفقة . في الساحة الموجودة في الجهة الجنوبية الشرقية توجد الأحجار الصغيرة المتناثرة وبقايا اساسات مباني وهو مايؤكد الأثر الذي يدل على وجود حياة سكنية لعدد من الناس . كما توجد في الساحة بركة مستديرة الشكل بجدار مقضض .

يبدا السور الخارجي من الجهة الشرقية ، وقد تهدم تماما ماكان يتصل به من السور الذي اقيمت مكانه الحقول الزراعية ، وظهر السور بانخفاظ شديد ، تبرز منه اساسات بسمك ٧٤سم ، ثم يستمر بالطول جهة الشمال ليظهر بالتواء وتدرج في الارتفاع حسب البروز الصخري الذي يصادفه ، ثم يستمر هذا السور طولا حتى ينتهي بمرتفع صخري به بقايا اساسات بناء واحجار متناثرة تدل على مكان برج مراقبة . ينعكس اتجاه السور من هذا المرتفع جهة الشمال الشرقي وجهة الشمال اي انه ياخذ بالميل رويدا جهة الشمال الغربي ، وقدرارتفاع السور بصورة اكبر إذ توجد في اعلى ارتفاع له فتحات متسعة في الداخل وعددها اربع تضيق هذه الفتحات عندما تفتح على خارج السور ، وهي بذلك لتسمح من الداخل بمراقبة خارج السور الى جانب رمي السهام . حيث يواجه في الخارج بمنخفض السفح .

وإذا ماعدنا الى القاطع الطبيعي الذي يمتد من منطقة ميل ضلعي الحصن نجد ان القاطع قد نصفته بوابه طبيعية ينفذ من خلالها الى ساحتي الفناء السفلي بحيث تبدو البوابة في مستوى علوي يتحدر منه الى الساحتين ، وقد بلطت جوانب البوابة بالأحجار المرصوفة . وإذا ماوقفنا في منتصف الساحة الواقعة في الجهة الشمالية الغربية نجد على جسم الضلع الصخري فتحه عبارة عن بوابة مستطيلة تؤدي الى غرفة منقورة بعمق ٥٠ر٢م وعلى جدار هذه الغرفة في الجانبين والأمام نقر ثلاث كوات مستطيلة تسمح بالجلوس او الاستراحة عليها

وقد استخدمت هذه الغرفة او الجرف للمراقبة والحماية الى جانب استخدامها كمخزن . وإذا مانظرنا الى اليسار من هذا التجويف وعلى بعد حوالي ١٥م نجد تجويف ارضي بفتحة مربعة منقورة تؤدي

الى تجويف داخلي قد غطي بالأحجار والأشجار وبعض المخلفات . مما يتعذر الرؤية للداخل . يقع بجانب هذا التجويف الأرضي تجويفين على جسم الصخر لكنهما غير منتظمين . امام هذه التجاويف توجد بروزات صخرية تستخدم كحماية طبيعية .

■ الوقائع التاريخية في حصن هران :

تاتي اهمية حصن هران التاريخية من حيث موقعه الهام شمال مدينة ذمار ولم توجد اشارة تاريخية تذكر الفترة الزمنية التى اقيم فيها الحصن وهو مايجدر البحث عنه في نقوش خط المسند . اما المصادر التاريخية الاسلامية فإنها قد حوت الكثير من الاخبار عما جرى من الاحداث التى توالت على هذا الحصن عبر قرون طويلة . من هذه الأخبار وجود قبيلة «جنبْ» سكنت في الحصن وكانت تقوم بالدفاع عنه والتصدي للهجمات التى كان يتعرض لها . ولازالت تذكر قبيلة جنبْ من القرون الأولى للهجرة حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، حيث انتقلت الى منطقة مغرب عنس وقد سميت بعد انتقالهم اليها بمخلاف الجنبيين .

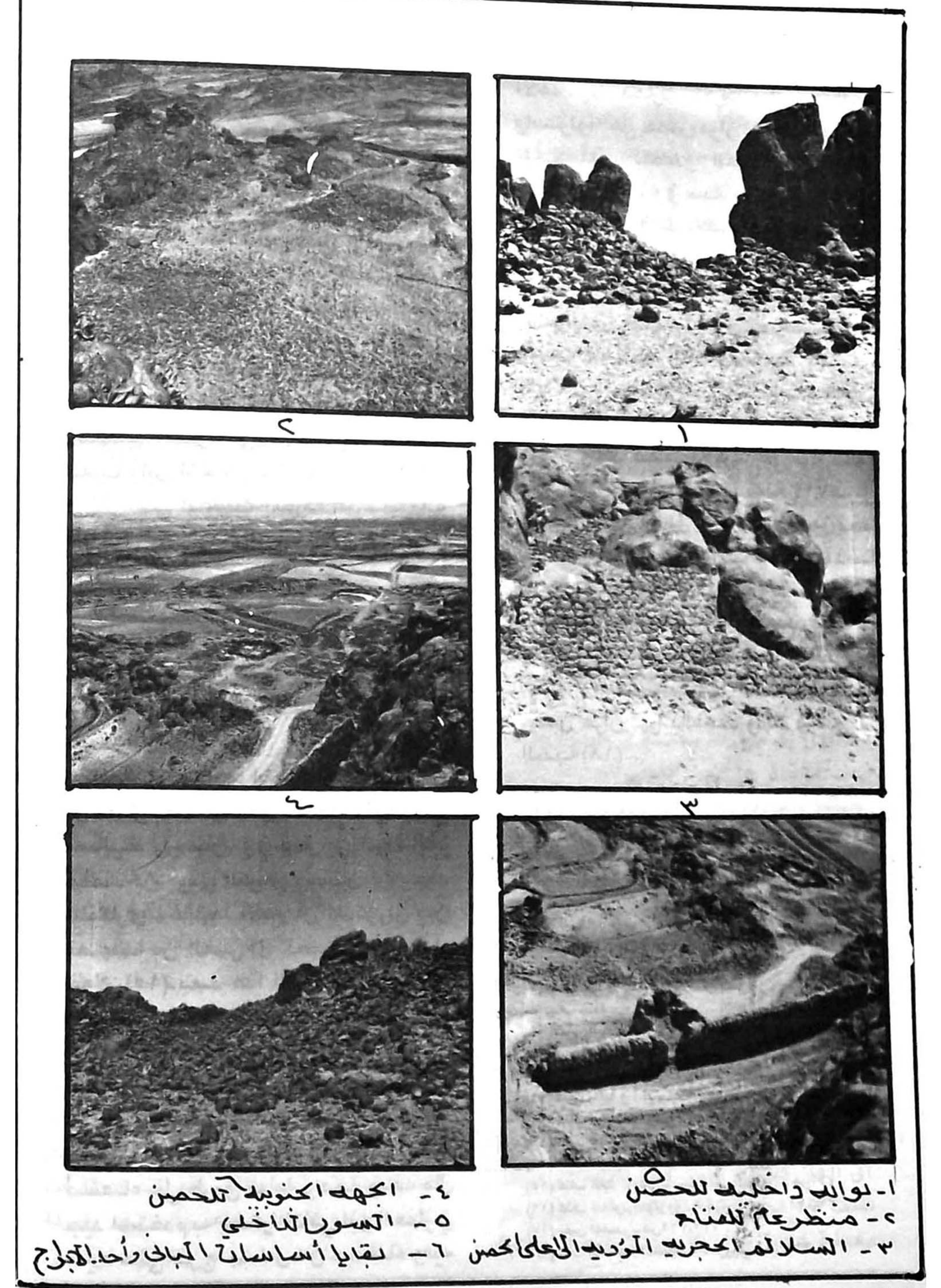
اول إشارة تاريخية في سنة ٢٩٢هـ عندما سار علي ابن الفضل الى ذمار فوجد جيشا عظيما في هران من اصحاب الحوالي ، ثم كتب علي ابن الفضل الى صاحب هران واستماله حتى والاه(٥) وصاحب هران هو إشارة الى قبيلة جنب التى وصفت انها قبيلة عاتية ، حينها كان عيسى بن معان اليافعي واليا على ذمار من قبل بن أبي يعفر(٦) وكان علي ابن الفضل قد قام بنشر المذهب الاسماعيلي في اليمن ومعه منصور الحوشبي ، وفي اشارة تاريخية أخرى بعد فترة زمنية وبالتحديد في سنة ٤١٨هـ تذكر انه سار عبدالمؤمن بن أسعد بن أبي الفتوح الى الهان فتلقته عنس ومن اليهم الى ضاف فلبث فيه سبعة ايام ثم توجه الى ذمار وامر بعمارة حصن هران(٧) وهذا يشير الى اعادة تعمير الحصن في هذه الفترة علي يد عبدالمؤمن بن أسعد بن أبي الفتوح ، وربما كان قد لحق خراب او تهديم بالحصن . ومع انتشار الدعوة الفاطمية في اليمن في بداية قيام الدولة الصليحية يذكر أن أحد الداعيين واسمه المعيد لدين الله ، قد قتل في سنة ٤٢٠هـ من قبل قبيلة جنبْ(٨) . بعد هذا التاريخ وفي عهد الملك الصليحي المكرم سنة ٤٥٦هـ أخذت عدد من القبائل اليمنية التمرد على طاعة الدولة الصليحية ، إذ وصف انه أخذ المنافقون ينقضون عهودهم حتى خرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ولم يبق لهم إلا التعكر ، وكان العبيد؟ قد حاصروه ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحي في حصن مسار ، وتآمرت القبائل من كحلان وهران وعنس وزبيد ويحصب على الصليحيين ، وامتدت العدوى الى صنعاء نفسها حيث كان المكرم يقيم مع جماعة من خلصاء أتباعه(٩) إذ كانت قبيلة جَنبْ من القبائل الهامة التى حاربت المكرم . إلا أنه في اشارة تاريخية أخرى تشير أن المكرم قد أخذ مع انصاره الذين استولوا على حصن هران بعد انتصار حققه القائد إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي الذي أخذ يستميت في الدفاع عن كيانهم وانتصر بجهة كحلان وهران ، ويحصب ورعين وأنهم دانوا له بالطاعة بعد حرب سجال(١٠) . بعد هذه الفترة تاتي إشارة تاريخية قرب نهاية منتصف القرن السادس الهجري، وبالتحديد في عهد السلطان حاتم بن أحمد بْن عمران صاحب صنعاء الذي قام بجمع جموعه من همدان وقصد بهم صنعاء ، فلما علم بهم الامام المتوكل احمد بن سليمان ، والذي استدعته العرب؟ لحرب السلطان حاتم سنة ٥٤٥هـ ، خرج هذا الامام من صنعاء الى موضع يقال له شعب الجن من ظاهر نقم لأنه قد تفرقت عنه اعوانه فتحصن فيه ، واستنجد بقبيلة جَنُبْ التى كانت تسكن هران ذمار ، فقتل من

عسكر الامام طائفة . وكان بين جنبْ قتلى كثيرون(١١) ، وفي سنة ٥٦٩هـ عندما كان الايوبيون قد دخلوا اليمن يذكر أن شمس الدولة تاران شاه بن أيوب قد دخل حصن هران عندما كان متجها من ذمار الى صنعاء بعد أن اعترضه في الطريق جند استطاع التغلب عليهم وقتل منهم نحو سبعمائة(١٢) غير أنه في اشارة أخرى تذكر أن توران شاه قد دخل حصن هران سنة ٥٧٠هـ وذلك بعد أن سار الى ذمار فاعترضته ، فقاتل جُنبْ في موضع يسمى رخمه شرقي ذمار فقتلوا من أصحابه نيفا وستين رجلا ، ثم دخل ذمار فأقام فيها أياما ثم نهض الى صنعاء فاعترضته جنبْ وغيرها ، فقال لأصحابه «قاتلوا على انفسكم وإلا أخذتكم العرب واين أنتم عن ديار مصر» ، فاصدقوا القتال حتى انكشفت المعركة عن تسعمائة قتيل من جنب ومن إليهم وانهزم بقيتهم الى هران(١٣) .

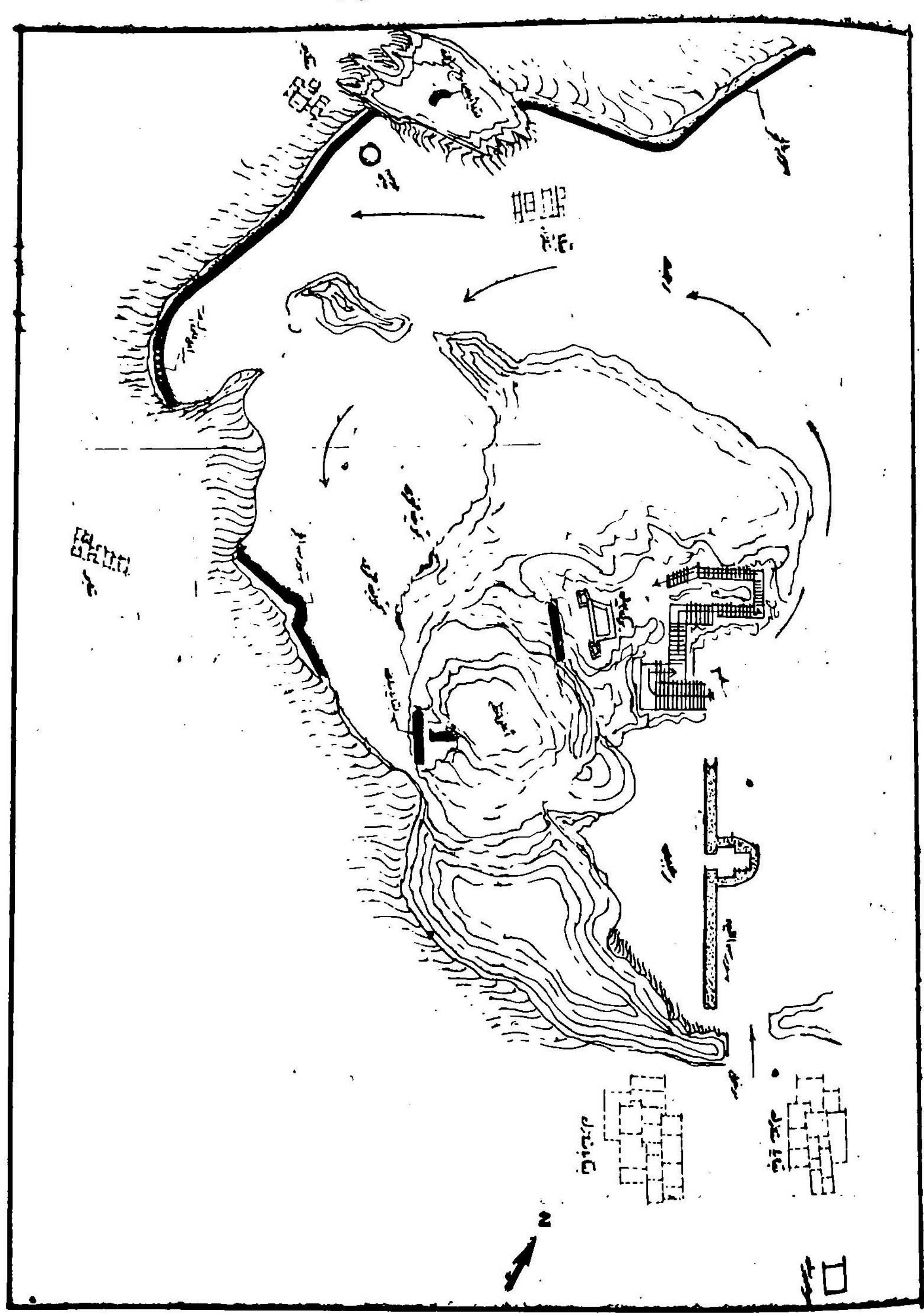
وفي عهد السلطان طغتكين بن أيوب وفي سنة ٥٨٢هـ استولى هذا السلطان على حصن هران بعد أن أخذ حصن حب(١٤) . وفي سنة ٦١١هـ تذكر اشارة تاريخية الى أن أحد الأئمة يطلق عليه الامام (ص) بصنعاء (ولم يعرف اسمه) أزمع على المسير الى ذمار بعد أن دخل صنعاء وقبض على مماليك وردسان، وفي ذمار من أمراء الغز محمد بن موسى الكردي وحسين بن محمد الليكاري ، فالتجأ الأمير أن المذكوران بمن معهما من الغز الى حصن هران ، ودار خولان(١٥). بعد هذا التاريخ فاصل زمني كبير يبدأ بعده باشارة تاريخية ففي سنة ٧٠٩هـ مع بداية قيام الدولة الرسولية ، تذكر أن عسكرا جهز مع الأمير شجاع الدين عمر بن القاضي العماد ، وهو يومئذ أمير جاندار ، وسيّر الأمير عباس بن محمد، نحو صنعاء على طريق تهامة وحجة ومعه مال جيد استخدم به عسكرا فتأنى ابن العمار في سيره حتى خرج عباس من صنعاء وفيه الأمير علم الدين حمزه بن احمد والأمير بن وهاس وصاحب ثلا وهمدان وعيال سريح وغيرهم وكان دخولهم هم والعماد ذمار في يوم الأحد ، وقد انحازت الأكراد الى الوادي الحار واستولوا على حصن هران وشحنوه ورتّبوا فيه جماعة ، فقصدوا العساكر الى الوادي الحار.... الخ . وفي سنة ٧١٠هـ كان حصن هران لايزال في يد الأكراد(١٦) وفي عهد السلطان الملك المؤيد استقرت الأحوال للدولة الرسولية ففي سنة ٧١٢هـ انفصل الأكراد من الامام؟ الذي تم الصلح بينه وبين السلطان الملك المؤيد ، ثم جرد اسد الدين محمد بن توران ليسير بعسكره من صنعاء اليهم فتوجه الشيخ الى الجند حينئذ وعقد صلحا للأكراد على ترك دخول ذمار ، وفي شهر ربيع الآخر سنة ٧١٣هـ برز مرسوم السلطان الى الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن توران بأن يخرج من ذمار ويحيط على حصن هران ، وينصب عليه المنجنيق ، ففعل ماأمر به ، ونصب المنجنيق عليه(١٧) ، وفي عهد السلطان المجاهد في سنة ٧٣٧هـ أخذ هذا السلطان وعسكره حصن هران قهرا بالسيف وذلك في شهر ذي الحجة(١٨) .

■ الهوامش ■

(١) كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى المستبصر لابن المجاور ص١٥٣ .
(٢) كتاب جغرافية اليمن الطبيعية - شاهر جمال آغا - ص١٧٥ .
(٣) كتاب بلدان اليمن وقبائلها - ج٤ - الحجري - ص٧٥١ .
(٤) كتاب مختارات من النقوش اليمنية القديمة نقش رقم ٢٣ - ص١٧ ، ٤٥٥ .
(٥) كتابة غاية الاماني - يحيى ابن الحسين - ج١ - ص١٩٥
(٦) كتاب السلوك - الجندي - ج١ - ص٢٣٨ .
(٧) كتاب غاية الاماني - يحيى ابن الحسين - ج١ - ص٢٤٤ .
(٨) كتاب صفة جزيرة العرب - الهمداني - ص١٤٩ .
(٩) كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية - حسين بن فيض الله الهمداني - ص١٢٣ .
(١٠) نفس المصدر - ص١١٨،١١٧ .
(١١) كتاب المفيد في اخبار صنعاء وزبيد - عمارة اليمني - ص٣٣٦
(١٢) كتاب العسجد المسبوك - الخزرجي - ص١٥١ .
(١٣) كتاب غاية الاماني - يحيى ابن الحسين - ص٣٢٤
(١٤) كتاب تاريخ ثغر عدن - بامخرمه - ص١٠١
(١٥) كتاب غاية الاماني - يحيى ابن الحسين - ص٤٠٠
(١٦) كتاب العقود اللؤلؤية - الخزرجي - ص٣٢٣،٣١٨
(١٧) نفس المصدر - ص٣٣٢،٣٢٩
(١٨) كتب العسجد المسبوك - الخزرجي - ص٣٧٧ .



١ - بوابة داخلية للحصن
٢ - منظر عام للمنطقة
٣ - السلالم الحجرية المؤدية إلى أعلى الحصن
٤ - الجهة الجنوبية للحصن
٥ - السور الداخلي
٦ - بقايا أساسات المباني وأحد الأبراج



مواقع أثرية جديدة في قضاء ريمة

اعداد / احمد لطف الوطاب

قضاء ريمه يعتبر أحد المسارح التاريخية التى جرت عليها أحداث تاريخية ابتداء من العصر الحميري وخاصة بعد الميلاد حتى نهاية الغزو العثماني الثاني على اليمن ، فهناك الكثير من المواقع الأثرية التى لاتزال حبلى بالمعلومات التاريخية والأثرية التى تشبع المؤرخين والأثاريين ، فهذا الجزء الواقع في الجهة الجنوبية الغربية من بلادنا والمطل على سهل تهامة عاش ردحا من الزمان في ملفات النسيان لايعرف عن الدور الذي لعبه في مجريات الأحداث التاريخية وتميزه في سجل الدويلات اليمنية القديمة والاسلامية حتى تسنى لي أن أكشف جزءا من بحر عن بعض المواقع الأثرية الهامة التى لاتزال بعض بنيانها قائمة ونقوشها المسندية شاهدة لعظمة التاريخ اليمني الذى سيطر على تجارة التوابل والبخور لارسالها إلى معابد العالم ، وفيما يلي وصف موجز عن بعض المواقع القديمة والاسلامية حسب امكانياتي بسبب وعورة المنطقة الجبلية :

موقع جبل الجون :

يقع في عزلة الجون من قضاء ريمة حيث يطل هذا الموقع على وادي ضحيان ، أما أهم أثر في هذا الجبل الواقع على القمة وهو عبارة عن حصن عسكري من الفترة التركية ربما يكون من الحملة الأولى على اليمن وقد تم تشييده بأحجار نارية من نوع الديوريت الأبيض مهذبة بشكل جيد يدل على الاعتناء والدقة في عملية البناء وهذا الحصن يوجد بداخله منشآت حربية وسكنية مثل النوب الواقعة على أطراف الحصن من أجل حماية هذا الموقع وهي مستديرة الشكل بنيت بأحجار مهذبة ومصقولة تدل على البراعة الفنية في عملية البناء حيث تتخلل هذه المنشآت المستديرة فتحات صغيرة من أجل المراقبة والتنشين من مواقع استراتيجية تسيطر على بقية أنحاء المنطقة الواقعة تحت هذا الجبل الشاهق والذي يعتبر أكبر جبل في المنطقة. أيضا توجد منشأة أخرى واقعة في وسط الحصن هي عبارة

عن بركـة أو كريف لاحتجاز مياه الأمطار الموسمية استخدمت مادة القضاض في عملية طلاء هذا الكريف من أجل المحافظة على المياه وعدم تسربها الى الصخور المجاورة وأيضا يوجد درج في الناحية الشمالية للكريف ممتد من أسفل الى اعلى من أجل الوصول الى المياه واستغلالها وبجانب هذا الكريف يوجد بناء مربع الشكل في الناحية الجنوبية ربما يشكل مسجدا مبنى بأحجار مهذبه ومن الغريب أن المادة التي استخدمت في عملية الربط بين الحجارة هي مادة طينية بخلاف بقية المنشأة التي استخدمت فيها مادة القضاض . .

وفي الناحية الجنوبية من الحصن توجد عدة منشآت حربية يتم الوصول اليها من خلال طريق ضيق ممتد من الجهة الشمالية الى الجهة الجنوبية لكي تتم عملية الاتصال بين جميع المنشآت وهذا الطريق مبني بأحجار من الجهتين الشرقية والغربية من أجل سلامة المشاة من خطر السقوط الى اسفل الجبل . أما المنشأة الواقعة في الجنوب فهي عبارة عن جدار يقع في الناحية الغربية تتخللها أربع فتحات تشبه الشبابيك لها فتحات من أجل المراقبة والتنشين كما يوجد لهذه الشبابيك عقود مثلثة ولكنها مغلقة جميلة الشكل استخدمت في بنائها الأحجار والقضاض من الداخل والخارج لاضفاء الجانب الفني عليها واعطائها رونقا جماليا ينظره المسافر من مسافات بعيدةأما أطراف الحصن فتشكل بناء مربعا جيل الشكل مبني بأحجار مصقولة مهذبة ربما يشكل مبنى القيادة حيث يلاحظ وجود تحصينات اسطوانية الشكل تحيط بهذا البناء من جميع الجهات فهو يشكل أهمية دفاعية كبيرة .

أما الناحية الغربية فتحتضن البوابة الرئيسية للحصن المبني بأحجار مصقولة ومهذبة لكنها للأسف مدمرة تدميرا شديدا حيث يوجد بجوارها منشأة اسطوانية ملتصقة بها مباشرة تتخللها كوة مستطيلة لها فتحات صغيرة من أجل المراقبة ويلاحظ امتداد الطريق الموصل الى الحصن من عند البوابة الى منتصف الجبل وهو مرصوف بأحجار غير مهذبة لم يبق منها الا القليل نتيجة لانجرافها تحت وطأة السيول المنحدرة من أعلى قمة الجبل أيضا يلاحظ وجود أخدود ممتد من داخل البوابة الى خارجها حيث ينتهي الى كريف ماء منحوت في الصخر وتكثر السقايات المنحوتة في الصخر المطلية بمادة القضاض والتي لها فتحات مستطيلة ومربعة مبنية بأحجار جميلة عند كل باب أيضا يوجد مدافن أو مخازن منحوتة في الصخر دائرية الشكل استخدم في عملية ِ طيها بدلا عن مادة القضاض الأحجار الصغيرة ربما تشكل مخازن للمؤن .

ومن الملاحظ وجود عدة منشآت واقعة تحت الحصن من الناحية الجنوبية الغربية حيث تكثر فيها الأساسات المبنية بأحجار شبه مهذبة كما عثر عند عتبة أحدى المنشآت على حجر مستطيل الشكل محفور عليه النجمة السداسية بشكل كبير وبداخلها نجمة صغيرة ربما استخدمت هذه الصخرة كعبة لبوابة رئيسية .

موقع جبل القفل :

يوجد به عدة أشياء تمثل بقايا أساسات لمباني كما يوجد كثير من الأكرفة المائية لاختزان المياه الموسمية وهو جبل يصعب الوصول الى قمته .

موقع قرية الطيارة :

يوجد بها عدة منشآت اسلامية مثل المساجد القديمة وبقايا اساسات لقرى ترجع الى العصر الاسلامي مبنية بأحجار غير مهذبة .

موقع كسمة :

وهي المركز الرئيسي لناحية كسمه وهي تقع في مرتفع كبير شاهق أما أهم الآثار التى توجد فيها فهي عبارة عن بركة مياه ربما تعود الى الحملة التركية الأولى وهي الآن غير مستعملة بالاضافة الى وجود بركة مياه لاتزال مستخدمة ربما تكون أحدث نسبيا من الأولى .

موقع جبل ظلملم :

يقع في الجهة الغربية من كسمه حيث يطل هذا الجبل على مركز الجعفرية من ناحية الشرق والجبل عبارة عن حصن استخدم البناء الحملة التركية الأولى على اليمن كما يقال . وهو يضم عدة منشآت مختلفة الاستخدام مثل النوب الاسطوانية والتي تحيط بالحصن من جميع الجهات وهي مبنية بأحجار مهذبة وجميلة تدل على البراعة الفنية في عملية البناء الهندسي الفريد كما يوجد عدة أساسات لمباني ربما استخدمت للسكن واشياء اخرى في الحياة اليومية ايضا توجد عدة برك وسدود صغيرة استخدمت في تخزين مياه الامطار من اجل الاستخدام اليومي، وهي منحوتة في الصخر ومطلية بمادة القضاض من اجل منع عملية التسرب الى باطن الصخر كما لايخلو هذا الحصن من السقايات المطوية باحجار مهذبة والتي تحمل فتحات استخدمت احجار الصلصال في عملية بناء البوابات المستطيلة والمربعة ايضا استخدمت مادة القضاض في عملية طوي هذه السقايات او المدافن كما يتوسط هذا الحصن مسجد مبني باحجار جميلة ومهذبة من اجل تأدية الفرائض . لكن الشيء الملفت للنظر والجميل هو الطريق الموصل الى قمة الحصن فالجبل يحتوي على طريقين معبدين ومرصوفين باحجار جميلة ومهذبة من جهتين مختلفتين حيث تلتقي في نقطة معينة عند بوابة الحصن الرئيسية ثم تبدأ تفترق مرة ثانية الى جهتين مختلفتين الى قمة الحصن لاندري لماذا استخدم هذان الطريقان المنفصلان بعد الالتقاء في قمة الجبل ؟ "

موقع جبل هكر :

يقع هذا الجبل في منطقة الجبوب والتي تحوي عدة منشآت عمرانية مهجورة ربما تعود الى فترات مختلفة من العصر الاسلامي حيث يشرف هذا الجبل على وادي رماع ولكن الذي اريد التنويه اليه هو اسم هذا الجبل فلا ننسى انه يوجد موقع هكر في ناحية يريم والذي يحوي موقعا الريا يعود تاريخه الى فترة قبل الاسلام فربما التسمية تكون قديمة مرتبطة بموقع هكر في يريم ولكن نتيجة لاستخدام هذا الموقع الرابض في اعلى قمة الجبل في فترات متلاحقة ربما طمست المعالم القديمة لهذا الموقع وشيدت على انقاضها مبان لاحقة ولاثبات هذا القول وايجاد العلاقة بين الموقعين لابد من اجراء حفريات الرية في هذا الموقع . . .

ان جبل هكر يضم عدة اشياء الرية اهمها سدين او كريفين كبيرين نسبيا منحوتين في باطن الصخر وهما مستطيلان يفصل بينهما جدار كبير يحمل فتحات او منافذ من اسفله من اجل تصريف المياه لاندري لماذا تستخدم هذه المياه ربما للزراعة وربما لاشياء اخرى كما لاتخلو مادة القضاض من الاستخدام في عملية الطلاء الخارجي كما هو معروف ايضا يوجد اساسات لمباني في قمة الجبل مبنية باحجار مهذبة نسبيا بالاضافة الى وجود عدد من المدافن والسقايات المطلية بمادة القضاض والمطوية باحجار صغيرة نسبيا . . كما يوجد عدة كهوف تقع في منتصف الجبل استخدمت الاحجار المهذبة على واجهة هذه الكهوف ولا يعرف ايضا لماذا استخدمت ، ومتى بنيت ؟

كما يوجد طريق من الجهة الغربية للجبل موصلة الى قمة الجبل وهي مرصوفة باحجار مهذبة نسبيا ولكن الطريق دمر مع مرور الايام بسبب سقوط الامطار والوصول الى القمة اصبح صعبا . .

موقع جبل وزيم :

يقع ايضا في منطقة الجبوب إما اهم الاثار الموجودة فيه فهي كهوف تقع في قمة الجبل لايعرف استخدامها . بالاضافة الى بقايا اساسات لمباني مبنية باحجار مهذبة نسبيا ويلاحظ على سفح الجبل وجود عدد من المقابر لايعرف الى اي عصر تعود . .

موقع جبل حزر :

يقع في عزلة البقعة من الجهة الغربية لكسمة حيث يضمّ عدة مباني وبقايا أساسات مبنية بأحجار مهذبة وهو حصن في حد ذاته حيث يوجد في قمته عدد من البرك المطلية بمادة القضاض بالاضافة الى وجود عدد من السقايات والمدافن المنحوتة في الصخر والتى استخدمت الأحجار الصغيرة في عملية طوائها ومادة القضاض بالنسبة لسقايا أو مدافن الغلال . كما يوجد طريق واسع مرصوف بالاحجار المهذبة نسبيا من أسفل الجبل الى الحصن ربما استخدم في الفترة التركية .

موقع جبل كبورة :

يقع بجانب جبل حزر حيث يضم منشآت لمباني وبقايا اساسات لمساكن مبنية بأحجار جميلة ومهذبة . كما يوجد عدد من البرك المنحوتة في الصخر والمطلية بمادة القضاض أيضا يوجد عدد من المدافن والسقايات التى استخدمت في تجميع مياه الأمطار وخزن الغلال والمؤن كما لايخلو من الطريق الموصل الى قمة الجبل والتى استخدمت الأحجار في عملية الرصف .

موقع جبل الطويلة :

يقع هذا الجبل في عزلة بني الضبيبي ويطل على وادي سهام ووادي الأريد وهذا الجبل شاهق الارتفاع يضم عددا من المباني المبنية بأحجار مهذبة بالاضافة للبرك المنحوتة في الصخر والمطلية بمادة القضاض كما لايخلو من المدافن والسقايات المنحوتة في الصخر والتي استخدمت الأحجار الصغيرة في عملية الطي حيث استخدم أحجار مستطيلة في بناء بوابات هذه المدافن والسقايات المطلية بمادة القضاض من أجل منع عملية تسرب المياه المخزونة الى باطن الصخر ، ويقال أنه يوجد كتابات بخط المسند ورسومات جدارية على الصخور .

موقع جبل يعشم :

يقع بجانب جبل القفل ويطل على وادي ضحيان من الجهة الغربية حيث يضم عددا من المباني المبنية بأحجار مهذبة جميلة تدل على البراعة الفنية وهي متفرقة . أيضا يوجد عدد من البرك المنحوته في الصخر والمطلية بمادة القضاض بالاضافة الى وجود عدد من المدافن والسقايات ذات الفتحات المستطيلة والمهذبة ربما تعود هذه المباني الى الفترة التركية .

موقع جبل الشبوة :

يقع في منطقة يامن حيث يطل على قرية الروضة من ناحية كسمة وهذا الجبل يضم العديد من بقايا اساسات لمباني عفى عليها الزمن وطمست آثارها بسبب عوادي الزمن التي لاترحم مواقع الآثار وقد استخدمت الأحجار المهذبة نسبيا في بناء هذه المنشآت . أيضا لايخلو هذا الموقع من المدافن المنحوتة في الصخر بشكل اسطواني والذى استخدم في عملية طوئها الأحجار الصغيرة المهذبة من أجل حفظ المؤن بالاضافة الى وجود السقايات الأسطوانية الأشكال والتى استخدم في عملية طلائها مادة القضاض المعروف والذي تميز به اليمن منذ أقدم العصور . وانفردت باستخدامه على سائر بلدان العالم وهذه المدافن والسقايات استخدمت الأحجار المستطيلة المهذبة في عملية بناء الفتحات الخارجية فبعضها يتميز بفتحات اسطوانية والبعض الآخر بفتحات مربعة .

موقع جبل السحوة :

يقع في منطقة يامن من ناحية كسمه ويطل على قرية الروضة حيث يتقابل مع جبل الشبوه فيشكلان موقعين استراتيجيين لحماية المنطقة . وهذا الموقع يضم العديد من المنشآت مثل بقايا أساسات لمباني استخدمت في عملية بنائها الأحجار المهذبة.أيضا السقايات والمدافن مثل بقايا اساسات لمباني استخدمت في عملية بنائها الأحجار المهذبة أيضا السقايات والمدافن المنحوتة في الصخر والتى استخدم في طوائها الأحجار الصغيرة المهذبة ومادة القضاض بالنسبة للسقايات من أجل عدم تسرب المياه الى الصخور المجاورة وهذا الموقع يضم بركة واحدة منحوتة في الصخر حيث استخدم في عملية طلائها لمنعها من التسرب مادة القضاض .

موقع جبل بلق :

يقع في منطقة يامن من ناحية كسمة ويطل على وادي ضحيان ويتميز هذا الجبل بموقعه الفريد . كما يمتاز بنعومة ملمس الصخر . ولايمكن الوصول الى قمة الجبل إلا عن طريق واحد نحت في الصخر فهي شديدة الانحدار خطرة جدا . أما من الناحية الأثرية فيتميز هذا الموقع بوجود نفق كبير يبتدئ من أعلى القمة مرورا بأسفل الجبل الى مكان لايزال غير معروف العمق ، وهذا النفق يعتبر من الأعمال الجبارة التى برز فيها اليمنيون في عملية نحت الانفاق الصخرية من أجل الحماية وتحصين المواقع الاستراتيجية.أيضا يوجد في أعلى القمة بقايا أساسات مباني وبرك مبنية بأحجار مهذبة وجميلة حيث لايخلو المكان من وجود المدافن والسقايات المنحوتة في باطن الصخر والتى استخدم في عملية طوائها الأحجار الصغيرة المهذبة ومادة القضاض وإذا أمعن الانسان في تسمية هذا الجبل بالبلق يجد نفس التسمية لجبل بلق في مارب إذ لابد من وجود علاقة قديمة لهذه التسمية ربما يكشف عنها في المستقبل عن طريق الحفريات الأثرية . .

ناحية السلفية من قضاء ريمه :

موقع قرية الحقب الملقبه (محل سبأ)

والموقع عبارة عن هضبة مرتفعة تربض عليه قرية لاتزال آهلة بالسكان . وقد شيدت هذه القرية على موقع أثري قديم يرجع الى فترة قبل الإسلام ومن خلال التجوال في نفس الموقع يلاحظ وجود ركامات أثرية مطمورة بالاضافة الى وجود أساسات لمباني يبلغ ارتفاعها مترين قديمة حيث استخدمت الاحجار الكبيرة المهذبة بشكل رائع يدل على الثراء الفني والخبرة الهندسية في عملية تشييد المباني القديمة ومن الناحية الشرقية للموقع يوجد بناء على شكل قبة يشبه الى حد كبير المسجد ولكنّه ضيق ربما كان بشكل كنيسة قديمة وقد عثر على حجر في نفس البناء مكتوب عليه بالخط الغائر كتابات مسندية قديمة وهي كما يلي :

ود ___ أب ___« أظ »

𐩥𐩺𐩨𐩸

ولكن الشيء الجميل في هذه القبة هو داخلها حيث تبرز الحجار على سقف القبة بشكل تدريجي جميل لتشكل زخرفا هندسيا يشبه الزهرة الكثيرة الأوراق بالاضافة الى وجود قبلة صغيرة ربما تتجه الى بيت المقدس .

كما توجد بقايا بناء يبلغ ارتفاع المتبقي منه المتر الواحد بني باحجار جميلة مهذبة عليه بقايا مادة القضاض من الداخل فربما كان يشكل سقاية أو حماما . وأما على واجهة المسجد الذى يقع بجوار

القريـة فيوجد ثلاثة أحجار جميلة كتب عليها بالخط المسند بشكل بارز جميل الآتي .

ويبلغ سمك الخط حوالى خمسة ستيمتر .

أما بقية الموقع فلا يزال مطمورا تحت الحقول الكبيرة فربما في المستقبل نستطيع أن نكشف عن ماهية هذا الموقع وعلاقته بالدول القديمة والى أي فترة يرجع عن طريق الحفريات العلمية للمواقع الأثرية .

ربما هذه المواقع القديمة ترجع الى فترة متأخرة من العصر الحميري فاللقى الأثرية المعتادة في المواقع القديمة مثل التماثيل والمباخر المتعلقة بالمعابد ربما تكون مفقودة في هذه المناطق الغربية فنحن لاننسي بأن الدولة الحميرية في أواخر عهدها اعتنقت الديانة اليهودية .

موقع مدينة الزنيجة :

تقع في بنى الجرادي ناحية السلفية وهى عبارة عن قرية مهدمة مبنية بأحجار غير مهذبة ربما تعود الى فترة تواجد اليهود في اليمن فهى حديثة العهد كما يبدو من شكلها .

موقع جبل غيلان :

يقع في ناحية السلفية من قضاء ريمة التابع لمحافظة صنعاء . وهذا الجبل يضم بقايا اساسات لمبانى مختلفة مبنية باحجار جميلة مهذبة نسبيا .

بالاضافة الى وجود الآثار المطمورة أيضا يوجد عدد من البرك والسدود الصغيرة المنحوتة في الصخر والتى استخدمت مادة القضاض كعامل مساعد في منع عمليات تسرب المياه .

كما يضم الموقع بعض السقايات المستطيلة والاسطوانية المنحوتة في الصخر والتى استخدمت مادة القضاض في عملية طلائها من الداخل .

كما لايخلو الموقع من بعض المدافن الصخرية الجميلة المستطيلة والمربعة والاسطوانية والتى استخدمت الاحجار الصغيرة المربعة والمستطيلة في عملية طوائها من الداخل من أجل حفظ بعض المؤن .

موقع جبل عزان :

يقع في ناحية السلفية من قضاء ريمة وهذا الجبل كبير يضم العديد من المبانى التى لاتزال بعض جدرانها قائمة بارتفاع المترين والمتر تقريبا استخدمت في عملية بنائها الاحجار المهذبة نسبيا .

كما يوجد كثير من المواقع الأثرية المطمورة والتى تظهر بعض اساساتها الصخرية أيضا يوجد بعض البرك والسدود المنحوتة في الصخر والتى لاتزال مادة القضاض عالقة على بعض جدرانها . كما يوجد كثير من المدافن والسقايات الجميلة ذات الأشكال الاسطوانية والمربعة والتى استخدمت الأحجار الصغيرة في عملية طوائها بالاضافة الى مادة القضاض المادة الأساسية في طلاء البقايا من الداخل .

علما أن هذا الموقع يقع بجانب موقع ذهبو الآتي الذكر والذي يعود الى فترة ماقبل الاسلام والذي يجعلنا نتأكد بأن موقع عزان يضم الكثير من مواقع فترة ماقبل الاسلام.أيضا ان هذا الموقع استخدم في فترات متعددة بدليل وجود المباني التى لاتزال قائمة .

موقع جبل ذهبو :

يقع في ناحية السلفية بجوار جبل عزان من الناحية الشمالية والموقع عبارة عن بقايا انقاض مطمورة وبقايا أساسات لمباني كبيرة شيدت من أحجار كبيرة مهذبة بشكل جيد يوحي بالمهارة الفنية عند فناني ذلك العصر فبعض الأحجار يبلغ طولها المترين وهي من نوع الحجر الرملي الرسوبي . كما يوجد بجوار الموقع من الناحية

الجنوبية مقبرة قديمة ولكن للأسف فقد عبث ببعضها وهي كبيرة نسبيا . فمن خلال المشاهدة لبعض أنقاض المقبرة المبعثرة فهناك يوجد الكثير من أحجار الصلل المهذبة والتى استخدمت في لحود بعض القبور كماهو معروف في كولة خميسة الواقعة في ناحية السر فبعض القبور توجد مصلولة بأحجار مهذبة حيث يغطى بها الميت ومن خلال التجوال في انحاء الموقع والقرية المجاورة وجدنا حجر يبلغ ارتفاعه ٧٠×٧٠سم تقريبا عليه كتابة بالخط المسند من نفس الموقع المذكور وهي كالآتي :

ضخد و

فعند إجراء الحفريات العلمية في هذا الموقع فربما تدلنا الى معلومات تاريخية مرتبطة بالدولة الحميرية المتأخرة بالاضافة الى معلومات أخرى نجهلها الآن . ومن المعلوم أن هذا الموقع يقع في منطقة تسمى بني الواحدي . كما يوجد بجوار هذا الموقع موقعين هما «القلهى» و «الصول» حيث يوجد بهما بقايا ركامات أثرية كبيرة بالاضافة الى مناطق سكنية قديمة ربما تعود الى فترة ماقبل الإسلام .

موقع جبل راعة

يقع في ناحية السلفية من ناحية ريمة بجانب جبل عرشان حيث يوجد الكثير من بقايا اساسات قديمة مبنية باحجار مهذبة جميلة بالاضافة الى البرك المنحوتة في الصخر والمطلية بمادة القضاض.ايضا يوجد عدد من المدافن ذات الاشكال الاسطوانية المنحوتة في قلب الصخر والتي استخدم في عملية طوائها الاحجار الصغيرة المهذبة من اجل حفظ بعض المؤن . . كما لايخلو هذا الموقع من السقايات المربعة والدائرية المنحوتة في الصخر والذي استخدم في عملية طلائها مادة القضاض من اجل منع تسرب المياه الى الصخور المجاورة . .

موقع جبل ظفار :

يلاحظ من تسمية هذا الجبل بأنه يوجد علاقة بين عاصمة ظفار الحميرية الواقعة في يريم . فلو استخدمت بعض الحفريات في هذا المكان والاماكن الاخرى السالفة الذكر لوجدنا علاقة اكيدة بالدولة الحميرية وامتداد سيطرتها الى المنطقة الغربية القريبة من ساحل البحر الاحمر باعتباره مسرح التجارة في عصر الدولة الحميرية . . وهذا الجبل يضم العديد من الاساسات الظاهرة والمطمورة والمبنية باحجار جميلة ومهذبة بالاضافة الى وجود بقايا برك واكرفة مبنية في باطن الصخر والبعض شيد بالاحجار . . كما استخدمت مادة القضاض في عملية طلاء هذه المنشآت المائية من اجل منع عملية التسرب . . كما لايخلو هذا الموقع من بناء المدافن الصخرية والسقايات ذات الاشكال الاسطوانية والتي استخدمت الاحجار الصغيرة المهذبة ومادة القضاض في عملية طوائها من الداخل بالاضافة الى الاحجار المستطيلة والمربعة المسماة بالصلل والتي تستخدم دائما عند بوابات المدافن والسقايات بشكل مستطيل ومربع بحيث يضفي رونقا معماريا جميلا يدل على البراعة والدقة الهندسية في عمليات بناء المدافن والسقايات والتي لاتزال متوارثة منذ القدم يستخدمها أبناء القرى في عمليات حفظ الحبوب من موسم الى آخر وذلك حرصا منهم من تقطع الامطار الموسمية المؤثرة على الزراعة والانتاج . .

موقع جبل الجب

يقع في ناحية السلفية من قضاء ريمة التابع لمحافظة صنعاء علما ان هذا الجبل يضم العديد من المباني الاثرية الظاهرة والمطمورة التي استخدم في عملية بنائها الاحجار الجميلة والمهذبة . . كما يوجد العديد من الاكرفة المائية والتي نحتت في الصخر والتي استخدم في عملية طلائها مادة القضاض . . أيضا يوجد عدد من المدافن والسقايات الجميلة ذات الفوهات المستطيلة والمربعة المبنية من احجار الصلل الجميل المتقن في عملية التهذيب والتي

استخدمت مادة القضاض من داخل السقايات كمادة حافظة من عمليات التسرب الى باطن الصخر بالاضافة الى استخدام الاحجار الصغيرة الجميلة في عملية طواء بعض المدافن الخاصة بالغلال والمؤن . .

موقع جبل الشرف :

ايضا يقع في ناحية السلفية التابع لناحية ريمه حيث لايخلو هذا الجبل من المنشآت الاثرية مثل بقايا اساسات لمباني قديمة ربما ترجع الى فترة العصر الاسلامي والتي استخدم في عملية بنائها الاحجار المهذبة . كما يوجد عدد من البرك (اكرفة) منحوتة في الصخر والمشيدة بالاحجار الكبيرة والتي استخدمت مادة القضاض كمادة حافظة من التسرب كما لا تخلو هذه البرك من السلالم الصخرية التي بنيت بجانب البرك من الداخل ايضا يوجد عدد من المدافن والسقايات المنحوتة في الصخر ذات الاشكال الاسطوانية والمربعة . .

موقع جبل عرشان

يقع في ناحية السلفية التابعة لقضاء ريمة فهذا الموقع يضم العديد من المنشآت السكنية وبقايا اساسات المباني استخدمت الاحجار المهذبة في عملية بنائها كما يوجد العديد من البرك المنحوتة في الصخر والمشيدة بالأحجار والتي استخدم في طلائها مادة القضاض لمنع عملية تسرب المياه . . ايضا يضم هذا الموقع كثير من المدافن والسقايات ذات الاشكال الاسطوانية والمربعة والتى استخدم في عملية طوائها من الداخل الأحجار المربعة ذات الأحجام الصغيرة ومادة القضاض بالنسبة للسقايات . كما يوجد ظاهر مجموعة من القباب المبنية بالاحجار حيث يلاحظ استخدام مادة القضاض كثيرا على هذه القباب . .

موقع جبل يفعان :

يقع في ناحية السلفية وهو عبارة عن حصن استخدم في فترة العصر الاسلامي وربما فترة وجود الاتراك في اليمن فهذا الموقع يضم العديد من المنشآت السكنية المشيدة بالاحجار المهذبة فلا يزال لها ارتفاعات تبلغ الثلاثة الامتار تقريبا في معظم المباني . . كما يوجد مسجد بداخل الحصن مبني باحجار جميلة ومهذبة يوجد بجواره بعض القبور المرتفعة والذي استخدم في عملية بنائها مادة القضاض . . ايضا توجد مغارة بالقرب من المسجد استخدمت الحجارة الكبيرة في عملية بنائها . كما لا يخلو الموقع من المدافن والسقايات ذات الاشكال الاسطوانية والمربعة والذي استخدمت الاحجار الصغيرة في عملية طوائها ومادة القضاض التي دائما يتم استخدامها في طلاء السقايات من الداخل . وهذه المدافن والسقايات لها بوابات مستطيلة ومربعة استخدمت احجار الصلل المستطيلة عند بوابتها ايضا ، يوجد العديد من البرك المشيدة بالاحجار الجميلة منها ذات اشكال اسطوانية مثل التي بنيت بجوار المسجد والتي تتفرع الى بركة اخرى بجوارها والذي استخدمت في طلائها مادة القضاض ، كما توجد بركة في اطراف الموقع عليها كتابة من الداخل على مادة القضاض ربما كان بتاريخ (غرة ربيع الاول) ١٠٥٤ وهذه البركة بيضاوية الشكل لها سلالم صخرية من الجانب . .

موقع المجاعرة :

يقع في ناحية السلفية تحت جبل يعفان من الناحية الجنوبية الشرقية حيث يوجد بهذا الموقع بقايا منطقة سكنية لم يتبق منها الا اساسات ظاهرة وركامات اثرية مطمورة معظمها لايعرف الى اي تاريخ ترجع . .

موقع جبل شهران :

يقع في ناحية السلفية حيث يضم الكثير من المنشآت الاثرية القائمة على ارتفاعات متفاوتة . . كما يظهر الكثير من الاساسات لمباني شيدت باحجار رسوبية جميلة مهذبة . كما لايخلو الموقع من البرك المنحوتة في الصخر الذي استخدمت مادة القضاض في عملية طلائها فمنها ذات اشكال دائرية وبيضاوية ايضا يوجد العديد من المدافن والسقايات المعروفة والتي تم نحتها في الصخر ذات الاشكال الاسطوانية والمربعة والتي تحمل بوابة مستطيلة ومربعة مبنية من احجار مستطيلة ومربعة تسمى الصلل . .

موقع قرية العدن :

تقع في ناحية السلفية وهي تابعة لبني الواحدي فمن خلال ملاحظاتي لجميع انحاء الموقع وجدت ان القرية نفسها شيدت على موقع قديم يرجع الى فترة قبل الاسلام فلم يبق منها الا بقايا اساسات بسيطة بجوار احدى البيوت المأهولة بالسكان فقد وجد في هذه القرية تمثال من البرونز لامرأة عليها تأثيرات هلنستية وقد اهدى الى المتحف الوطني بصنعاء . ايضا يوجد بجوار هذه القرية من الناحية الشرقية مسجد قديم يرجع تاريخه الى ٨٥٢هـ بني في يوم الجمعة ٧ ربيع الاول . . ولكن الشيء الجميل الملفت للنظر هو سقف هذا المسجد الخشبي الجميل الذي يحوي زخارف خشبية جميلة ربما هذا المسجد يعتبر تحولا فنيا من عصر الى عصر فهو يحوي نوعين من الزخارف الجميلة وهي كما يلي :-

١ - عند مقدمة المسجد يحمل السقف زخارف خشبية تسمى بالصناديق كما هو معروف في مسجد اسناف خولان فالصف الاول من السقف يحمل ست صناديق مربعة بداخلها زهرة رباعية (نجمة) مطلية بماء الذهب وبالوان اخرى جميلة اما الصف الثاني فيحوي حوالي ست صناديق مستطيلة بداخلها تشكيلات نباتية زخرفية جميلة توحي بدقة التصوير النباتي في ذلك العصر والذي كان سائدا على ما اظن في فترة حكم الدولة الرسولية فهذا النوع من الفن يمثل فترة انتهاء عصر الدولة الرسولية وبداية عصر الدولة . . الطاهرية كما يوجد في الصف الثالث ست صناديق مربعة تفصلها صناديق مستطيلة جميلة عليها زخارف نباتية مطلية بماء الذهب والوان اخرى جميلة . .

٢ - مؤخرة المسجد عليها سقف خشبي مسطح عادي عليه زخارف قرآنية على شكل الواح مستطيلة . فأنا أرى أن هذا الفن الزخرفي ربما يمثل فترة لاحقة ، فتاريخ المسجد المذكور اعلاه يوجد في مؤخرة المسجد . . كما يوجد شيء يدعو للاستغراب هو عمود المسجد الخشبي فسقف هذا المسجد يستند على عمود واحد فقط وهو ثماني الاضلاع له قاعدة مستطيلة رباعية . .

ايضا يوجد بجوار المسجد مدرسة قديمة عليها سقف خشبي من النوع المتأخر ، عليه كتابات قرآنية داخل الواح مستطيلة . .

كما يوجد بجوار المسجد قبة ربما تكون لباني هذا المسجد وهي رباعية الاركان يعلوها تيجان ثمانية على شكل ورقة نباتية ثلاثية الشكل . . كما يعلو هذه التيجان قبة لها رأس حاد . وأما داخلها فيوجد عليها بعض كتابات فربما تكون لاحقة وهي من الجص ويرقد بداخلها الولي وعليه صندوق خشبي زخرفي جميل . . ايضا من خلال ملاحظتي لهذه المساجد فعند بداية كل ترميم يكتب اسم المرمم وتاريخه حيث لاحظت هذه النقطة عند قبة القاضي ناحية آنس قرية القاضي . .

كما يوجد بجوار هذا الموقع من الناحية الجنوبية مواقع اثرية قديمة لاتزال مهجورة وفي حالة جيدة شيدت اساساتها من الاحجار الرسوبية المهذبة . .

موقع جبل الدومر:

يقع في ناحية السلفية التابع لقضاء ريمة والموقع الاثري يقع في حصن ذهاني قرية محالية والموقع عبارة عن ركام اثري متفرق ولكن مما يدعو للاسى والحسرة ان القرية نفسها شيدت على نفس انقاض الموقع الاثري القديم حيث يوجد كثير من احجار الموقع موجودة على واجهة اكثر المباني الحديثة المأهولة بالسكان فلم يبق الا جزء بسيط من الموقع الاثري القديم عبارة عن بقايا اساسات لمباني قديمة شيدت باحجار جميلة مهذبة كما هو معروف في مباني العصور القديمة من حيث الدقة والبراعة الهندسية في عملية قص ونحت وهندمة الاحجار الخاصة بالمباني السكنية والدينية.ايضا يوجد مواقع اثرية متفرقة لازالت سليمة من عبث الانسان الجاهل بقيمة تراثه وتاريخه نتيجة عدم وجود التوعية التاريخية والاثرية من قبل أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة . . فمن خلال تجوالي في انحاء الموقع وجدت احجار عليها بعض كتابات بالخط المسند ولكنها غيرواضحة نتيجة العبث الذي طرأ عليها من الانسان ولكن لحسن الحظ وجدت حجرا كبيرا نسبيا بجوار الموقع على واجهة احد المباني المأهولة بالسكان وهذا الحجر يبلغ طوله المتر تقريبا بارتفاع سبعين سنتيمتر تقريبا ونص النقش كما يلي : -

١ - حيوم/ يهوشع/ وبنيهو/ تبع كرب/ وسعد عم / مكو[illegible]
٢ - وأوس [illegible]/ ومعد عم/ بنى / ذعجبم/ هفعلو/ ووقظو/ ووقطو/ هقشا/ مكور
٣ - وبرس (وبراء) / كل (كب) كفعت وتحضت/ ماجلهمو/ يهشفق/ بردا/ وتحربا
٤ - مسهمع / ومنضحتهمو/ والهمو/ عم / أحر من / بعل/ عجبم/ وودعت / مكور
٥ - وب / شيمهمو/ سخرن/ بعل دعيرم/ عجبن/ وبردا/ وتحرج / أ
٦- مكور . . امرؤهمو / ملك/ سبأ/ وذ ريدن/ وبردا/ شعبهمو/ ش مكور
٧ - وكع مكور / وبرداء / ومقيمت / وأخيل / ادمهمو/ مكور
٨ - مكور هجرن / عجبم / وبنو/ ذجيمف مكور

الشرح :

حيوم يهوشع وأبناؤه تبع كرب وسعد عم واوس عم ومعد عم من بني ذو عجب عملوا تجديدات وبثر كل اعمالهم زينت او زخرفت ماجلهم بهشفق القوي وتحربا مسهمع وساقيتهم وان الههم عم المقدس بعل عجب راعي الزروع المروية بالامطار . .

وبجاه سيدهم سخرن كبير ذعيرم وعجب القوي وبأمر ملوك سبأ وذي ريدان وبقوة قبائلهم وبقوة ومقام كبار الناس من مدينة عجب وبنو ذو جيف . .

علما ان هذا الشرح ليس مستوفي بشكل كامل وانما محاولة في ايجاد معنى النقش ونوعه وهذا النقش يسجل عملا ترميميا لبعض المنشآت المائية في مدينة ذو عجب . .

موقع مسجد الاعور:

يقع هذا المسجد في ناحية الجبين في قرية تسمى الاعور التابعة لبني الضبيبي والقرية تنتسب الى شيخ القرية الملقب بالاعور . المسجد عبارة عن شكل مربع تقريبا حيث يضم صحنا للصلاة بجانبه بركة مياه وقد استخدمت الاحجار الجميلة المهذبة في عملية بناء هذا المسجد حيث نجد ان المادة الرابطة بين الاحجار هي مادة القضاض اما اهم ما يلفت النظر في هذا المسجد هو سقفه الخشبي المليء بالزخارف النباتية على شكل صندقات تحمل زخارف نباتية جميلة مطعمة بماء الذهب وبعض الالوان الاخرى الزاهية والسقف يحمل خمسة صفوف باشكال مختلفة وهي كما يلي :-

الصف الاول من السقف الخشبي يقع عند المحراب حيث يفصل بين كل صف قوائم خشبية مزخرفة تسندها اعمدة خشبية من ذوي الثمانية اوجه والتي يبلغ عددها ١٦ عمودا خشبيا لها قواعد مربعة جميلة اما الصف الاول فيشكل اربع صندقات خشبية مربعة ومستطيلة تحمل بداخلها تشكيلات نباتية جميلة حيث يفصل بين كل صندقة مربعة صندقة مستطيلة الشكل كل صندقة تختلف عن الاخرى من حيث التشكيلات الزخرفية . .

الصف الثاني يضم احدى عشر صندقة خشبية مستطيلة عليها زخارف مختلفة نباتية الشكل كل صندقة تختلف عن الاخرى . .

الصف الثالث يضم ثمانية عشر صندقة مربعة تشكل

انواعا زخرفية نباتية جميلة . .
الصف الرابع من السقف يضم احدى عشر صندقة مستطيلة جميلة تحمل اشكالا زخرفية نباتية غاية في الجمال . .

الصف الخامس وهو الصف الاخير يقع عند بوابة المسجد الرئيسية يحمل ثمانية عشر صندقة خشبية مربعة عليها زخارف . وهذا كله يوحي بالبراعة الفنية والدقة في عملية النحت على الخشب . . ايضا توجد تشكيلات نباتية بداخل كل صندقة تشبه النجمة او الزهرة منها الرباعية ومنها السداسية ومنها الثمانية الشكل . .

كما يضم المسجد اطارا خشبيا من جميع الجهات يقع تحت السقف مباشرة حيث يحمل كتابات قرآنية منحوتة بالخط البارز ومكتوبة بالخط الكوفي يلي هذا الاطار من جميع الجهات نوافذ مستطيلة عليها اطارات خشبية نحتت بشكل جميل يدل على البراعة الفنية مما يجعل النور يتسرب الى داخل المسجد على شكل خيوط شعاعية جميلة تضفي رونقا جماليا مهيبا . .

اما بالنسبة لطول وعرض هذا المسجد فهو كما يلي :
الطول ١٠ امتار : العرض ١٠ امتار تقريبا . .

نامل ان يتطور البحث في هذا المجال لاهميته وان يزود الباحثون بالتوجيهات العلمية لاستخدام الاساليب والمصطلحات العلمية.واستخدام الآلات اللازمة للبحث مثل آلات المقاييس والتصوير . .

[[الاكليل]]

الهيئات الشعبية اليمنية وأثرها في الحياة الثقافية

بقلم/ علوي عبدالله طاهر

إلى أجيال الثورة اليمنية بمناسبة احتفالات الشعب اليمني بمرور ربع قرن على قيام الثورة المباركة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ومرور عشرين عاماً على الاستقلال الوطني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م..

الجزء الأول: الهيئات الإصلاحية والنوادي الأهلية

القسم الأول: الهيئات الإصلاحية وأثرها في الحياة الثقافية

■ تمهيد :

كانت الحياة الثقافية في شمال الوطن اليمني متخلفة جدا فلم يكن يسمح بدخول الكتب أو التزود بها فيما كان يعرف قبل الثورة بالمملكة المتوكلية اليمنية ، وكاد يكون الاتصال بالحركة العلمية والأدبية في الوطن العربي والعالم منقطعا ، لأن الحكم الامامي قد حارب العلوم على اختلاف أنواعها.

لقد ضرب الحكم الامامي نطاقا حديديا على البلاد حتى لاتتسرب اليها الكتب والرسائل والصحف والمجلات ، لان في تسرب اي كتاب أو مجله أو اي شيء يحمل طابع الفكر والثقافة معناة دخول النور الى البلاد ، وهذا ماكان يخيف الحكام ويرهبهم ويهدد سلطتهم.

وكان تأليف الكتب راكدا ، وكان نشر ما ألف منها مستحيلا الامن بعض المؤلفات الصغيرة المحدودة التي الفها بعض اليمنيين في الفقه والفرائض والشريعة تدور معظمها حول المذهب الزيدي وتمجيد الامامة أو تقديس الأئمة ، أو تدعو الى الزهد والانصراف عن عمارة الحياة والتنديد بكل نـزعة الى البناء والعمران .

وكانت مهمة الامامة متجهة الى تدعيم مركزها الروحي بين القبائل تحت ستار التشيع لأل البيت حتى يرسخ في عقلية الشعب ان الامام ظل الله في الارض ، وان منزلته كمنزلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكل ماورد في طاعة الله ورسوله ينطبق على الامام لأنه نائب الله وخليفته في الأرض.

بهدف جعل الشعب يخضع لطاعة الحكام ويستجيب لمشيئتهم ، على اعتبار ان ذلك أمرا مقدسا

هكذا كان الحكم الامامي ينشر في أوساط العامة الأفكار التي تقدس حكمه ، والثقافة التي تبقى على نظامه.

وكـان بعض الرجـال المقـربين الى الامام ونظام حكمه يشيعون في الناس الخرافات التي لايصـدقها إلا الجهلـة ، ويبذلون في سبيل نشرها شتى الوسائل ، فعندما تمطر السماء كانوا يقولون . . «هذه بركات الامام» وعند ماتجف الأرض يقولون (هذه دعوة من الامام ضد العصاة المتمردين» ، وكانت الزكاة لاتعطي الا للامام والصلوات لا تؤدى الا بوجوده ، فإذا جاء الرخاء قالـوا : (هذا بفضل الامام) وإذا حل بالناس البؤس والمرض والموت فإنهم يحيلونهم الى نعيم الامام في الجنة «حلت احـدى المجاعات الامامية الرهيبة باليمن ومات أكثر أهلها بعدان اكلـوا الكـلاب والقطط ، وكانت خزائن الحكومة ملأ- بالحبوب ، وراح الناس يسألون الامام يحيى النجدة فصعر خده لهم ، وقال كلمته المشهورة : من مات فهو شهيد ، ومن عاش فهو عتيق»(١).

وكـان طبيعيا في مجتمع تتحكم فيه العقلية المتخلفة ان تسود الخرافات وتنتشر الأوهام التي لايقبلها عقل ولايقرها دين فوق مستوى البشر.

وقد حاول اعوان الامام وانصاره ان ينسجوا من حوله القصص والحكايات التي لاتستند الى اي اسـاس من الواقع فاعتقد عامة الناس ان الامام يستطيع ان يشفي المريض بورقة صغيرة يكتبها ، ويقدر على قتل خصمه بدعوة يدعوها عليه وكانوا يعتقدون ان كنوز النبي سليمان قد آلت للأمـام وانـه يحتفظ بها وبـأمـواله وجواهره الأخرى في احد كهوف الجبال في مكان أمين

لايستطيع الوصول إليه احد يتولى حراسته رجال اشداء وكان عامة الناس يصدقون كل إشاعة ينقلها عملاء الامام اليهم فانتشرت في المجتمع الخرافات فكأن الناس يستعملون الأحجبة . . . والتمائم لتقيهم من المرض والحسد وتبعد عنهم شر الجن ، وكان الأغنياء يضعون تعاويذ ابنائهم في غلاف من الفضة اما الفقراء فيضعونها في قطع صغيرة من الجلد . وساد الاعتقاد في أوساط الناس بالسحر . . . . والتنجيم والشعوذه ، فوجد المتشعوذون سوقا رائجة لبضائعهم واباطلهم فاستعملوا (الكي*) و (الحجامة*) علاجا لكثير من الأمراض . . . . . . وقد ترسخت تلك الخرافات والمفاهيم في اذهان الشعب لان الحكام حاربوا العلوم الحديثة ، وقاوموا أية دعوة لنشرها في اوساط الجماهير ، وكان تدريس العلوم الحديثة جريمة في نظر الحكام ، ولايسمحون بادخالها الى المدارس ، وللتمثيل على ذلك نعرض حكاية رواها الاستاذ هاشم عبدالله في كتابه (جزيرة العرب تتهم حكامها)(٢) .

تقول الحكاية :

طلب احد المسئولين مدير المدرسة ، وكانت مدرسة تحضيرية ، تضم ابناء الامراء ورجال حاشية الملك ، لغرض تهيئتهم لارسالهم الى الخارج . وقد دار بين المسئولين ومدير المدرسة . . . . الحوار التالي :

ـ ماذا تأمرون يامولاي .

ـ ائت بجدول الدروس .

ـ اتفضلوا . . هاهو .

ثم يطالعه المسئول بامعان ويلتفت إلى مدير المدرسة . . بعد ان اشار الى فقرة في الجدول ثم يقول باندهاش :

ـ ماهذا؟

ـ جغرافية يامولاي .

ـ جغرافيه؟

ـ نعم .

ـ اتعلمون ان الجغرافيه حرام؟

ـ نحن لانعلم الجغرافية المحرمة ، بل نعلم القسم الحلال منها ، وهو مايعين على معرفة القبلة واوقات الصلاة فقط .

ـ لماذا لاتعلمون علم التوحيد عوضا عن هذا؟

ـ نحن نعلم القرآن ، وفيه توحيد واخلاق ومدنية .

ويدور جدل بين المسؤول ومدير المدرسة . . انتهى باستسلام المدير لأوامر المسؤول ، وشطبت مادة الجغرافيه من الجدول المدرسي .

ان ذلك يدلنا على عقلية حكام اليمن قبل ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م ، ويعرفنا على نمط من المسئولين الذين كانوا يحاربون كل جديد في الثقافة فقد كانوا ينظرون الى العلوم الحديثة نظرة مريبة ، فأشاعوا في الناس ان التعليم الحديث كفر وخروج على الشريعة الاسلامية ، وان الثقافة

***الكي : يتم على شكل خطوط تحدثها قطع من الحديد المحمى على النار الى درجة الاحمرار في مواضع الألم تحدث جرحا يسمى (ميسم) .**

*** الحجامة : تتم عن طريق عمل ثقب في جلد المريض في ظهره أو بين كتفيه ، أو في اماكن اخرى بالموس ، ثم يضع القرن بقوة في مكان الحرج بعد تفريغه من الهواء ، ويسحب من المريض دما كثيرا ، معتقدين انه الدم الفاسد ، وكثيرا مايصاب المريض نتيجة ذلك بفقر الدم والهزال .**

العصرية فيها خطر على العقيدة والدين.

فقد روي ان احد الأمراء من الأسرة المالكة حين افتتح احدى المدارس في صنعاء وقف يقول: «اننا لانفتح هذه المدرسة . . لنعطي فيها الدروس العصرية والعلوم الأجنبية بل نفتحها ليتلقى فيها ابناؤنا حفظ القرآن ، وماعدا ذلك فلاحاجة لنابه ، وانني ارجو من الله ان يأتي اليوم الذي اخضب فيه هذا السيف بدماء العصريين» . (٣)

وقام الحكام وعملاؤهم بملاحقة الشبان المستنيرين لأنهم يحملون افكارا جديدة ، يبشرون بمبادىء الحرية والحق والعدل . . وعبادة الله وحده .

ولما وصل الى علم الامام يحيى ان عددا من الشبان ينادون بمبادىء الحرية والحق والعدل . . الخ . طلبهم وحرص على ان يصلوا في ملأ من الناس وعامتهم ، وعند وصولهم صرخ في المحتشدين: «مارأيكم في هؤلاء الذين يطالعون الكتب العصرية ليختصروا القرآن«(٤) .

ولجهل الناس وغباوة بعضهم جازت على عقولهم هذه الخدعة ، فهاجوا على هؤلاء الطليعة من المتنورين من الشبان وضربوهم ضربا مبرحا حتى كادوا يقتلونهم ، وسيقوا بعد ذلك الى السجن .

الفصل الأول

ظهور الهيئات الاصلاحية في شمال الوطن وأثرها في الحياة الثقافية

١ ـ هيئة النضال ـ صنعاء .
٢ ـ حزب الأحرار اليمني ـ صنعاء .
٣ ـ هيئة شباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ صنعاء .
٤ ـ ندوات مجالس الأمير احمد الثقافية في تعــز .
٥ ـ جمعية الاصلاح في اب .
٦ ـ شلة البريد الأدبي .

الفصل الأول

ظهور الهيئات الاصلاحية في شمال الوطن وأثرها في الحياة الثقافية

لقد عمل الحكم الامامي علي محق العلم ومسخ المعرفة ، وسعى لتثبيت دعائم ليل الجهل والخرافات خوفا من بزوغ نور المعرفة الذي يتيح للناس رؤية فساد الحكم وظلم الحكام .

وتحمل بعض الشباب المستنيرين مسؤولية إزالة الجهل والتخلف من المجتمع ، فخاضوا غمار معركة طاحنة مع الحكام ، ودخلوا معهم في صراع عنيف ومرير ، إذعلت صيحات بعضهم تطالب بالعلم ونشر التعليم ، وناضلوا من أجل تبديد ظلام الجهل .

لقد كانت ثورتهم في اشد عنفوانها ، فانطلقت ألسنتهم من عقالها لنقد جهاز الحكم المتردي ، فطالبوا بالاصلاح في المجالات المختلفة ، ودعوا لنشر العلم والثقافة في ربوع البلاد ، وارسال البعثات التعليمية ، وفتح المدارس والمعاهد ، وجاهدوا بأرائهم وطالبوا بادخال عناصر قيادية كفؤة الى جهـاز الحكم لتسير باليمن الى طريق التقدم والرخاء والنهوض بمستواها العلمي والثقافي

والاقتصادي والاجتماعي ، وطالبوا بإقامة المشاريع الحيوية التي تعود على اليمن واليمنيين بالنفع والخير مثل شق الطرقات وبناء المدارس والمستشفيات والمصحات واعادة بناء السدود والاهتمام بالزراعة . . . الخ .

واضطر الامام يحيى امام تلك الضغوطات ان يتظاهر برغبته في الاصلاح ، خاصة حينما بدأ يشعر بخطورة الموقف ، وانه لاخلاص من ذلك الا بابداء الرغبة في الاصلاح واظهار النية في فتح المدارس والمعاهد وارسال البعثات التعليمية الى الخارج فأرسل أول بعثة تعليمية الى العراق عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م استجابة للمطالب الملحة التي فرضت عليه .

وكان قد ظهر على مسرح الأحداث عدد من الشبان الذين بدأوا يجهرون بالانتقادات اللاذعة للامام يحيى ولرجال حكومته وصار اليمنيون ينظرون الى الامامة نظرة مختلفة عن ذي قبل وصاروا يرون انها السبب فيما يقاسونه من آلام وشقاء وحرمان وتخلف .

وكان على رأس هؤلاء الشبان أحمد بن احمد المطاع* الذي كان محررا في صحيفة «الايمان» فعرف بصراحته وجرأته في نقد الأوضاع .

فأتجهت إليه الأنظار ولمع اسمه واشتهر ، وتعرف على عدد من الشخصيات اليمنية البارزة ، وعمل معهم على مقاومة الأوضاع واصلاح الفساد في الحكم ، والمطالبة بابعاد المفسدين من السلطة ، وشكلوا هيئة شعبية عرفت بإسم : (هيئة النضال) التي كان مقرها صنعاء .

١ - هيئة النضال ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٥م

تأسست هيئة النضال في صنعاء عام ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٥م بزعامة احمد المطاع ، وكان لها فروع في مناطق اخرى من اليمن . ومن اهدافها (٥) .

١ - محاولة تسرب اعضائها إلى جهاز الحكم والى قمته ان أمكن لضربه من داخله واثارة بعضه على بعض وكشف الأسرار ودرء الأخطار عن الهيئة وتنفيذ ما امكن من قراراتها .

٢ - احباط مخطط الاتجاه المعاكس لأصلاح الجهاز الحاكم وتطويره ، ومحاربة احياء الدعوة الزيدية والابقاء على الامامة .

٣ - الاتصال بالصحافة الخارجية والشخصيات العربية لنقد سياسة الامام يحيى ونظام حكمه .

٤ - توعية الجماهير القبلية وخاصة قبائل الشمال .

ان هذه الأهداف المتواضعة لهيئة النضال كانت تشكل حينها خطوة متقدمة في مجرى النضال من أجل إصلاح أوضاع البلاد الفاسدة ، إذ لم يكن ممكنا في مثل تلك الظروف تغيير الأوضاع أو اجراء أية اصلاحات في جهاز الدولة إلا من خلال محاولة الوصول إلى مواقع في السلطة تسمح بإجراء الاصلاحات المطلوبة . ولم تكن هذه المهمة سهلة ولاميسورة ، فقد كان الامام ورجال حاشيته واتباعه واعوانه يحولون دون تمكين العناصر الشابة من احتلال أي منصب قيادي أو تولي أية مسئولية ذات نفوذ او شغل اية وظيفة هامة تمكن صاحبها من التأثير على مجريات الأمور او تغييرها نحو الأفضل ، ورغم ذلك استطاعت هيئة النضال ان تثير الرأي العام في الداخل والخارج من خلال الكتابات التي كانت تنشرها في الصحف العربية او الانتقادات التي كانت توجهها الى بعض العاملين في الجهاز الحكومي ، وعملت في الوقت ذاته على وصول بعض

---

* احمد بن احمد المطاع : شخصية يمنية قوية ، عالم فذ ، كان واسع الاطلاع ، تأثر بالمنفلوطي والكواكبي والشيخ محمد عبده ، وكان اديبا درس شعر المتنبيء وشوقي وحافظ والرصافي وغيرهم ، وقرأ الكثير من المؤلفات لكتاب عصره في الاقتصاد والفلسفة والاجتماع . . الخ . . وكان معجبا بصراحة قاسم أمين فيما يتعلق بتحرير المرأة وكان قوي الأسلوب في كتابته .

اعضائها الى تولي بعض المناصب في الجهاز الحكومي كمحاولة لاصلاح الجهاز من داخله وادخال بعض الاصلاحات في المجالات المختلفة في حدود الممكن.

ولقد حققت هيئة النضال بعملها هذا بعض النجاحات مثل ارباك الامام يحيى حول دعوته لاحياء الزيدية وعدم تمكينه من شق المجتمع اليمني الى طائفتين متناحرتين ، زيدية وشافعية او شق الوحدة الوطنية لضرب هذه الطائفة بتلك.

واستطاعت الهيئة كذلك أن تثير الخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة وتزعزع الثقة بين بعضهم البعض وتعميق الخلافات بين آل حميد الدين وآل الوزير . كما استطاعت التأثير على الأمير عبدالله ابن الامام يحيى الذي كان يشغل حينها وزيرا للمعارف وأقنعوه بضرورة تطوير التعليم والأهتمام بالثقافة . وكان الأمير عبدالله طموحا يميل الى إدخال بعض الاصلاحات في جهاز الحكم غير انه كان يصطدم بالعقلية المنغلقة بأبيه ، فلمس فيه بعض اعضاء هيئة النضال هذه النزعة فأحاطوابه ، وتعاملوا معه وحثوه على استقدام الشاب احمد عبدالوهاب الوريث * من ذمار الى صنعاء وتكليفه بالاشراف على وزارة المعارف الى جانب المطاع الذي كان يشغل حينها مستشارا للمعارف . .

لقد التقى المطاع والوريث في وزارة المعارف وتمكنا من تبادل الاراء وتناقشا في كثير من الأمور المتعلقة بإصلاح الاوضاع واهتديا الى فكرة اصدار مجلة أدبيه تاريخية فعرضا الفكرة على الأمير عبدالله باعتباره وزيرا للمعارف واقتنع بها واقنع بدوره اباه ، وكانت من ثمار ذلك صدور مجلة «الحكمة اليمانية» . . التي كان لها عظيم الأثر في الحياة الثقافية اليمنية في تلك الفترة المظلمة صدر العدد الأول منها في صنعاء في ذي القعدة ١٣٥٧هـ الموافق ديسمبر ١٩٣٨م ، وقد عرفت نفسها في صدر غلافها بانها (مجلة علمية جامعة شهرية)، وكان شعارها (الايمان يمان ، والحكمة يمانية) وكانت تطبع في مطبعة المعارف بصنعاء وتحوي ٣٢ صفحة في الغالب قطع ٢٥×١٥سم.

وبرز على صدر صفحاتها عدد من الكتاب أمثال عبدالله العزب وأحمد الحورش واحمد البراق واحمد المروني ، الى جانب المطاع والوريث وغيرهما . وقد بذل هؤلاء جهودا شاقة في تحريرها وعملوا على استمرارها رغم الظروف الصعبة والامكانات الشحيحة . وقد وجد الشبان المستنيرون في مجلة (الحكمة) بعض التنفس للتعبير عن مطالبهم في الاصلاح ودعوتهم لتطوير البلاد ، فظهرت على صفحاتها المقالات الجريئة التي تنتقد بعض ممارسات رجال الجهاز الحكومي ، والمقالات التي تتحدث عن السلف الصالح بهدف الاقتداء بهم في العدل والشجاعة والاهتمام بالرعايا وتفقد احوال الأمة وتلك التي تدعو الى تحسين اوضاع الجيش وتطويره وغيرها من المقالات السياسية والادبية والتاريخية والنقد الادبي والاجتماعي او التحليلات الاقتصادية والزراعية . . الخ .

وكانت قد سبقت مجلة الحكمة بالصدور جريدة (الأيمان) الرسمية التي صدرت في جمادي الأولى ١٣٤٥هـ(١٩٢٦م) لتكون دعائية لسلطة الامام وتوطيد نظامه ، مركزة على اخبار تحركات الامام ومقابلاته ، ونشر القصائد والمقالات التي تمجد النظام الحاكم والاشادة بالامام . ورجال حاشيته ومن خلال هذه الصحيفة حاربت السلطة الحاكمة الثقافة العصرية وهاجمت الشبان المتنورين الذين كانوا ينادون بمبادىء العدل والحرية والحق ، وكانت ترفض كل الأفكار المتحررة والاراء المستقلة ولاتسمح لها بالظهور على صفحاتها . . غير ان الشباب المستنير من رجال هيئة

---

* احمد عبدالوهاب الوريث : ولد في شهر رمضان ١٣٣١هـ (١٩١٢م) بمدينة ذمار ، درس في مدارسها الدينية ، قرأ كثيرا في العلوم الدينية المختلفة ، وتفقه باللغة العربية ، درس علومها وادابها ونحوها وصرفها ، وقرأ في التاريخ القديم والحديث فأكتسب ثقافة واسعة . وكان رئيسا للجنة التاريخ وترأس مجلة الحكمة اليمانية . توفي عام ١٤٥٩هـ في الرابع من شهر محرم . الموافق فبراير ١٩٤٠م ، وهو من رواد الصحافة اليمنية .

النضال وغيرهم وجدوا في مجلة (الحكمة اليمانيه) ضالتهم فكانت متنفسهم ولسان حالهم ، فدخلوا في معركة مع السلطة ، فكانوا يرفعون أصواتهم عاليا ويجهرون بارائهم عبر مجلة الحكمة ويطالبون بادخال الاصلاحات في المجالات المختلفة ، ويعلنون رفضهم لسياسة التجهيل التي تتبعها السلطة الحاكمة .

واستطاع الشبان المستنيرون بعد جهد ان يقنعوا السلطة في ادخال بعض الاصلاحات وفي استثارة الرأي العام ليطالب بالاصلاحات المختلفة وتطوير البلاد .

وتولد عند بعض الشبان الاحساس بمعاناة الشعب وادركوا حقيقة الواقع المتخلف . وقساوة الحياة ، واساليب المعاملة السيئة التي يمارسها الحكام . فنظموا أنفسهم في تجمع سري ، وأقروا برنامجا للاصلاح اسموه (برنامج حزب الاحرار اليمني) .

٢ ـ حزب الاحرار اليمني بصنعاء ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م

في ظل ظروف الكبت السياسي والقهر الاجتماعي وملاحقة الشبان المستنيرين المطالبين بادخال اصلاحات في نظام الحكم وتطوير البلاد والاهتمام بقضايا الناس . في ظل تلك الظروف العصيبة اجتمع نخبة من الشبان المستنيرين في صنعاء عام ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م وناقشوا أوضاع البلاد المتردية وأقروا برنامجا للاصلاح اسموه (برنامج حزب الاحرار اليمني) ولم يعلنوه حينها لسرية نشاطهم .

وكان هذا البرنامج يستهدف مايلي : (٦) :

١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ النزول عند أوامر القرآن والمحافظة على الشريعة الاسلامية .

٣ ـ التفاني في حب الوطن والسعي في إعلاء كلمته بالوسائل المختلفة والمحافظة على إستقلاله .

٤ ـ ايقاظ الأمة من سباتها ونشر الثقافة في جميع انحائها وارسال البعثات العلمية الى الخارج وتأليف الكتب والنشرات التي تبعث الشعب وتأخذ بيده .

٥ ـ الاتصال بالممالك العربية وعرض قضية اليمن عليها وتأليف الرسائل والمذكرات الى زعمائها واقطابها وايفاد الوفود اليها .

٦ ـ الاتصال بأبناء اليمن المهاجرين في شرق وجنوب افريقيا ومصر والعراق وسوريا واروبا ، وذلك للتعاون معهم وتوحيد العمل على اساس هذه الخطة .

٧ ـ تقديم النصح والارشاد الى حكومة اليمن .

٨ ـ مساعدة المهاجرين في مايصيبهم من نكبات ومحاولة رعاية مصالحهم ومساعدة المنكوبين منهم .

ولما كانت هذه الأهداف ذات طابع اصلاحي فإن الشباب قد لجؤوا الى اسلوب الحوار مع السلطة وسعوا لاقناعها بادخال بعض الاصلاحات وازالة المظالم من المجتمع ومن أجل ذلك تقدموا بعدد من المطالب الى الحكومة اليمنية تتلخص بالأمور التالية : (٧) :

١ ـ الغاء التنافيذ * والخطاط نهائيا .

٢ ـ قبول الأمانة * من الناس فيما أوجب الله عليهم من زكاة .

*** التنافيذ : تعني اعطاء الصلاحية لمديري المناطق (العمال) والمكلفين بالضرائب بإنفاذ الجنود لجمع الضرائب من الأهالي وينزل هؤلاء الجنود على الفلاحين ويبقون عندهم اياما ضيوفا ثقلاء .**

*** الخطاط : تعني ارسال الجيش على القبيلة المتمردة والبقاء عندها ضيفا ثقيلا تتولى اطعامه وتتأثر بذلك القبائل المجاورة ايضا حيث يسري عليها نفس الامر .**

*** الأمانة : تعني إخراج الزكاة على الأموال والغلات بناء على اقرار المزكي نفسه وبدافع من ضميرة بدلا من تقدير ثمن الغلات وزكاتها من قبل المخمنين الذين ترسلهم الحكومة .**

٣ - اخراج أموال الاوقاف وصرفها في العلم والتعليم واصلاح المساجد .
٤ - السماح للعلماء بالوعظ والارشاد واعلان كلمة الحق بدون محاباة من احد .
٥ - إلغاء الجمارك اكتفاء بزكاة التجارة تمسكا باحكام الشريعة المحمدية .
٦ - محاربة الرشوة وتوفير المرتبات الشهرية للموظفي من قضاة وعمال وكتاب وجنود واساتذة وغيرهم من المستخدمين حتى يكونوا في غنى عن اختلاس الناس .
٧ - حرية التعليم وتاليف الجمعيات وحرية الأفراد في حدود الدين . . بحيث لاتستطيع الحكومة اكراه احد على شيء لاتريده كاجباره على عمل لايريده أو صرفه ومضايقته في عمل مزاولته او التدخل في شئونه الخاصة .

٨ - حرية التجارة بحيث لايكون فيها امتياز لأحد دون أحد .
٩ - نشر التعليم وانشاء المدارس وارسال البعثات وحرية الصحافة وجلب المطابع .
١٠ - العناية بالصحة واستيفاد اطباء لكل ناحية من نواحي اليمن .
١١ - اعانة المزارعين والفلاحين وتخفيف الأعباء عنهم ومساعدتهم بالقرض والصدقة والتوجيه والارشاد والعفو العام * عن البقايا واعفاؤهم من جميع المطالب التي تطلب منهم بدون حق كسخرة ** الجمال واصلاح الطرق ، وتسخيرهم للأعمال الشاقة كحمل الأخشاب والأحجار وغيرها .
١٢ - الاحسان الى المشايخ والأعيان وتقرير مرتبات لهم واعادتهم الى ماكانوا عليه من العز والشرف حتى يكونوا في غنى عما في أيدي الرعية .
١٣ - عرض ميزانية الحكومة الامامية على الامام وبيان ماصرف منها ومابقي منذ تولي الامام منصبه ، وبذل أموال المسلمين في سبيل مصالحهم ، فان الأموال التي في خزينة الأمام تكفي لأكثر المشروعات الاصلاحية التي تقترح على الامام .
١٤ - تاليف هيئة محترمة من العلماء والفضلاء واستشارتهم في كل قضية من قضايا اليمن .
١٥ - استيفاد موظفين فنيين من البلاد العربية في كل عمل لايوجد من يقوم به من ابناء اليمن .
١٦ - رفض اصحاب السعاية والوشاية والنميمة وانزال العقاب الصارم والاعلان للعموم ان لاقبول لسعاية احد .
١٧ - إصلاح المحاكم الشرعية لتحديد النزاع المقر بين الناس بحيث لاتبقى قضايا الأمة بأيدي الحكام .

ان هذه المطالب كانت غاية مايطمح الشعب اليمني لتحقيقها في ظل ظروف اقتصادية منهارة وأوضاع اجتماعية مترديةوتذمر شعبي على نطاق واسع .

ودعا حزب الأحرار الناس الى بذل الجهود من اجل تحقيق المطالب الشعبية التي نادى بها والتزم بالدفاع عن كل من يتعرض . . لمضايقة أو ملاحقة من قبل السلطة بسبب هذه المطالب .

ووجه الحزب نداءات الى الملوك العرب وقادة الأقطار العربية وطالبهم فيه التدخل لاقناع الامام وحكومته في ادخال بعض الاصلاح في نظام الحكم وادارة البلاد وازالة المظالم عن الناس وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية . ومما جاء في احد هذه النداءات مايلي :

* العفو العام عن البقايا : كان الفلاحون إذا لم يكونوا قادرين على سداد ماقدره عليهم المخمن من زكاة فإنهم يدفعون جزءا منه والباقي تعتبر عليهم كديون تدفع في الموسم القادم مما يجعل الديون تتراكم عليهم .
فكان المطلب اعفاء الفلاحين من بقايا هذه الديون المتراكمة .

** سخرة الجمال :
كان يفرض على الفلاحين تسخير جمالهم لنقل مايدفع من زكاة وضرائب الى خزائن الحكومة بالمجان .
فكان المطلب الغاء هذا الاجراء .

«لقد سكت رجال العرب عن اليمن زمنا طويلا وتركوا الحكومة اليمنية تعبث بشعبها وتلعب بحياته وتخاطر بمصيره ، وهانحن ، الآن نراهم ولم يغيروا من خطة الامام شيئا ، ولم يستخدموا نفوذهم عنده في ايجاد اي ضرب من ضروب الاصلاح أو تخفيف اي شيء من الضغط على هذه الأمة المنكوبة بالرغم من ان انينها قد احدث دويا شديدا في القلوب والاسماع»(٨).

واستطاع الحزب ان يشن حملة دعائية لمبادئه ومطالبة في المدن والقرى حتى تمكن من التأثير على بعض المشايخ والاعيان الذين تعاطفوا مع المطالب ولكنهم لم يستطيعوا اعلان ذلك صراحة فظل تعاطفا شكليا لاقيمة له ، غير ان هذا التعاطف قد ساعد الى حد ما على تشجيع الشبان للخروج من عزلتهم والجهر بأرائهم في المساجد والمحافل العامة فكانوا يحضرون يوم الجمعة الى المسجد الذي يصلي فيه الأمام يحيى وبعد انتهاء الصلاة يتناوبون الخطابة فيما بينهم وينتقدون أوضاع البلاد الفاسدة ويطالبون بالاصلاحات علنا وفي حضرة الامام نفسه وعلى مسمع منه من غير خوف أو تحفظ.

وكان الامام يحيى يتضايق كثيرا من جرأة الشبان غير المعهودة وبدأ يشعر ان مكانته ستتعرض للاهتزاز عند العامة مالم يضع حدا لجرأة الشبان الذين يجهرون بمطالبهم . وينادون صراحة بتحقيقها.

لم يستطيع الامام يحيى ان يوقف حماس الشباب ، ولايقدر على منعهم من الخطابة في المساجد والمحافل العامة ، لعدم وجود دليل لديه يقنع به العامة ليكون مبررا لتصرفه ، خاصة انه كان يتظاهر أمام الناس بأنه انسان سموح وصبور يتقبل النقد والتوجيهات من غير غضب أو تضجر ولكنه كان في الوقت نفسه يبيت لهم اشياء خطيرة.

لقد امر جماعة من علماء الدين المقربين اليه بدراسة مطالب الشبان واتخاذ قرارات بشأنها ، واوعز لهم بأن هذه المطالب تتعارض مع الشريعة الاسلامية والدين الاسلامي الحنيف لانها تؤدي الى زعزعة النظام وتقود الى الفوضى والاخلال بالاستقرار ، واوحى لهم بأنها تمهد لدخول الاستعمار الى البلاد وتعرض الاستقلال الوطني للخطر وكاد علماء الدين أن يوافقوه لولا الخلافات التي نشبت بينهم حول بعض الاراء والمطالب التي جاءت في برمج الاصلاح ، فاختلفوا في الموقف الذي يتخذوه ولم يصلوا الى نتيجة لان المطالب كانت منطقية يصعب عليهم دحظها غير ان الامام يحيى ضاق ذرعا من جرأة الشبان عليه وأمر باعتقالهم ونفيهم الى الأهنوم ووضعهم في المعتقل في عام ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م.

ولجأ الاماء يحيى واعوانه ورجال حاشيته الى اسلوب حقير في مواجهة هذه المطالب ، فأتهم الشبان بالمروق والخروج عن الدين واختصار القرآن ، وهي تهم كفيلة بتأليب الناس ضدهم لغرض التنكيل بهم ومضايقتهم وايقاف نشاطهم ، وقد نجح الى حد ما في هذا الاسلوب وحقق نوعا من العزلة بين الشبان المتنورين وعامة الشعب لاضعاف تأثيرهم في الناس.

وادرك الشبان المتنورون خطورة هذا الاسلوب الحقير الذي اتبعه الامام يحيى واعوانه على دعوتهم فلجأوا الى تغيير تكتيكاتهم وتخلوا عن تسمية تجمعهم السابق المعروف بحزب الأحرار اليمنيين ، واطلقوا على انفسهم اسم (شباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٣ - هيئة شباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م

بعد ان ادرك الشباب المتنورون خطورة اساليب ، السلطة في تأليب الناس ضدهم واتهامهم بشتى التهم التي تستهدف اضعاف تأثيرهم في الناس ، اجتمعوا في صنعاء عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) وسلكوا هيئة شعبية من بينهم ، اطلقوا عليها اسم (هيئة شباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) منطلقين في ذلك من ايمانهم بأن الله سبحانه وتعالى قد دعاء الى الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر ، وحث المسلمين على ذلك بقوله : **«ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون»** . **وقوله على لسان لقمان الحكيم** : **«يابني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر»**(١٠) ، وغير ذلك من الآيات القرآنية البينات تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان الشاعر محمد محمود الزبيري(*) قد عاد الى صنعاء في عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) بعد ان انهى دراسته في القاهرة ، وعندما عاد الى اليمن كان يحمل املا في التغيير واصلاح الأوضاع الفاسدة لكنه اصطدم بالواقع السيء ، فحاول ان يجهر بالدعوة للاصلاح . فنصح بالسكوت ومدارة السلطة طلبا للسلامة.

وكان الزبيري في القاهرة قد شعر بالفارق الكبير بين بلاده المتخلفه وبين غيرها من البلدان الأخرى ، واحس ان بلاده في ظلام حالك وشعبه في جهل مطبق ومجتمعه في تخلف رهيب فتولد عنده الشعور بالثورة وضرورة التغيير مهما كانت قساوة الظروف ، ومهما واجهة من متاعب ، فرفض السكوت على الباطل وآثر الجهر بالحق واتخذ من الصراحة في فضح الأوضاع وكشف الفساد سبيلا.

اجتمع الزبيري بعدد من الشبان المتنورين وتدارسوا معا أوضاع البلاد ، فهالهم مارأوا من فساد منتفحل في انحاء البلاد ، وجهل مخيم على عقول الناس ، وخرافات مسيطرة على عقائدهم ، وأحسوا بأهمية الدعوة للاصلاح رغم كل المعوقات التي كانت سلطة الامام تضعها امامهم لعرقلة مساعيهم الاصلاحية ولخلق اليأس عندهم . وفي هذا الخصوص يحدثنا الزبيري بقوله .

«.. حتى لكأننا في ليل مستمر ، وحتى لكأننا اليأس يدخل الى قلوبنا اوحتى كدنا نرتاب في اقبال بلج الصبح لولا ان لذنا بكتاب الله ، فما اسرع ما انفتحت ابواب الأمل في نفوسنا عندما قرأنا قوله تعالى : «قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامه ، من اله غير الله يأتيكم بضياء» . يأتينا

ويضيف الزبيري قائلا :

ورجعنا نسأل انفسنا : **من إله غير الله يأتينا بضياء ؟ لا ليس هناك اله غير الله يأتينا بضياء ، إذن فلنضع ايدينا على هذا الشعاع القرآني لتكون لنا صلة مقدسة بنور السماوات والأرض ، ومن عمى قلبه عن ذلك فما له من نور ، واهم ما لفت انظارنا واثار حزننا هو اننا غافلون عن اهم اساس من أسس الاسلام ، واعظم وسيلة من وسائل النشاط والتقدم، ذلك هو واجب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» الذي هو المصدر الأكبر للتعاليم الاسلامية وهو السلاح المرهف لحماية الأخلاق والآداب ، وهو الألة الوحيدة المسيرة لرسالات الرسل ونبوات الأنبياء»**(١١).

ومن هذا المنطلق الفكري والعقائدي جاءت تسمية هذا التجمع الشبابي المتنور ، فقد اطلقوا على انفسهم اسم «شباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ، مستمر شديد بتعاليم الاسلام التي أوجبت على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بحيث لاتستطيع السلطة المساس بهم لأنهم يؤدون رسالة مقدسة أوجبها الاسلام . وقد اعتبروا أن العلوم والمعارف التي تلقوها لاتجدي نفعا مالم يرافقها عمل وتطبيق.

(*) محمد محمود الزبيري : من مواليد صنعاء عام (١٩١٩م) نشأ فيها يتيما يطلب العلم محبا للشعر مغرما بالقراءة ، سافر عام ١٩٣٩م الى مصر للدراسة وظل بها حتى عام ١٩٤١م وفيها ساهم في تأسيس أول جمعية للطلبة العرب والتقى بالأدباء والمفكرين واطلع على ابداعاتهم وحفظ كثيرا من القصائد لبعض الشعراء . فتفتحت عيناه على الثقافة الواسعة وتشبع بالافكار القومية عاد الى اليمن عام ١٩٤١م . وشارك في حركة المعارضة ضد حكم آل حميد الدين في مراحلها المختلفة حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م. ..وتولى بعدها عددا من المناصب القيادية حتى استشهد في اول ابريل ١٩٦٥م له عدد من الاعمال الابداعية.

وفي هذا الخصوص اكدت ديباجة برنامج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضرورة اقتران القول بالعمل ، وتسخر المعارف المكتسبة في صالح المجتمع ونفع الأمة عن طريق توجيه الناس وإرشادهم الى مافيه الخير ومقاومة الظلم والظالمين وكشف اساليب الاستبداد والتي يمارسها الطغاة .

« ولقد جاء في ديباجة البرنامج :

ان هذه المؤلفات التي نعكف على قراءتها لن تبدي شيئا مالم تكن من ورائها جهود متواصلة للوعظ والارشاد ، ومالم نطبقها تطبيقا عمليا ، ونبثها نورا للعالمين ، وهانحن جماعة من طلبة العلم قد قطعنا انفسنا عن كل ماهو بعيد عن نور القرآن الكريم والسنة النبوية ووضعنا شبابنا ، ، واموالنا وحياتنا في يد الله يصنع بها مايشاء ، ويوجهها حيث يريد . وقد رأينا اقرب القربى واقدس الواجبات عندالله هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلذلك عملنا به الى الله ووطنا عزائمنا مستعينين بالله والصقنا بأنفسنا تسمية لم نرقها زينة لنا ولكن ذلك عهدا غليظا قطعناه على انفسنا وعبئا كبيرا وهبناله حياتنا ، وخصصنا له جهودنا وبذلنا له اخلاصنا ، وذلك الأسم أو ذلك العهد هو (شباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١٢) .

وقد لجأ الشباب الى الدين الحنيف كوسيلة وحيدة تتيح لهم الجهر بمبادئهم والتصريح بمكنونات نفسهم ، فجعلوا من منابر المساجد مواضع للتوعية والتوجيه ، واتصلوا بالعلماء وخطباء المساجد يناشدونهم الجهر بالحق ومصارحة السلطة بعيوبها ، حتى استطاعوا أن يوجدوا نوعا من التعاون بينهم وبين بعض علماء الدين الشرفاء ، وكانوا يريدون ان ينشؤ وا جيلا جديدا تتجلى فيه الروح الاسلامية الصحيحة . . وايقاظ الناس من الغفلة التي هم فيها .

لقد دعوا في برنامجهم الى إحياء الأدب العربي للوقوف على اسرار القرآن ومراميه وتذوقه ، ودعوا الى محاربة اللهجة العامية وايثار الفصحى في الحديث والكتابة ، ودعوا الشباب الى العزوف عن اللهو وتضييع أوقاتهم في غير المفيد من الاعمال وطالبوهم التحلي بالاخلاق الكريمة ، وحثوا الناس على الاعتزاز بأنفسهم وكرامتهم ومحاربة اليأس في نفوسهم ، والتزموا الدعوة الى الاصلاح وتوجيه الأمة وتعليم الناس وتعهدوا بالقاء المحاضرات الدينية والاجتماعية والفكرية . . وغيرها ، والسعي لدى السلطات الحاكمة لحثها على بناء المدارس وإرسال البعثات الى الخارج لدراسة مختلف أنواع العلوم الحديثة ، وألتزموا بتشجيع اعمال البر والخير والاحسان ، وتعاهدوا على تنظيمها بما يكفل مساعدة الفقراء والبائسين ، وجعلوا من بينهم جماعات لاصلاح ذات البين بين المتخاصمين وحل المنازعات بين افراد المجتمع . واحلال المحبة والمودة بدل الشقاق والنزاع وطالبوا بتعزيز وتقوية روابط المحبة والاخاء بين افراد المجتمع ، ونادوا بالانفتاح على المجتمعات الأخرى ، ودعوا الى تنظيم الجيش بما يحقق قوة البلاد وعزتها ومكانتها ، وسعوا لايجاد تعاون بين التجار بما يحقق إقامة مشاريع وطنية اقتصادية واجتماعية . . وغيرها وحثوا الشباب على تعلم . . الاساليب الحديثة في الاقتصاد والتجارة ، وطالبوا بتعبيد الطرقات لكي تتصل الأمة بعضها ببعض ، ونادوا بتقديم العون والمساعدة للمنكوبين في الكوارث الطبيعية المفاجئة ، وطالبوا بانشاء شعب للتربية البدنية لتقوية اجسام الشباب ، ودعوا للتحرر من الأمية والخروج من دائرة التخلف وانتشر الشباب بعد ذلك في المساجد والمحافل العامة لوعظ الناس وارشادهم سواء في القرى أو في المدن لتوضيح مبادئهم واهدافهم ، وحاولوا جاهدين نشر الوعي في صفوف المجتمع .

وحتي يستطيع الشباب النفاذ الى عقول الناس ، والتأثير فيهم الزموا انفسهم بالتثقيف الذاتي لتطوير قدراتهم ومداركهم الفكرية فأقبلوا على قراءة الكتب بنهم ، ونظموا حلقات المناقشة والحوار فيما بينهم ، وكانوا يناقشون الكتب التي يقرأونها ويتحاورون حول كثير من القضايا . . التي تهم المجتمع ، والبحث عن الوسائل التي من شأنها خلق روح التفاؤ ل في الناس وإزالة كل انواع الركود والجمود الذي اصابهم ومحاربة الأوهام والخرافات التي سيطرت على عقولهم .

وكان من وسائلهم التي اتبعوها الاتصال بوزير المعارف والتفاهم معه ومطالبته الاهتمام بالتعليم وفتح المدارس وارسال البعثات الدراسية الى الخارج والاهتمام والرعاية للبعثات الموجودة كما سعوا لدى التجار وذوي اليسار من الناس واقناعهم بإرسال ابنائهم الى الخارج للدراسة ليعودوا بعدها الى وطنهم مواطنين صالحين.

لقد كان الرعيل الأول من الشباب اليمني يتقد مشعله بالحماس الوطني ويعي جيدا الظروف المحيطة به ، ويستوعب مشكلات بلاده وهموم المواطنين ، ويعمل جاهدا من اجل ايجاد مخارج وحلول لتلك المشكلات المتعددة غير انه اصطدم بالحكم المتخلف الذي حال دون تحقيق ماكانوا يصبون إليه . . ومايسعون لتحقيقة.

وعلى الرغم من حذرهم الشديد ويقظتهم الدائمة في كل خطوة كانوا يخطونها الا أنهم تعرضوا لكل انواع الملاحقة والمطاردة وشتى الوان الاضطهاد من قبل زبانية الامام ، ولكنهم لم يستسلموا لانهم قد تعاهدوا على السير قدما نحو الاصلاح ، وألتزموا بمواصلة نشر الوعي والثقافة بين صفوف المواطنين ، وهذا ما أكدته احدى فقرات برنامجهم.

«لزاما علينا ان نواصل اعمالنا بالخطابة والكتابة وبث الارشاد مرات ومرات لتقبلها القلوب وتستسيغها الأذهان لكي يسير الاصلاح منتظما مقبولا رشيدا مجديا»(١٣).

وقد قاسى الشباب من جراء ذلك اقسى انواع الاضطهاد واشد انواع العنف والمطاردة لقد تعقبتهم السلطة تعقب الاشخاص المفسدين ولم يجدوا طعم الراحة الا بعد ان اسكتوا وكتبوا أراءهم فقد منعتهم السلطة من الخطابة في المساجد وفي المحافل العامة وحظرت عليهم الاتصال بالناس في اماكن تجمعهم.

لقد ادى كبت الحريات الفكرية واضطهاد المفكرين ومطاردة الشبان المتنورين ورجال الدين المصلحين الى ظهور طائفة من الناس منغلقة على نفسها تحرم كل جديد وتمنع كل مامن شأنه توعية الناس وتبديد ظلام جهالتهم ، . فازدادت اليمن انغلاقا على نفسها ، وشددت عليها العزلة حتى لاتتأثر بما حولها ، فكانت الصحف ممنوعة والمجلات لايسمح بتداولها والكتب الحديثه والقصص يكفر قارؤها.

وفي ظل تلك الظروف العصيبة ، وازاء ذلك الواقع المرير وجد المثقفون اليمنيون انفسهم في ظروف غير طبيعية ، ورأوا ان مهمتهم شاقة لأنهم يتعرضون للملاحقة في كل مكان.

فلم يكن امامهم من سبيل سوى اللجوء الى عدن (المستعمرة حينذاك) لعلهم يجدون فيها متنفسا يستطيعون ان يعبروا عما في انفسهم ، او انهم يحتمون بولي العهد الامير احمد أمير تعز حينذاك ، او يلجؤون الى اسلوب النضال الصامت الذي لايعرضهم لأية مضايقة من قبل الامام يحيى وزبانيته.

٤ ـ ندوات مجالس الأمير أحمد حميد الدين الثقافية في تعز:

وكان الأمير احمد بن يحيى حميد الدين أمير تعز حينذاك يطمح الى تعزيز موقفه والى من يدعم ولايته للعهد امام منافسة بقية اخواته ، فاستدعي الى تعز ـ مقر اقامته ـ عددا من الادباء والشعراء والمثقفين والعلماء ، وفتح لهم قصره وصار يطارحهم الشعر والادب ويناقشهم في مسائل الفقه والحديث والتفسير واللغة ونحو ذلك ، وخصوصا ان الامير احمد . «كان يمتلك قدرة على النقد والملاحظة وابداء الرأي» . .

١٤ـ فيما كان يسمع او يقرأ الى جانب قدرته على نظم الشعر كما كان ايضا «يطرب للثناء ويفكه للطرفة او النكتة» . . (١٥) . ولانه كذلك فقد كان مقامه «قبلة للقصاد من سائر إصقاع اليمن ، وكان متنفسا للأدباء والعلماء»(١٦) . فالتقى في مجلسه بتعز عدد من الأدباء والشعراء والمفكرين

وعلماء الدين من امثال الزبيري والشامي والموشكي ومطيع دماج وقاسم ابو رأس وحسين الويسي والعزب والارياني والنعمان ومحمد علي عثمان . . وغيرهم (١٧).

لقد كان الأدباء والمفكرون وعلماء الدين يناقشون في مجلس الأمير احمد القضايا اليمنية المختلفة من ثقافية وادبية وفكرية ودينية واجتماعية واقتصادية وربما السياسية ايضا ، وكان يتفاعل مع النقاشات وينشرح صدره لمايسمع ، مما خلق لدى بعضهم شعورا بالارتياح من اهتمامه بما يدور في مجلسه من حوارات ومناقشات جادة ، وإظهاره التفاعل مع مايطرح من افكار ، على عكس ابيه الذي كان يتبرم من كل رأي سديد ، ويضيق من كل فكرة جديدة. وشعر المثقفون حينذاك ان خلاص البلاد مما كانت تعانية من جهل وتخلف وعزلة ومرض سيكون على يديه ، خاصة انه كان يبدي تفهمه لكل مايقال ، ويعطي وعودا بتغيير الاوضاع الى الأحسن عندما تصير الأمور بيديه أو تنتقل السلطة اليه . واغدق عليه الأدباء بقصائد المديح وكلمات االاطراء ، وبالغوا بالثناء له ، وقدموا لهم عصارة افكارهم ومنحوه صدقهم واخلاصهم على امل أن يكون هو المنقذ من الضلال والهادي الى سواء الرشاد .

ولكن سرعان ماانقلبت الأمور فتحول الرجاء الى ذعر والأمل الى خوف حينما كشفت الأيام خداع الأمير احمد ومناوراته ، وانه مافتح ابواب قصره للمثقفين الا ليتربص بهم والتنكيل بمن يشعر بخطورته وجراءته في نقد الاوضاع الفاسدة التي خلقها نظام ابيه وقدرته على التأثير بالأخرين .

وفوجيء المثقفون ان من كانوا يأملون فيه الخير للوطن قد تحول الى وحش كاسر يهدد ويتوعد ويكرر قولته المشهورة «أسأل الله إلا أموت الا وقد خضبت سيفي هذا بدماء العصريين»(١٨) فما كان من المثقفين الا الفرار الى عدن للانظمام الى من سبقهم . . من الهاربين من جور وتعسف النظام الامامي .

وفي هذه الاثناء كانت هناك فئة اخرى من الشباب تعمل بصمت في اماكن اخرى وتشكل تجمعات سرية لتواصل الدعوة من اجل الاصلاح . . مثل جمعية الاصلاح بإب وغيرها .

جمعية الاصلاح في إب
١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م

ادرك بعض المثقفين اليمنيين وبعض رجال الدين المصلحين مناورات الامير احمد بن يحيى حميد الدين (ولي العهد) ولم يصدقوا وعوده التي كان يعد بها جماعة المثقفين الذين التفوا حوله وترددوا على مجلسه في تعز بعد ان يئسوا من تغيير عقلية ابيه ودفعه نحو اصلاح اوضاع البلاد الفاسده ، في الوقت الذي كانت تسوءهم تصرفات الامير الحسن امير لواء إب التي اتسمت بالعنف والقسوة والظلم - فايقنوا ان لا خلاص للبلاد مما تعانيه الا بالاصلاح الجذري الشامل ، فاجتمعوا في «إب» عام ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م وشكلوا تجمعا شبابيا جديدا اطلقوا عليه تسمية (جمعية الاصلاح) بقيادة القاضي محمد بن علي الاكوع وغيره من المثقفين امثال القاضي عبدالرحمن الارياني والقاضي عبدالكريم العنسي ومحمد احمد صبره وعبدالرحمن بن محمد باسلامة ، ثم انضم اليهم عدد من المشايخ من امثال الشيخ حسن الدعيس والشيخ حسن بن محمد البعداني والنقيب عبداللطيف بن قائد والشيخ محمد منصور الصنعاني وغيرهم وبعد مداولات ومناقشات حول اوضاع البلاد المتردية اصدروا بيانا يتضمن برنامجا للاصلاح ارسلوه الى رفاقهم في عدن ممن كانوا قد فروا اليها من امثال القاضي محمد محمود الزبيري واحمد محمد نعمان وفي عدن اعاد الزبيري وبعض رفاقه صياغة البرنامج ووسعوا فيه ثم طبعوه وارسلوا نسخا منه الى القاضي الاكوع رئيس الجمعية في إب . . «١٩» لقد دعا برنامج الاصلاح الى الخلاص من اسرة آل حميد الدين وتشكيل

حكومة انتقالية وجمعية تأسيسية تقوم بوضع دستور للبلاد ثم يعرض هذا الدستور على البرلمان الذي تنتخبه الحكومة الانتقالية بعد اقرار الدستور «٢٠» وقد تضمن البرنامج عددا من المطالب الشعبية الملحة واقترح ميثاقا وطنيا وقضايا اخرى . .

وقد جاء في ديباجة هذا البرنامج ما يلي :-

«لايدرك الشعب اليمني ادراكا قويا ما جره عليه الحكم الفردي المذهبي المطلق من ويلات ونكبات وتأخر وقد ضاق الشعب اليمني بهذه الحالة وعظمت مصائبه وانتشر المرض والفقر والجهل والظلم والرشوة والفساد وتعقدت الامور واستفحلت المشكلات وهاجرت مئات الالوف الى الخارج فرارا من سوء الحال وتدهورت سمعة الدولة اليمنية واختل نظام الادارة وتسلط على رقاب الناس الاوغاد السفهاء والجهلة وقطعت رؤوس صفوة الشباب والضباط والمشائخ والعلماء بدون حكم شرعي ولجأت مجموعات عديدة من الجيش الى الخارج واقفرت المدن والقرى وصار الناس في رعب من السلب وسفك الدماء والفتن العمياء . .

واضافت الديباجة قائلة :-

(ان اليمن اصبحت وكأنها شعب بلا حكومة ، وغنم بلا راع ، كل ذلك لان الحاكمين قد تسلطوا على الناس وحكموا البلاد باهوائهم فلم يكن هناك دستور وقانون او ميثاق محدد يقوم الحكم على اساسه :-

ولما كان برنامج الاصلاح قد دعا الى تشكيل حكومة انتقالية فقد وضع لها عددا من المهمات العاجلة مثل :-

١- الحرص على استقلال اليمن وحريته ووحدته مع تطهير اليمن من الظلم والرشوة والاختلاس والفساد وتنظيم الجيش وتحسين احواله في مطعمه ومسكنه وملبسه وسلاحه ليكون في غنى عن التنافيذ قادرا على القيام بمهمته الوطنية كحارس امين للبلاد مع تحسين حالة الموظفين حتى لا يلجأوا الى الرشوة . .

٢ - الغاء الخطاط والتنافيذ والتخمين * وجعل الزكاة امانة والغاء البقايا والاحتكار واطلاق حرية التجار واعلان تحريم قطع الرؤوس والسجن الا بحكم من محكمة خاصة واطلاق المسجونين السياسيين والرهائن . . **

وقد الزم برنامج الاصلاح الحكومة الانتقالية ان تتقدم بمشروعات قوانين الى الجمعية التأسيسية لتنظيم شئون البلاد العامة وانشاء مجالس اقليمية وبلدية وقروية في الالوية والمدن والقرى لتمارس كافة الشئون المحلية على اساس النظام اللامركزي حتى تتفرغ الحكومة والجمعية التأسيسية لادارة الشئون العليا للدولة والقيام بالمشروعات القومية . .

واقترح البرنامج ايضا ميثاقا وطنيا للمرحلة الانتقالية يحتوي على تسع وعشرين مادة . .

وابرز بنود الميثاق انه يعتبر اليمن جزءا من الوطن العربي الكبير والشعب اليمني جزءا من الامة العربية وان لكل فرد يمني التمتع بكافة الحقوق الثابتة في الميثاق والتي هي :-

١ - الحق في الحياة والحرية والأمن والطمأنينة والسلام في شخصه واهله وماله ولا يجوز استبعاد اي شخص ولا تعذيبه ولا تعريضه لعقوبة قاسية او وحشية او مخلة بالكرامة . .

٢ - الحق في المساواة امام القضاء والحق في الحماية المتساوية من غير تمييز .

٣- الحق لكل شخص في ان يلجأ الى القضاء والانصاف من اعمال فيها اعتداء على حقوقه وكرامته

---

* التخمين : هو خروج موظف الحكومة المكلف مع عدد من الجنود لتقدير ثمن وتقدير قيمة الزكاة المقدرة عليها قبل جني المحصول . .

وعلى الفلاح استضافة المخمن وجنوده طوال فترة اقامتهم عنده . .

** الرهائن جمع رهينة وهو ان الامام يحيى كان يأخذ من كل شيخ قبيلة ابنا من ابنائه او احد اقاربه ليحتفظ به كرهينة ضمانا لاستمرار ولاء الشيخ له حتى لايتمرد عليه او يتحالف مع خصومه .

وعدم اتهامه او حبسه او القبض عليه الا في الاحوال التي يبينها القانون بعد اتخاذ الاجراءات القانونية . .

٤ ـ الحق لكل انسان ان يعرض قضيته للقضاء سواء كان ما يتعلق بحقوقه والتزاماته او الاتهامات الجنائية الموجهة اليه . .

كما اعطى الميثاق اليمنيين كافة حق التمتع بالحريات المختلفة الممنوحة بموجبه مثل حرية السكن وحرية التنقل واختيار محل الاقامة داخل البلاد وحرية الخروج من البلاد والعودة اليها وحرية النفي من الاراضي اليمنية . .

كما منح الميثاق اليمنيين كافة حق التمتع بالجنسية اليمنية وحق التملك بصورة فردية او جماعية . . واعطى الحق لكل فرد في ان يختار العمل الذي يناسبه ومنحه حرية الفكر والرأي واصدا الصحف وحرم رقابة الصحف او ايقافها او مصادرتها الا بموجب حكم قضائي والزم . . الحكومة الانتقالية اصدار تشريع خاص لتنظيم الصحف ورقابتها في اثناء الحرب . .

واعطى الميثاق اليمنيين الحق في عقد الاجتماعات والمظاهرات السلمية وتشكيل الجمعيات والنقابات والحق في حرية الاشتراك في الجمعيات وحق التعليم والزامية التعليم ومجانيته وحق العمل لكل مواطن والحق في ادارة البلاد مباشرة او بوساطة ممثلين والحق في تولي الوظائف العامة بحسب الكفاءة والجدارة والمؤهل العلمي . .

والزم الميثاق الحكومة الانتقالية اصدار تشريع يحدد الحد الادنى للاجور وتحديد ساعات العمل الرسمية ومنح العمال عطلا رسمية اسبوعية وسنوية باجور مدفوعة وضمان حالة المرض والشيخوخة واصابة العمل وحرية تشكيل الاتحادات العمالية . .

واعتبر الميثاق ان السلطة مصدرها الشعب ولا يحق لاي فرد او جماعة ان يأمروا او ينهوا الا اذا استمدوا السلطة من الشعب، ودعا الى الاخذ بمبدأ اللامركزية في السلطة وبرر ذلك بأن (اللامركزية كانت من الاسس التي اقام عليها الامام دعوته للشعب اليمني الى مقاومة الاتراك كان يعلن تعهده بأن يحكم اهل كل منطقة انفسهم بانفسهم غير ان الامام يحيى لم يكن جادا في الامر ، وانما كان يقصد ذلك كلون من الوان الدعاية لحكمه حتى اذا تمكن وتسلط وهدم ما كان قد بدأه الاتراك في اسس اللامركزية من البلاد . .

واوضح الميثاق ان الاخذ باللامركزية في اليمن جدير بالقضاء على الظلم والكراهية والنفور والاحقاد التي زرعتها السلطة المطلقة في نظام الحكم، والاخذ باللامركزية لنقل البلاد الى عهد تسوده الحرية والاخاء والمساواة والعدالة وتحقيق ماحالت عهود الاستبداد دون تحقيقه . .

وحدد الميثاق اسس النظام اللامركزي التي تقوم على اساس وجود مصالح محلية تتولاها هيئات محلية تحت اشراف الدولة المركزية . . ووضع خطوط عريضة للنظام اللامركزي يقوم على اساس ما يلي :ـ

١ ـ حكومة مركزية ومجلس الامة في العاصمة .

٢ ـ الحكومات المحلية، وتتمثل في هيئات اقليمية ينتخبها الشعب مثل :ـ

أ ـ مجلس اللواء ويتكون من ممثلين ينتخبهم سكان اللواء الذين لهم حق الانتخاب ويقوم مجلس اللواء بتعيين المجلس التنفيذي باللواء ويشرف المجلس على مختلف الشئون التي تهم الاقليم والداخلة في اختصاصاته .

ب ـ المجالس البلدية وتوجد في كل مدينة سواء كانت عاصمة اللواء او قضاء او مركز الناحية او عاصمة الدولة وينتخب اعضاء المجلس البلدي سكان المدينة الذين لهم حق الانتخاب وسلطات المجالس البلدية تقتصر على المدينة وما يلحق بها من ضواحي . .

ج ـ المجالس القروية وتتكون من مجلس القرية بالانتخاب ويكون لكل قرية او مجموعة قرى مجلس قروي ويمارس مجلس القرية اختصاصاته في حدود التشريع المنظم للحكومات المحلية . .

ومن عرضنا السابق لبرنامج جمعية الاصلاح في إب ندرك مدى التطور الفكري والثقافي الذي

وصل اليه شباب تلك الفترة ومدى ما وصل اليه من وعي سياسي وفهم للقضايا الوطنية . .
ونستطيع القول انه لولا الظروف الصعبة التي مروا بها والمعاناة القاسية التي عانوها من جراء الحكم الاستبدادي لكانوا قد وصلوا باليمن في وقت مبكر جدا الى صفوف الدول المتقدمة . . ولكن الظروف التي تكالبت عليهم من كل جانب قد حالت دون تمكينهم من مواصلة المسيرة في شمال الوطن . . فقد تعرضوا لعدد من المتاعب والقهر والاضطهاد والملاحقة والاعتقال . . الخ . . لانهم كانوا يطرحون آراء جريئة وافكارا واقعية سديدة من شأنها ان تنهض بالبلاد لو اتيح لها مجال التطبيق . .
ولما كانت الظروف لاتسمح للمثقفين في شمال الوطن بالحركة وطرح ارائهم بوضوح ولما كانت السلطات تلاحقهم اينما حلوا وحيثما ذهبوا وجدوا انفسهم مضطرين الى اللجوء الى عدن في جنوب الوطن حيث كانت الظروف اخف وطأة والحياة اقل قساوة والاجواء مهيأة للحركة السياسية التي تتيح لهم حرية الانطلاق لمواصلة مسيرة التثقيف والتوعية والعمل على تهيئة الجماهير للنضال من اجل اصلاح الاوضاع الفاسدة في عموم اليمن شمالا وجنوبا . . وبانتقال نخبة المثقفين من الشمال الى الجنوب خيم الظلام من جديد على الشمال وهمدت فيه الحياة وجمدت العقول وعاد الناس الى الاوهام والخرافات وتقديس الامامة ، غير ان انتقال المثقفين من شمال الوطن الى جنوبه قد اثر تأثيرا ايجابيا على مجريات الامور في جنوب الوطن وساعد على قيام حركة ثقافية نشيطة في عدن انعكس اثارها على الشمال ، كما سنوضح ذلك في الفصل القادم . .

٦ ـ شلة البريد الادبي

بعد انتقال خيرة المثقفين اليمنيين من شمال الوطن الى جنوبه هروبا من الظلم والاستبداد والملاحقة بقي عدد غير قليل منهم في عدد من المدن الرئيسية مثل صنعاء وتعز وإب والحديدة وغيرها . . ولكنهم ظلوا مغلوبين على امرهم مفروض عليهم السكوت والتغاضي عما يرونه او مصيرهم السجن والاعتقال والتشرد مثل رفاقهم الذين اعتقلوا او شردوا . .
وقد فرضت سلطة الامام يحيى على المثقفين نوعا من العزلة ومنعت اتصالهم ببعض . . وباعدت بين اماكن تواجدهم لتقلل من تأثيرهم وتضعف حركتهم ورغم ذلك لم تنقطع صلة المثقفين ببعضهم عن بعض الاتصالات الفكرية من خلال ما اطلقوا عليه (البريد الادبي) وهي مجلة ادبية خطية كانوا يتبادلونها فيما بينهم ويتناقلونها من مدينة الى اخرى من المدن اليمنية كالحديدة وصنعاء وتعز وذمار وكان من ابرز كتابها احمد محمد الشامي وابراهيم الحضراني واحمد المروني وعلي العنسي وعلي حمود الديلمي واحمد باسلامة وزيد الموشكي واحمد البراق . . وغيرهم (٢٢) وكانوا يطرحون فيها ارائهم وافكارهم في المواضيع المختلفة من ثقافية وادبية وفكرية وسياسية الى جانب انتاجهم في الشعر والنثر . .

وكان (البريد الادبي) همزة وصل بين المثقفين فقد ساعدت الى حد ما على ابقاء نوع من الصلات بينهم رغم محاولات السلطة التفريق بينهم وتشتيت اوصالهم وفي هذا الخصوص يحدثنا الاستاذ احمد الشامي قائلا : (كانت رسائل ابراهيم الحضراني الادبية ترد اسبوعيا واقرأها على الزملاء ثم نبعثها مع تعليقات لمن يعن له ان يعلق عليها الى ادباء ذمار ومنهم الاديبان الشاعران علي حمود الديلمي وعبدالله يحيى الديلمي الى الحديدة وما اجابوا به ابعثه الى ابراهيم الحضراني الى تعز حيث زيد الموشكي ويحيى منصور . . وغيرهم من الادباء والشعراء وهو بدوره يبعث الينا ما يبلغاه وسميناه (البريد الادبي) (٢٣) وكانت هناك مراسلات ايضا بين شلة البريد الادبي وبين زملائهم في عدن والمهجر تدور معظم موضوعاتها حول المعاناة المشتركة ومصير البلاد وقضايا

الشعب والوطن وغيرها من القضايا . .

ومن خلال تلك المراسلات المتبادلة بين المثقفين ظلت الحركة الثقافية تقاوم من يريد وأدها قبل ان تشب وتترعرع ويقوى عودها . . ومع ذلك ظل الجهل يخيم على الغالبية العظمى من ابناء الشعب اليمني، لان الحكام ارادوا له ذلك فقد كانوا بين الحين والاخر يبثون الاشاعات التي تعمق الجهل وتشيع الخرافة في المجتمع في مواجهة منطق العقل الذي تبناه المثقفون ومن ذلك مثلا ما اشاعه الامام يحيى وزبانيته حول اسطورة (ملك الجن) عام ١٩٤٠م وخلاصة هذه الاسطورة ان الامام يحيى عندما شعر بتبرم الناس وشكواهم من ظلم الحكام وفساد الحكم اجتمع بوزرائه ورجال حاشيته وقال لهم ان ملك الجن قد قتل وان حكومة الجن في حالة فوضى ، وعلى الناس ان يتحصنوا من شر الجن باستعمال القار او القطران في بيوتهم وابدانهم وحيواناتهم ليقوا انفسهم من خطر الجن . وشاع الخبر في انحاء المدينة صنعاء وسرعان ما انتقلت الاشاعة الى سائر المدن والقرى الاخرى وفي الحال اتجه الناس الى الاسواق لشراء القطران واخذوا يدهنون به ابدانهم وحيواناتهم ويطلون به ابواب بيوتهم ولم تمض عدة ايام حتى كان الناس في معظمهم قد دهنوا انفسهم وبيوتهم واطفالهم وحيواناتهم بالقطران . .

وبعد ذلك بايام اجتمع الامام يحيى برجال حاشيته ومعاونيه وقال هل يمكن لمثل هذا الشعب ان يثور على امامه . . (٢٤) . .

ان هذا دليلا واضحا على ان الامام يحيى لم يكن يريد للشعب اليمني ان يتحرر من قيود الجهل الذي تكبله ولا ان يتخلص من اوهام الاساطير التي تعيق تقدمه لانه كان يريد شعبا خاضعا لارادته ومشيئته مقدسا لشخصيته ، ولا غرابة ـ اذا ـ ان يطارد المثقفين ويفتك بالعلماء ويشرد خيرة شباب اليمن ممن كانوا مؤثرين على عقلية الشعب ودعاة تحريره . . ولولا ان المثقفين اليمنيين اتخذوا من عدن (المستعمرة يوم ذاك ملجأ لهم ومحطة لمواصلة مسيرتهم لكان الامام يحيى واعوانه قد اطفئوا نور الحق . . وقضوا على كل رأي مستنير وفكر متحرر وانهوا حياة كل معارض لحكمهم الفض . . او منتقد لسياستهم الاستبدادية الهوجاء . .

((هوامش الفصل الاول))

١ ـ محمد محمود الزبيري الامامة وخطرها على وحدة اليمن ص١٥
٢ ـ هاشم عبدالله (هـ. ع) جزيرة العرب تتهم حكامها ص ٣٥
٣ ـ رواية مشهورة يرددها كثير من المثقفين .
٤ ـ ابراهيم بن علي الوزير . . بين يدي المأساة ص ٧٢
٥ ـ عبدالله المجاهد الشماحي . اليمن الانسان والحضارة ص ١٨١
او (نشوء وتطور حركة المعارضة ضمن كتاب ثورة ٤٨٢ الميلاد والمسيرة والمؤثرات ص ٢٦-٢٧
٦ ـ برنامج حزب الاحرار اليمني بصنعاء الذي انعقد ١٣٥٧هـ
٧ ـ برنامج حزب الاحرار اليمني بصنعاء المادة ١٠ وفروعها
٨ ـ المرجع السابق ص ١٤٥
٩ ـ سورة آل عمران (١٠٤)
١٠ ـ سورة لقمان (١٧)
١١ ـ محمد محمود الزبيري . . ديباجة برنامج شباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
١٢ ـ ديباجة برنامج شباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
١٣ ـ برنامج شباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (الفقرة ٣٣)
١٤ ـ عبدالله بن محمد بن حامد السقاف . . البدر الساطع في تاريخ الامام احمد الناصر ص ١٦
١٥ ـ عبدالله المجاهد الشماحي ـ اليمن الانسان والحضارة ص ١٨٩

١٦ ـ احمد محمد الشامي . . رياح التغيير في اليمن ص ١١٨
١٧ ـ عبدالله المجاهد الشماحي ، مرجع سابق ص ١٩٠
١٨ ـ ١٩ ـ المرجع السابق ص ١٩٠
٢٠ ـ مطالب الشعب كتيب اصدره محمد محمود الزبيري واحمد محمد نعمان عام ١٩٥٦م
٢١ ـ برنامج الاصلاح (مطالب الشعب) فصل النظام اللامركزي . .
٢٢ ـ احمد محمد الشامي ، قصة الادب في اليمن ص ٢٨٤
٢٣ ـ احمد محمد الشامي رياح التغيير في اليمن ص ١٧٢
٢٤ ـ محمد بن احمد الذهباني أئمة اليمن ص ٧١

الفصل الثاني
ظهور الهيئات الاصلاحية في عدن واثرها في الحياة الثقافية

١ ـ تأسيس حزب الاحرار الدستوريين
٢ ـ تأسيس الجمعية اليمنية الكبرى
٣ ـ اثر الورتلاني في الحياة الثقافية اليمنية
٤ ـ تأسيس الاتحاد اليمني في عدن

لقد ادى كبت الحريات الفكرية في شمال الوطن الى ظهور طائفة من الناس تحرم كل جديد وتضطهد المفكرين المتنورين وتطارد رجال الدين المصلحين وتعتقل الشبان المتعلمين بدعم من السلطة الحاكمة التي كانت تمنع كل مامن شأنه توعية الناس وتبديد جهالتهم . .

وفي ظل ظروف الكبت والاضطهاد وجد المثقفون اليمنيون انفسهم يعملون في ظروف غير طبيعية وان مهمتهم شاقة ومسئوليتهم كبيرة فلم يكن امامهم من وسيلة سوى اللجوء الى عدن (المستعمرة حينذاك) لعلهم يجدون فيها مكنفا يتطلعون ان يعبروا عما في انفسهم . .

وفي ١٤ مايو عام ١٩٤٤م وصلت الى عدن اولى طلائع رجال الاصلاح الهاربين من ظلم الامام يحيى وحكومته الفاسدة وكان على رأس هذه الطلائع الشيخ مطيع دماج وعن يوم وصوله الى عدن يحدثنا الاستاذ محمد علي لقمان قائلا :ـ.

(كان الوقت ظهرا حين طرق هذا القادم الكريم باب بيتي في (حافة حسين) لم اسمع به من قبل ولم اكن اعرفه اولم يأتني بتوصية من احد اصدقائي . .

قال لي : انني اتيت لاقابلك

فقلت له : اهلا وسهلا ومرحبا .

كان يلبس سترة بيضاء قصيرة وازارا يمنيا قصيرا يصل الى ركبتيه ويحمل على رأسه مشدة اهل شمال اليمن وحذاء من الجلد الذي يلبسه البدوي عادة وكانت تبدو على سيمائه المغتضنة وعثاء السفر في الصحاري ولكنه كان شديد الحماس ، كثير الالم وكانت كلماته عنيفة . .

حزينة (نحن شعب مظلوم ، مالنا حق ومالنا حرية) قالها وهو يكاد يبكي ويتمزق من شدة الغيض والالم ، وبهرتني صراحة الشكوى) . .

ويضيف لقمان قائلا :

« لم اكن قد تعودت من ابناء اليمن مثل هذه الصراحة كان كثيرون يشكون من السادة الحاكمين وهم يلتفتون حواليهم ولسان حالهم (للجدران اذان) ويطلب منه لقمان ان يشرح نوع المظالم التي يشكو منها الشعب في الشمال فيجيبه مطيع دماج قائلا :

« ان العدل في اليمن ظلم ، ولهذا لايستطيع اليمني ان يميز بينهما فقد تعود الظلم الى درجة انه لم يعد ينتظر غيره . . صدقني ولا شك في قولي فما انا بخائن ولا انا ذو غرض دفين ، ولكنني ضقت بالحالة التي نعيشها كالسوائم » . .

وطلب منه لقمان ان يكتب ما يحس به من ضيم وظلم وآلام بخط يده تحت اسمه الصريح فكان ما طلب وظهرت له اول مقالة على صفحات (فتاة الجزيرة) تحت عنوان (امال الاصلاح في اليمن) ومما قاله في هذا المقال ما يلي :-

« لو وصلت الى اليمن لهرب ابناؤه خجلا من ان يروك فتقف على حالهم ومن جهة اخرى ما عليه المدارس والبلاد من التأخر المفجع فهذه مدارس لواء تعز الآن خالية عن تعليم كل علم نافع فلا يدرس فيها غير لفظ القرآن فقط ومن المعلمين من لايعرف من القرآن الا نصف جزء ولوجدت امة من الناس يساقون مسخرين في الاعمال الخاصة بالحكومة بلا اجرة تحت اشراف رجال اعوان الحكومة والجند بأجرة مفروضة على اولئك المسخرين ثم لوجدت الناس يشكون من سوء المعاملة المصادرة من خدمة الحكومة ما يندي له الجبين . . الخ) . . (٢)

واتبعه بمقال آخر بعنوان (اطلبوا العلم) قال فيه :- (ومعلوم انّ ما من امة الا وقد اخذت سهما وافرا من العلم وحظا عظيما منه فهذه الممالك الاسلامية مملوءة بالعلم والايمان عامرة بالعدل والاحسان ماعدا اليمن الخالي من سبب من اسباب الحياة فلا معارف ولاترقية الزراعات ولا صناعة ولا صحة ولا تجارة ولا شيء مما فيه النفع العام كسائر الشعوب) (٣) . .

وما ان ظهرت هذه التصريحات لمطيع دماج على صفحات (فتاة الجزيرة) حتى انبرى له بعض المقربين الى عرش الامام يحيى وحكومته يدافعون عن سلطة الامامة وينكرون تصريحات دماج فكانت تلك الردود هي اول النقاشات التي دارت حول حاضر اليمن ومستقبله ومصيره . .

وفي ٤ يونيو ١٩٤٤م وصل الى عدن الشيخ احمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري وكان لجوءهما في عدن الى الزاوية العلوية التي كان يرأسها الشيخ عبدالله علي الحكيمي ووصل بعدهما بقية الاحرار زرافات ووحدانا واستقروا في عدن واتخذوها مقرا لمواصلة دعواتهم الاصلاحية ومعارضتهم لسلطة الامام يحيى وانتقاد حكومته . .

وبدأت اجتماعاتهم في السر والتي كانوا يبحثون فيها عن وسائل للخلاص من سوء الحال واشباح الظلم والضرائب التي ارهقت كواهل المواطنين والتي لاتقوم على اسس علمية وبحثوا في الوسائل التي من شأنها ان تلغي الخطاط والتنافيذ وتقضي على الرشوة وتزيل الفساد وتصلح احوال البلاد . .

وبعد عدة اجتماعات استقر الرأي على ضرورة تنظيم انفسهم من جديد والاتصال باليمنيين في الداخل والخارج والعمل على جمع شملهم والتنسيق مع المواطنين في عدن على ضرورة التصدي لآل حميد الدين وعملائهم في عدن والسعي من اجل اصلاح الاوضاع في شمال الوطن بكل الوسائل . . .

● احمد محمد نعمان: ولد عام ١٩٠٤ في تربة ذبحان حجرية من اسرة ميسورة الحال اكمل دراسته في المدرسة الدينية في زبيد والتحق بعدها في الجامع الازهر في مصر وعاد في الثلاثينات الى اليمن وبدأ عمله كمدرس ثم اصبح شخصية معروفة لمعارضة سياسة الامامة [illegible] ودعا للاصلاح وتعرض من جراء ذلك لمطاردة السلطة ولجأ الى عدن واشترك في صياغة الميثاق الوطني المقدس وتدبير الانقلاب الذي اطاح بالامام يحيى عام ١٩٤٨م وتولى وزارة الزراعة في حكومة الانقلاب الفاشلة وتعرض بعدها للسجن والتشرد واستقر بعدها في القاهرة حتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حين عاد الى اليمن ليشارك في السلطة وتولى مناصب قيادية رفيعة في العهد الجمهوري . .

● محمد محمود الزبيري . . انظر ترجمته في الفصل الاول . .

تأسيس حزب الاحرار الدستوريين

لم يكن ممكنا في ظل عهد حكم الامام يحيى قيام اي حزب معارض للسلطة المطلقة ، رغم ظهور اصوات ترتفع هنا او هناك تطالب بالاصلاح غير ان تلك الاصوات اسكتت وتعرض اصحابها للاعتقال والتشرد او الاضطهاد . .

وعند انتقال عدد من المثقفين الى عدن هروبا من اضطهاد حكم آل حميد الدين وجدوا أن سلطة الامامة لازالت تلاحقهم وان عملاء الامام يحيى يتتبعون خطواتهم وحكومة عدن تضايقهم فادركوا ان الجهود الفردية لايقع فيها ولا بد من توحيد القوى التي تعارض سلطة الامام يحيى والاتفاق على برنامج مشترك يعمل الجميع للنضال من اجله . . وعقدوا اول مؤتمر شعبي في بيت بجبل التواهي وكان مؤتمرا سريا لان اعضاءه لم يكونوا قادرين على المجاهرة بالعمل خوفا من حكومة عدن التي اشترطت عليهم عدم الاشتغال بالسياسة . .

وبعد هذا الاجتماع السري خرج المجتمعون ببيان موجه الى الشعب اليمني موقع عليه من احمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري اعلنوا فيه تأسيس حزب الاحرار الدستوريين وهو امتداد لحزب الاحرار اليمني الذي تأسس في صنعاء عام ١٣٥٧هـ ١٩٣٨ بصورة سرية وقد نادوا في هذا البيان بقيام حكومة دستورية وتقليص حكم الفرد وتقييد سلطات الامام يحيى المطلقة وطالبوا باقامة نظام حكم وطني نيابي يكون الشعب هو مصدر السلطة فيه عن طريق نوابه ودعوا الى القضاء على الاستبداد بانواعه المختلفة واعطاء الحرية للشعب ليعبر عما يريد ونادوا بالنهوض الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للشعب والاهتمام بصحة المواطنين ودعوا ايضا الى الغاء التمايز الطبقي والاجتماعي وحملوا سلطة الامام يحيى مسئولية زرع الفرقة والشقاق بين ابناء الشعب اليمني الواحد ، ونادوا بالمساواة وتحقيق تكافؤ الفرص ومحاربة النزعات القبلية والطائفية وتعزيز الوحدة الوطنية والسعي الى تحقيق نوع من اللامركزية في نظام الحكم مما من شأنه تقوية الارتباط بين اجزاء الوطن وتدعيم وحدته الوطنية واستقلاله وبعد تأسيس (حزب الاحرار الدستوريين) في عدن تزايد نشاط جماعات المعارضة في عدن واتخذوها مقرا لهم لاهميتها باعتبارها قطعة يمنية محتلة لكنها ملجأ للهاربين من الاضطهاد في مملكة الامام يحيى . . حيث استطاعوا فيها ان يكتبوا او ينشروا اراءهم ويعبر وا عن معاناتهم بالخطب عادة او بالقصائد تارة اخرى . . فقد تمكنوا من الاتصال باليمنيين في داخل البلاد وخارجها والالتقاء بهم في المحافل العامة، فتأثر بهم اشخاص كثير ون مما احدث فزعا في قصر الامام يحيى فقد وصلت انباء تلك الاتصالات وما تحدثه من اثر في الناس الى مسامع الامام يحيى والى رجال حاشيته واعوانه فشعر بدنو اجله وقرب زوال حكمه واحس بأن سلطته المطلقة مهددة بالانهيار فاوحى الى ابنه احمد بأن يطلق تصريحات زائفة توحي بالرغبة في الاصلاح لغرض الحيلولة دون التفاف الناس حول حركة المعارضة وعزل مناداتهم عن الجماهير . . ولكن حركة المعارضة احبطت مجالات الامام الرامية الى عزلها عن الشعب واضعاف تأثيرها في الناس فاتسعت قاعدتها الشعبية في داخل اليمن وخارجها . . وكسبت تأييد الرأي العام العربي وتعاطفا مع رجال حاشية الامام يحيى نفسه فارتعدت فرائصه وشعر باهتزاز عرشه فارسل ابنه ولي العهد حينذاك ـ الامير احمد ، ارسله الى عدن لكي يتصل بزعماء المعارضة ويقنعهم بالكف عن معارضة نظامه او مهاجمته واعطاهم وعودا كاذبة بالاصلاح . .

وبالفعل وصل الامير احمد الى عدن في عام ١٩٤٦م وبذل محاولات يائسة لاقناع المعارضة بالكف عن مهاجمة نظام حكم ابيه ودعا زعماءها للعودة معه ووعدهم بتلبية مطالبهم في الاصلاح غير انهم لم يصدقوه واعتبر وا ذلك مناورة منه ، ورفضوا العودة معه واستمروا في معارضة الحكم الامامي فاصدروا الكتيبات والنشرات ووزعوا المنشورات والقوا امام الناس القصائد والخطابات التي تفضح مزاعم الحكام وتكشف انواع الفساد في نظام حكمهم حتى استطاعوا ان يؤثروا في بعض افراد الاسرة الحاكمة نفسها فانضم اليها الامير ابراهيم ابن الامام يحيى الذي اعلن فور وصوله الى عدن انضمامه الى حركة المعارضة لحكم ابيه واصدار عددا من البيانات التي نشرتها الصحف او وزعت على نطاق واسع . . وفيها ندد بنظام حكم ابيه وفضح كثيرا من الممارسات التي تمارس فيه . .

كما وجه نداءات الى زعماء العرب يطالبهم فيها التدخل لاقناع ابيه ليستجيب لمطالب المعارضة كما وجه نداءات الى والده مباشرة والى رجال حاشيته واعوانه يطالبهم فيها الاحتكام الى منطق العقل والرضوخ للمطالب الشعبية التي ترفعها المعارضة غير ان سلطان الامام يحيى زاده عتوا ونفورا . . وقد ساعد ذلك على تقوية شوكة المعارضة وعلو شأنها وزيادة نفوذها بين الجماهير واتساع نشاطها الدعائي اذ استطاعت ان توصل منشوراتها الى داخل قصور الامام والوزراء والامراء والحكام . .

فقد احدث هروب الامير ابراهيم ابن الامام يحيى هزة عنيفة في القصر الملكي وخارجه مما جعل الامام يصف ابنه بالهوس والجنون وعقوق الوالدين . .

وقد استفادت حركة المعارضة استفادة كبيرة من انضمام الامير ابراهيم اليها ولقبته (سيف الحق) وتحالفوا معه واسسوا معا (الجمعية اليمنية الكبرى) . .

تأسيس الجمعية اليمنية الكبرى

في يوم الجمعة ٥ صفر ١٣٦٥هـ الموافق ٤ يناير ١٩٤٦م تأسست في عدن الجمعية اليمنية الكبرى بهدف :-

١- دعوة اليمنيين الى الاخاء والتعاون والتضامن .

٢- الارشاد الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما .

٣- تثقيف اليمنيين في داخل الوطن وفي مهاجرهم في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية . . الخ

٥- الاتصال بالمنظمات العربية لطلب دعمها ومساندتها . .

وعقب تأسيس الجمعية اصدرت بيانا الى الشعب اليمني حددت فيه اهدافها ونظام سيرها . . اسمته (اهداف الجمعية اليمنية ونظام السير للمطالب الوطنية . طالبت فيه بجدد الاصلاحات في مجالات الحياة المختلفة وشرحت الوسائل الكفيلة بتحقيق تلك الاهداف . .

وبعد الاعلان عن تأسيس الجمعية اليمنية الكبرى وصدور بيانها ونشر برنامجها . . نزل اعضاءها المؤسسون الى صفوف العمال والتجار وسائر الشغيلة العاملين في عدن . . والتقوا بهم في اماكن تواجدهم ومواضع تجمعاتهم في النوادي والمجالس العامة ومبارز القات وفي محلات العمل وشرحوا لهم اهداف الجمعية ومبادئها . .

ونشطوا في جمع التبرعات لصالح الجمعية من العمال والتجار من الداخل والخارج فلقوا تجاوبا كبيرا من قبل افراد الشعب وبدأ العمل التثقيفي يتخذ شكلا منظما . . وصارت تمارس نشاطها بصورة فارتفعت الاصوات عاليا لتنادي بالاصلاح والتغيير وتخليص اليمن من الفساد وعبث الظالمين . .

وكانت (فتاة الجزيرة) تتلقى رسائل المواطنين من داخل مملكة الامام يحيى تشكوا كلها من المظالم وتطالب بازالة الظلم عنهم وتدعو الى الاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة وغيرها من القضايا التي يعاني منها المواطنون . .

وفي ظل تلك الاجواء المشحونة بالحماس الجماهيري ظهرت الى الوجود اول صحيفة للمعارضة اليمنية هي صحيفة (صوت اليمن) . . (٦)

واستجلبت من القاهرة مطبعة لطباعتها هي* (مطبعة النهضة اليمانية) التي كانت تطبع الى جانب صحيفة (صوت اليمن) معظم مطبوعات ومنشورات حركة المعارضة اليمنية ، وقد كان لصحيفة (صوت اليمن) عظيم الاثر في الجماهير اليمنية داخل اليمن وخارجها فقد تبنت قضيتهم وعبرت عن همومهم ومشكلاتهم . ووصل تأثيرها الى داخل مملكة الامام يحيى واستحوذت على اهتمام عدد من المثقفين وطلاب دار العلوم والكلية الحربية . .

ونشطت الجمعية اليمنية الكبرى نشاطا ملحوظا تمثلت بالمقالات الجريئة التي كانت تنشرها صحيفة (صوت اليمن) وغيرها من الصحف الصادرة في عدن وعلى الاخص (فتاة الجزيرة) وايضا في الخطابات الحماسية اللاهبة الذي كان يلقيها دعاة الاصلاح في المحافل العامة والمنتديات او من على منابر المساجد او في الساحات العامة في الاحتفالات الدينية المختلفة كما نشطت في نشر الكتب والكتيبات والنشرات والمنشورات التي كانت تباع او توزع على الناس في كل مكان وترسل بعضها الى الشمال . .

وكان لذلك النشاط الثقافي اثره العظيم في اوساط الناس ومصدر ازعاج للامام وحكومته حاصه ان من بين اعضاء المعارضة رجل من الاسرة الحاكمة يعرف كل اسرارها ويفضح خفايا ممارساتها فانتشر الخوف والذعر في قصور السلطة الحاكمة وعلت الاصوات في كل مكان تطالب بالاصلاح وازالة المفاسد بحيث لم يعد في وسع السلطة اسكاتها او تجاهلها فبدأت تخضع للضغوطات وتستجيب لبعض المطالب الشعبية . . فاستدعى الى صنعاء عدد من الخبراء العرب للمساعدة في الاصلاح كمحاولة من السلطة لاقناع الشعب واسكاته وايهامه انها جادة في التغيير فعلا وكان من هؤلاء الخبراء العرب الفضيل الورتلاني * الجزائري * وهو عالم دين . .

٣ ـ اثر الورتلاني في الحياة الثقافية اليمنية

في عام ١٩٤٦م ـ ١٣٦٦هـ قدم الى صنعاء الفضيل الورتلاني موفد من قبل الامام حسن البناء زعيم حركة الاخوان المسلمين في مصر كمحاولة لمساعدة الاخوان اليمنيين في اصلاح اوضاع بلادهم لكنه لم يستطع ان يعمل شيئا بسبب تحجر الامام يحيى وحكومته واعاقتهم لاي بادرة تستهدف الاصلاح ، فاضطر الورتلاني الى رفع تقرير الى الامام يحيى بتاريخ ٩ رجب سنة ١٣٦٦هـ ١٩٤٦م شرح فيها الاوضاع السيئة التي وصلت اليها اليمن في المجالات المختلفة وقدم مقترحات عملية لاصلاحها . .

وفيما يتعلق بالجانب الثقافي ـ موضع اهتمامنا فقد ركز التقرير على ضرورة الاهتمام بالعلم (العلم بكل شيء ، العلم اولا بديننا علما صحيحا ، والعلم بالزراعة والصناعة والتجارة والكون بجميع اجزاءه والعلم بكل شيء) (٧) . .

ومن الوسائل التي اقترحها الورتلاني لتطوير الثقافة . . ارسال البعثات الى البلاد العربية والاسلامية وجلب المدرسين منها الى اليمن . . واستئجار دار كبيرة في القاهرة لايواء الطلاب اليمنيين الموفدين للدراسة فيها وتقديم المساعدات لهم ومما قاله في هذا الخصوص :

«ما يمكن البدء به يا مولاي استئجار بيت كبير في القاهرة تسمى بيت اليمن، كما فعلت

الفضيل الورتلاني :-

ولد عام ١٩٠٨م في محافظة قسنطينة بالجزائر . . وتعلم في مدارسها الحكومية ومعاهدها الدينية ودخل جامع الزيتون ومكث فيه مدة من الزمن ثم انقطع الى صحبة شيخ النهضة العربية بالجزائر عبدالحميد باديس، فافاد منه علما وادبا ووطنية وجهادا . . ولما انظم الى جمعية العلماء سنة ١٩٣٠م ـ كان الاستاذ الورتلاني من انشط اعضائها وشابها واكثرهم دأبا على الدعوة وفي سبيلها تعرض منذ نعومة اظفاره لمقت المستعمرين .

وفي سنة ١٩٣٤م سار الى باريس مندوبا عن العلماء للاتصال بالجالية الجزائرية فنظم شئون الجالية وانشأ لها النوادي المتعددة حتى بلغ في باريس احدى عشر ناديا ألقى فيها الدروس والمحاضرات والخطب الملهبة للشعور وفي فرنسا الف جمعية الدعوة والتهذيب والجمعية الاسلامية الفرنسية واشترك في المؤتمر الدولي لمحاربة العنصرية ، طاردته الحكومة الفرنسية لنشاطه السياسي والفكري وفر الى سويسرا ومنها الى عدد من الدول الاوروبية الاخرى حتى وصل مصر وفي مصر قام بتعريف المصريين بقضية الجزائر وشمال افريقيا واسس سنة ١٩٤٢م لجنة الدفاع عن الجزائر وكان امين سرها ثم تشكلت جبهة الدفاع عن افريقيا سنة ١٩٤٢م وكان امين سرها ايضا، وفي القاهرة . . تعرف على الامام حسن البناء زعيم حركة الاخوان المسلمين الذي اوفدته فهاله اوضاع اليمن السيئة ، التقى باحرار اليمن وبث فيهم روح الثورة وضاعف من حماس قادة الاحرار واشعل نيران الثورة في نفوس الشباب والطلاب والضباط اليمنيين . .

وحول الاجواء في عدن وصنعاء وتعز الى صواعق تنقض على الامام يحيى . وكان من الذين شاركوا في صياغة الميثاق الوطني المقدس والذين خططوا لحركة ١٩٤٨ التي اطاحت بالامام يحيى . . وعين مستشارا عاما في التشكيل الوزاري الذي اعقب الحركة الانقلابية الفاشلة واعتقل مع الاحرار بعد فشل الانقلاب . .

حكومة المغرب وسوريا والحكومة السعودية فتبعثون باكبر عدد ممكن من خيرة ابنائكم يجتمعون فيها ويكون عليهم مراقب من خيرة من ترضونه جلالتكم دينا واخلاقا ومعه مشرفون على ادارتهم ويمكن توزيعهم على المعاهد المختلفة من زراعية وتجارية وميكانيكية وغزل ونسيج وغيرها» (٨) . .

كما قدم مقترحا باستغلال جهاز اللاسلكي الذي حصلت عليه الحكومة اليمنية من الجيش الامريكي على اثر زيارة قام بها الامير عبدالله وقدوم بعثة عسكرية امريكية الى اليمن عام ١٩٤٦م حملت معها جهازا لاسلكيا قوته خمسة كيلووات . .

ورغم ان المقترحات التي قدمها الورتلاني للامام يحيى كانت موضوعية وقابلة للتنفيذ غير ان الامام يحيى بدلا من ان يستجيب لها ويبحث في كيفية تنفيذها ازداد عتوا ونفورا فاعلن حربا لاهوادة فيها على كل بادرة تستهدف تغيير الواقع وظل مصرا على عزل اليمن عن كافة التيارات الفكرية المختلفة وابقائها بعيدة عن تأثيرات الحضارة الحديثة ، لانه كان يدرك ان الانفتاح على العالم ودخول الافكار الجديدة الى اليمن ستفتح بصائر الناس وان انتشار الثقافة ستشعر الشعب انه ما زال يعيش حياة القرون الوسطى وفي مستوى متدني عن حياة الشعوب الاخرى وتجعل الناس يحسون ان حكومتهم متأخرة عن الحكومات الاخرى فيطالبون بتغيير الاوضاع في بلادهم او يسعون لاسقاط الحكومة . .
ورغم المحاولات اليائسة التي بذلها الورتلاني لاقناع الامام يحيى بأهمية اصلاح اوضاع البلاد وتطور حياة المجتمع اليمني ، وازالة المظالم عن الناس وتحسين اساليب الحكم والقضاء . . الخ . . الا انه وجد عقلية الامام يحيى متحجرة ترفض كل جديد وقاوم كل تغيير فاتجه الى تعز للقاء بولي العهد الامير احمد لعله يجد فيه بادرة طيبة للتغيير . .
وفي تعز التقى الـورتلاني ببعض الشخصيات اليمنية واجتمع ببعض المثقفين الذين كانوا يترددون على مجلس ولي العهد احمد وكان يناقشهم ويناقشونه في كثير من القضايا اليمنية . .
وبأسلوبه المتميز استطاع ان يغير افكار كثير من الذين ناقشهم فقد كان يلقي الخطب المؤثرة في المساجد ويحاور العلماء في مجالسهم ويحاضر الطلاب والمدرسين في المدارس ويقيم الندوات والحفلات الثقافية التي كان يحضرها بعض الطلاب والمدرسين وبعض ضباط الجيش . . وكان الناس معجبين بدعوته الاصلاحية ذات النهج الاسلامي ومبهورين باسلوبه الخطابي المؤثر وطريقته المقنعة في المحاضرة والمحادثة والمحاورة فتأثر به بعض الناس وتحمسوا لمبادئه وافكاره وبلغ الحماس ذروته في صفوف الضباط والشباب فحاولوا ايقاف دعوته ومنعوه من اللقاء بالناس كما حاولوا طرده من اليمن ، لولا تدخل ولي العهد احمد الذي كان من المعجبين به وببلاغته وفصاحته لايذاء من قبل عملاء الامام يحيى ورجال حاشيته مما اضطره للجوء الى جماعة المعارضة في عدن .

وفي عدن التقى الورتلاني ببعض الشخصيات اليمنية من جماعة المعارضة لحكم الامام يحيى وكان حماسهم للتغيير قد وصل الى ذروته غير انهم بلا تنظيم ويفتقرون الى من يرسم لهم الطريق ويوجههم الى ما ينبغي عمله ، فوجدوا في شخص الفضيل الورتلاني بغيتهم وفي ذلك يحدثنا احمد محمد الشامي قائلا : ـ

«نعم : لقد كانت هناك معارضة في عدن ومناشدة بالاصلاح في الداخل وكان هناك نقد وتبرم ومنشورات ضد الدولة وكانت هناك طموحات وزعامات وتحفزات وكل ذلك يصلح ان يكون وقودا لثورة ما . . ولكن المعارضة كانت بلا تنظيم واتجاهات زعمائها مختلفة ومتباينة والمناشدون بالاصلاح ودعاة التغيير والتطوير لاتوحدهم رابطة النقد والتبرم غير موجهين توجيها سياسيا هادفا بناء والطموحات تتنافس فيما بينهم وكل متربص بالاخر وينتظرون موت الامام يحيى الذي

جاوز الثمانين اوكاد . . والزعامات العلمية والدينية والسياسية قد خدرها الوهن وجمدتها الاطماع والتحفزات الوطنية ليس لها زعماء اكفاء ذو مؤهلات قيادية فلما جاء الفضيل الورتلاني عمل مالم يعمله احد من اليمنيين فوحدت شتات المعارضة في الداخل والخارج وارشد المطالبين بالاصلاح والمناشدين بالتغيير والتطوير الى طريق العمل، وجمعهم في رابطة وطنية وقارب بينهم وبين ارباب الطموحات السياسية والزعامات العلمية والدينية والقبلية والتحفزات الاصلاحية من الناقدين والمقربين وصهر مجهوداتهم واهدافهم واتجاهاتهم واماهم وامانيهم في بوتقة «الميثاق الوطني المقدس» . . (٩)

لقد تمكن الورتلاني من تجميع قوى المعارضة التي كان الخلاف قد دب بين صفوفها سوى الخلافات التي نجمت بين قياداتها وخطط معهم لقيام حكم جديد يستند على الدستور ويرتكز على مبدأ الشورى ويستمد احكامه من الشريعة الاسلامية ويعطي للمواطنين حقوقهم ويمنحهم كرامتهم وينهض بالبلاد ويطور الاقتصاد الوطني . .

٤ ـ ظهور جمعية الشباب اليمني

لما احس الامام يحيى بخطر نشاط المعارضة وزيادة تأثيرها في الناس اوعز الى بعض عملائه في عدن بتشكيل جمعية موالية له لتكون في مواجهة حركة المعارضة بزعامة (الجمعية اليمنية الكبرى) والتصدي لاي نشاط معادي لحكومة الامام يحيى وقد تأست هذه الجمعية في عدن تحت اسم (جمعية الشباب اليمني) في يوم ١٧ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٧م واسندت لها مهمة الدعاية لنظام الحكم في الشمال وكسب الولاء والتأييد له والتصدي لخصومه واتخذت في ذلك وسائل عدة منها العمل في صفوف الشباب والطلاب والعمال النازحين الى عدن ومحاولة اغرائهم وكسب تأييدهم في حملتها المعادية للمعارضة في عدن والدعوة لتأييد الامام يحيى ودعم حكومته ولما كانت المهمة الاساسية لهذه الجمعية كسب الولاء والتأييد لجلالة الامام يحيى فقد نصت على ذلك صراحة في الفقرة الاولى من المادة الثانية من قانونها الاساسي التي تنص على واجب الطاعة والاخلاص والولاء لاولي الامر» . .

وبعد فشل الحركة الانقلابية التي اطاحت بالامام يحيى عام ١٩٤٨م ووصول الامام احمد بن يحيى حميد الدين الى السلطة على جماجم الشهداء الذين ذهبوا نتيجة قسوته ووحشيته في سفك الدماء تزايد نشاط جمعية الشباب اليمني، في عدن ووجدت في انتصار الامام احمد انتصارا لها، فقد لقيت الدعم والتأييد والمساندة من قبل الامام احمد وضاعفت من نشاطها المعادي لحركة المعارضة وتوجت ذلك باصدار صحيفة (سبأ) (١٠) التي وقفت منذ اعدادها الاولى مع الامام احمد فكانت تكيل له المدائح ولخصومه الشتائم فتبرر له قتل المعارضين متهمة اياهم بالخونة والمارقين وابدت التأييد لكل الاجراءات الانتقامية التي اتخذتها الامام ضد خصومه بعد اعتلائه للعرش . .

وكانت حركة المعارضة في عدن بزعامة (الجمعية اليمنية الكبرى) مدركة لاهداف (جمعية الشباب اليمني) فدخلت معها في مواجهة عنيفة وظهرت المقالات والبيانات والتصريحات من كلا الجانبين يهاجم كل منهما الاخر . . وتابع الناس ذلك فاقبلوا على قراءات الصحف والمنشورات والنشرات حول ما يقرأون ويسمعون ويرسلون ذلك الى الصحف مما كان له عظيم الاثر في الحياة الثقافية اليمنية . .

وقد انتقلت اصداء ذلك الصراع الى صنعاء وتعز وغيرها من المدن اليمنية وانعكست اثاره على نظام الحكم نفسه . .

فبعد ان كان الامام يحيى قد اعلن حربا على كل بادرة تستهدف تغيير الواقع وبعد ان كان

مصرا على عزل اليمن وابقائها بعيدة عن تأثير الحضارة الحديثة وجد نفسه مجبرا على اعطاء بعض التصريحات واجراء بعض التغييرات الطفيفة في جهاز الحكم وادخال بعض المشاريع البسيطة لغرض ايهام الناس بأنه يسعى لتطوير البلاد على عكس ما يصوره خصومه وفي هذه المشاريع البسيطة التي ادخلها مشروع انشاء محطة اذاعية في صنعاء . .

٥ ـ تأسيس الاتحاد اليمني في عدن

بعد فشل حركة ١٩٤٨م الانقلابية والتي ادت الى اغتيال الامام يحيى بن محمد حميد الدين وما اعقبها من احداث دامية في شمال الوطن تربع على العرش الامام احمد بن يحيى حميد الدين فوق جماجم من رؤوس البشر الذين اعدمهم ، وصار يسرح ويمرح في بركة من دماء الابرياء الذين قتلهم وعلق رؤوسهم على الاشجار ومداخل المدن ليرعب الناس ويخوفهم بالموت في كل لحظة بدون قانون يردعه ولا شريعة تحكمه معتمد على زبانيته واخوانه ورجال حاشيته في ارهاب الشعب بقسوة ووحشية في الداخل والمطاردة والملاحقة في الخارج . .

ولما كان الامام احمد بعد اعتلائه العرش قد طلب من سلطات الاستعمار البريطاني في عدن ايقاف اي نشاط سياسي معادية له ولحكومته فاستجابت حكومة عدن لذلك ومنعت حركة المعارضة من الاستمرار في مزاولة نشاطها السياسي المعارضة من الاستمرار في مزاولة نشاطها السياسي المعارض للامام وامرت باغلاق مكاتب (الجمعية اليمنية الكبرى) وسفرت قيادتها وطردت من المستعمرة كل شخص يمارس نشاطا سياسيا معاديا للامام احمد او يعلن معارضته لحكومته وامرت بايقاف صحيفة (صوت اليمن) وبقية اليمن في عهد الامام احمد كما كانت عليه في عهد ابيه الامام يحيى من غير ان يدخل عليها اي تطور فركدت فيها الحياة وجمدت فيها الثقافة فلا مدارس ولا مستشفيات ولا اذاعة ولا صحافة حرة ولا دور للسينما ولا مسرح ولا مطابع ولا اي شيء يمكن بواسطته توعية الشعب وتثقيفه . .

وفي ظل هذه الظروف العصيبة لم يكن من اليسير استئناف الصراع مع الامام احمد وحكومته بالاسلوب الذي اتبعته حركة المعارضة قبل فشل حركة ١٩٤٨م فلجأت المعارضة الى اسلوب جديد في العمل اسلوب يعتمد على التوعية والتثقيف والتوجيه المعنوي للشعب الذي فقد الامل في تغيير اوضاع بلاده نحو الافضل بعد فشل حركة ١٩٤٨م . .

وفي هذه الاثناء ظهرت الى الوجود صحيفة (السلام) من بريطانيا لصاحبها الشيخ عبدالله علي الحكيمي * . .

ثم جاءت صحيفة (الفضول) لصاحبها عبدالله عبدالوهاب نعمان * لتعبر بصورة غير مباشرة عن حركة المعارضة المقهورة . .

* عبدالله علي الحكيمي :-
من مواليد ١٨٩٥م في بلدة الاحكوم من قضاء الحجرية بلاد الاشاعر لواء تعز . . نشأ في مدينة الشيخ عثمان وتلقى تعليمه الاول على يد بعض علماء عدن المشهورين حينذاك ثم انخرط في سلك الجندية مع الجيش العربي في عدن، وترقى الى رتبة ضابط مكث في الجيش ما يقارب سبعة اعوام ثم ترك الخدمة العسكرية وعمل ملاحا في احدى البواخر، واستطاع ان ينتقل الى عدة بلدان ويتعرف على بعض شخصياتها الشهيرة فافاد منهم واستفاد . . ومكث فترة في المغرب لطلب العلم والتقى بالشيخ احمد بن مصطفى العلوي الذي اجازه واوفده للارشاد الديني في بريطانيا . .

وهناك اتخذ من مدينة (كارديف) مقرا لاقامته واسلم على يديه عدد من المسيحيين وفيها اسس (الجمعية الاسلامية العلوية) والمركز الاسلامي الاعلى لمسلمي كارديف وملحقاتها) وعاد الى عدن في ١٥ يناير ١٩٥٣م بعد ان زار عدة بلدان عربية وافريقية لشرح قضية اليمن واليمنيين مع قادتها والتقى هناك بعدد من المهاجرين اليمنيين ، وعندما عاد الى عدن عاش مراقبا من قبل سلطات الاحتلال البريطاني ، وسجن لمدة عام واحد بتهمة تهريب وحيازة اسلحة ثم افرج عنه، وبعد خروجه من السجن تولى رئاسة الاتحاد اليمني . .

توفى في عدن في يوم ٤/ ١٠/ ١٩٥٤م

لتهيب بالرأي العام العالمي ان يقف الى جانب شعب اليمن ويتدخل لايقاف المذابح التي قام بها الامام احمد منذ توليه السلطة وكان لها اثر بارز في فضح مفاسد الحكام وظلمهم في وقت، كانت قوى القهر والفساد تلوي رقاب كل من يقوى على رفع صوته او يجهر برأيه في وجه الحكام . .

وكانت اعدادها تصل الى عدن بالطائرة القادمة من لندن كل اسبوع ويتخاطفها الناس ويقرأونها بشغف ثم يهربون بعض اعدادها الى بقية المناطق في شمال الوطن، وقد تصل بعض الاعداد الى قصور السلطة . .

* عبدالله عبدالوهاب نعمان :

من مواليد قرية ذبحان منطقة الحجرية لواء تعز شاعر رقيق وصحفي ساخر تلقى دراسته في الحجرية ثم واصل الدراسة في مدارس صنعاء وزبيد التقليدية استطاع ان ينفتح على ثقافة العصر الحديث وتأثر بافكار رواد النهضة الحديثة في الوطن العربي امثال الافغاني والكواكبي ومحمد عبده وغيرهم . . وكان من الشباب الذين تجمعوا في مجالس الامير احمد امير تعز وولي العهد حينذاك وساهم في النشاط الثقافي والادبي كما عمل مدرسا في المدرسة الاحمدية بتعز ثم نزح الى عدن عام ١٩٤٤م والتحق بجماعة المعارضة وشارك في تأسيس (حزب الاحرار الدستوريين) و (الجمعية اليمنية الكبرى) وتولى سكرتارية تحرير صحيفة (صوت اليمن) وساهم في تحريرها والكتابة فيها. وكان من الذين خططوا لحركة ١٩٤٨م ولم يقع في الاسر بعد فشلها لانه كان في عدن وبعد فشل الحركة اصدر في عدن صحيفة (الفضول) في ديسمبر ١٩٤٨م وكانت صحيفة ساخرة حتى اصبح اسمه مقترنا باسمها وبعد قيام ثورة ١٩٦٢م انتقل الى شمال الوطن وتولى عددا من المناصب الرسمية منها منصب وزير الاعلام اهتم بالشعر الغنائي والاناشيد الوطنية من كلماته النشيد الوطني للشطر الجنوبي من الوطن وقد كرم بمنحه وسام الادب والفنون من قبل حكومة الشطر الجنوبي من اليمن . . توفى رحمه الله في ٥ يوليو ١٩٨٢م عن عمر يناهز الخمسة والستين عاما . .

بعد ان اوقفت السلطات البريطانية في عدن صحيفة (صوت اليمن) ومنعتها من ممارسة النشاط السياسي المعارض لحكومة الامام احمد واستطاعت صحيفة (الفضول) باسلوبها الساخران تنتقد الاوضاع السائدة في اليمن بشطريه الملكي المتخلف والمحتل المغلوب على امره وتمكن محررها ان يتلاعب بالالفاظ ويخلق عبارات ساخرة مضحكة تدين الاوضاع القائمة في اليمن وقد اسهمت (الفضول) اسهاما ايجابيا في رفع معنويات الناس في اليمن وتوعيتهم وتوجيههم الى ما ينبغي عمله في احقد الظروف وفي فترة حرجة جدا . .

ولقد استاءت السلطات الحاكمة في صنعاء مما كانت تنشره صحيفتا (السلام) و (الفضول) فحركت عناصرها وعملاءها في عدن لمهاجمة الصحفيين والتصدي لما ينشر فيها فاستجاب لذلك بعض عناصر السلطة في عدن الذين

تحركوا من خلال جمعية الشباب اليمني) وصحيفتها (سبأ) التي فتحت صفحاتها لعملاء الامام احمد وفسحت المجال لانصاره بمهاجمة خصومه وقد ساندها في ذلك كل من صحيفتي (الايمان) و (النصر) مما عزز موقف الامام احمد واضعف جانب المعارضة وعرضها للمطاردة والملاحقة والتنكيل فانقسمت المعارضة الى جماعة متخلفة بعضها تحالفت مع السلطة والبعض الاخر بقي عند موقفه المعارض . .

واخرون انقطعوا عن العمل السياسي وتفرغوا لشئونهم الخاصة فالتحقوا بالاعمال التجارية او سلك التدريس او غيرها . . وكان من جراء هذا الانقسام انتقال مطبعة النهضة اليمانية من عدن الى تعز ، وتعرض حركة المعارضة للتشتت . .

ولما كانت السلطات البريطانية في عدن قد سمحت بتأسيس بعض النوادي الاجتماعية لرعاياها من ابناء الجاليات الاجنبية فان اليمنيين قد استغلوا هذا الظرف وشرعوا بتأسيس نواد وجمعيات اهلية بحسب تجمعاتهم المناطقية فظهرت في عدن العديد من النوادي القروية التي كانت ملتقى لتجمع الناس فاستغل من تبقى من حركة المعارضة تلك النوادي والجمعيات للقاء بالناس وتوعيتهم وتثقيفهم وتوجيههم فيما ينبغي عمله للنهوض باليمن ومقاومة الظلم والفساد غير انهم اكتشفوا ان هذه النوادي تعمق النزعات القبلية والعشائرية وان غالبية اعضائها من الاميين الذين لايفقهون شيئا ولا يدركون من الحياة سوى كيف يكسبون لقمة العيش فايقنوا ان اول ما ينبغي عمله هو التعليم قبل اي شيء اخر . . فبالعلم وحده ستتحقق الاماني وبه سيصلون الى ما يريدونه لوطنهم من عزة وكرامة وتقدم . .

وتوزع المتعلمون والمثقفون على المدارس الموجودة حينذاك وجندوا انفسهم للعلم وانتشر بعضهم في المساجد والنوادي ونظموا الحلقات التثقيفية وقدموا الدروس المجانية وتركوا السياسة بمفهومها التقليدي واخذوا يسهمون بالتعليم ونشر العلم والثقافة . .

ولما كانت المدارس محدودة والاقبال عليها ضعيفا كان لابد لهم من الاتجاه الى المساجد يقيمون فيها الحلقات الدراسية او ينشئون المعاهد الملحقة بها مثل معهد النور العلمي الملحق بمسجد النور في الشيخ عثمان . . ومدرسة الانقاذ الاسلامية الملحقة باحد المساجد في كريتر . . وغيرها . . كما اتخذوا من المساجد اماكن للوعظ والارشاد وحث الناس على العلم والاهتمام به فادرك الناس اهمية التعليم واقبلوا عليه بشغف وسارعوا في ادخال ابنائهم المدارس والكتاتيب (المعلامات) والتحقوا بحلقات الدرس في المساجد واقبلوا على القراءة والاطلاع على الصحف والمجلات . . وغيرها . .

وظهرت الحاجة الى المدارس والمزيد من المدرسين وتوفير العديد من الامكانيات لاتاحة الفرصة لاكبر عدد من التلاميذ للالتحاق في المداس والحصول على قسط من التعليم . . غير ان بناء المدارس وتوفير مستلزماتها يحتاج الى اموال وليس من اليسير الحصول على الاموال اللازمة لتمويل مشاريع التعليم الاهلية في ظل تعدد الهيئات الشعبية وكثرة النوادي الاهلية مما استوجب وجود هيئة شعبية موحدة ترعي مصالح اليمنيين كافة وتسعى لبناء المدارس وتوفير بعض الخدمات الضرورية في عموم اليمن . .

لذلك استقر الرأي عند بعض المثقفين على ضرورة انشاء هيئة شعبية تضم في عضويتها جميع اليمنيين على اختلاف قراهم ومناطقهم وبيئاتهم واماكن تواجدهم لتتولى توحيد جهودهم وتنظيمها بما يحقق النفع لهم جميعا . .

ولما كانت سلطات الادارة البريطانية في عدن لاتسمح بقيام مثل هذه الهيئة الشعبية خوفا من ان تتحول الى تنظيم سياسي يصعب السيطرة عليه ، خصوصا بعد تجربتها مع «الجمعية اليمنية الكبرى» التي اطاحت بنظام حكم الامام يحيى وكادت تهدد بسقوط النظام كله فكان لابد من

الحصول على اذن تأسيس ناد اجتماعي على غرار تلك النوادي الكثيرة التي انتشرت في عدن
وفي يوم السبت ٧ رمضان ١٣٧١هـ الموافق ٣١ مايو ١٩٥٢م اعلن عن تأسيس (نادي الاتحاد اليمني » في عدن بهدف جمع شمل اليمنيين وتوحيد جهودهم وتعزيز دورهم في المجتمع الذي مزقته الشللية واضعفته القبلية .

وكانت الاهداف المعلنة للاتحاد اليمني عند تأسيسه هي :-

١ـ دعوة ابناء اليمن الى الاخاء والتعاون والاتحاد وتبادل الثقة فيما بينه .
٢ ـ الارشاد الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله وسلم والعمل بهما .
٣ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٤ ـ العمل على نشر المبادئ والمثل الاسلامية الصحيحة . بين ابناء اليمن وتعريفهم بواجباتهم القومية وحقوقهم الوطنية . .
٥ ـ تنمية الوعي العام عن طريق نشر الثقافة الاسلامية الى ما يجب عليهم دينيا واخلاقيا واجتماعيا . . .
٦ ـ التعاون مع الهيئات العربية والاسلامية والمحلية وغيرها التي تهدف لخير العرب وعز الاسلام

٧ ـ مراعاة القوانين المحلية السائدة (١١) .

انه من الواضح ان الاهداف المعلنة للاتحاد اليمني عند تأسيسه لم تكن توحي بانه اسس لغرض سياسي ولم يصرح في برنامجه انه سيمارس نشاطا سياسيا ، لان النشاط السياسي ، حينذاك كان قد خطر على اليمنيين بعد محاولتهم القضاء على سلطة الامامة في شمال الوطن ، من اجل ذلك لم يكن في مقدور احد ان يجهر بالعمل السياسي خصوصا بعد النكسات التي تعرضت لها حركة المعارضة بعد فشل حركة ١٩٤٨م . .

لقد كانت فكرة تأسيس الاتحاد اليمني في عدن ليكون همزة وصل بين تلك النوادي والجمعيات القبلية وجمع شمل اليمنيين الذين فرقتهم القبلية وانهكتهم التفرقة وتوجيه الناس نحو القيام بالاعمال الخيرية في سائر المناطق اليمنية ، والسعي من اجل الحصول على بعض الخدمات الضرورية والخلاص من بعض الاعباء التي ارهقت كاهل المواطنين ولعل اهم ماركز عليه الاتحاد اليمني هو الاهتمام بالتعليم ونشر الثقافة ومكافحة الامية ، والدجل والخرافات والسحر والشعوذة . .

وقد نص في المادة الثانية من دستوره على ما ينبغي عمله في هذا الخصوص وهي :-

١ـ القاء المحاضرات والخطب ، والمواعظ في المساجد والمجتمعات .
٢ ـ اصدار مجلة اسبوعية او شهرية . .
٣ ـ فتح صفوف ليلية لتعليم الصغار والكبار .
٤ ـ انشاء فروع للاتحاد في كل مكان توجد فيه جاليات يمنية .

وقد شرع الاتحاد اليمني منذ يوم تأسيسه في ممارسة نشاطه الاجتماعي والثقافي باعتباره تجمعا وطنيا وليس تنظيما سياسيا ، غير ان تطورات الاحداث في اليمن والوطن العربي في الخمسينات قد شجعت على تحويل هذا التجمع الى ما يشبه التنظيم السياسي خصوصا بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م في مصر .

لقد كان الاتحاد اليمني ينشط نشاطا ملحوظا في الجانب الثقافي والتوعية الجماهيرية ، ووجه المواطنين الى ضرورة الاهتمام بالعلم وفتح المدارس في المناطق اليمنية المختلفة ، وحث القادرين من التجار على ارسال ابنائهم الى الخارج لتلقي العلم هناك او مواصلة الدراسة الجامعية ، وشرع في توجيه المتعلمين للقيام بمبادرات طوعية لتعليم الاميين القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية وتحول دار الاتحاد اليمني في حارة القاضي بكريتر الى خلية نحل يتردد عليه الناس ليلا ونهارا لمحو اميتهم او لحضور الندوات الفكرية والحوارات الثقافية والمناقشات السياسية واللقاءات الادبية التي

كانت تتم بين الحين والاخر . .

وخلال فترة وجيزة تمكن «الاتحاد اليمني» من اقناع الناس من ادخال ابنائهم المدارس بعد ان كانوا يحجمون عن ذلك واستطاع ان يؤثر على بعض التجار والموسرين في التبرع لمساعدة الطلاب الفقراء ليستمروا في الدراسة والزام بعضهم تقديم معونات ثابتة لبعض المحتاجين من التلاميذ ، او دفع رسوم الدراسة وشراء الكتب والمستلزمات الدراسية لبعضهم . .

وكان يحث المتعلمين ويشجعهم على تحمل المسئوليات القيادية في النوادي الاجتماعية المختلفة ليستطيع من خلالهم التأثير في الناس واقناعهم باهمية التعليم وضرورة فتح المزيد من المدارس لاستيعاب الاعداد المتزايدة من التلاميذ في المدينة والريف . .

وبفضل نشاط الاتحاد اليمني تحمس الناس للتعليم فاندفعوا لبناء المدارس في مناطقهم الريفية المختلفة ، وتعاونوا في بناء بعض المدارس الاهلية في عدن لاستيعاب ابنائهم الذين رفضتهم مدارس الحكومة وتسابقوا في ادخال ابنائهم الى المدارس وارسل القادرين منهم ابنائهم الى الخارج لمواصلة دراستهم ، واندفع الجميع للتبرع لبناء المدارس بعد ما لمسوا الحاجة المتزايدة لفتح المدارس لاستيعاب التلاميذ القادمين من الريف غير ان تلك المدارس لم تعد تف بالحاجات المتزايدة فاقدم الاتحاد اليمني على انشاء هيئة شعبية تعني بالتعليم وتهتم ببناء المدارس فاسست (هيئة التربيه والتعليم اليمنيه» في الشيخ عثمان ، ذلك الصرح الشامخ الذي استوعب الاف الطلاب وانار الطريق لكثير من البائسين . .

وايقن الناس بعد ذلك ان اصلاح بلادهم لن يكون الا بتعليم ابنائهم وتعاونوا فيما بينهم فاتخذوا من النوادي القروية والاجتماعية المختلفة اماكن للقاء والحوار وجمع التبرعات لفتح المزيد من المدارس في القرى اليمنية المختلفة وادركوا ان العلم هو الطريق نحو المستقبل المشرق ، وبذلوا من اجل تحصيله الجهد والمال ، فارسوا بذلك الاسس الصحيحة للنهضة اليمنية الحديثة . .

هوامش الفصل الثاني

١ ـ محمد علي لقمان . . قصة الثورة في اليمن صـ ١٢١

٢ ـ المطيع بن عبد الله دماج . امال الاصلاح في اليمن (فتاة الجزيرة) العدد ٢٢١ ـ ١٤ مايو ١٩٤٤ ص٤

٣ ـ المطيع عبد الله دماج اطلبوا العلم . (فتاة الجزيرة) العدد ٢١٩ ٣ ابريل ١٩٤٤ م ص٥

٤ ـ عن منشور صادر عن الاجتماع التأسيسي لحزب الاحرار الدستوريين .

٥ ـ المادة الثالثة من قانون الجمعية اليمنية الكبرى . .

٦ ـ انظر بشأنها كتابنا (الصحافة اليمنية) ص ٢٦ من تقرير قدمه الورتلاني للامام يحيى

٨ ـ المرجع السابق

٩ ـ احمد محمد الشامي . . رياح التغيير في اليمن

١٠ ـ انظر بشأنها كتابنا (الصحافة اليمنية) ص ٣٢

١١ ـ دستور الاتحاد اليمني . . المادة الاولى . .

تطور التنظيم القانوني للتجارة الخارجية في اليمن وأثر ثورة سبتمبر عليه

د/ محمد احمد علي

■■ المقدمة :ـ

ان تطور وتنامي العلاقات الاقتصادية للبدان النامية مع المعسكر الرأسمالي ومنظومة البلدان الاشتراكية على حد سواء ومع بعضها البعض، يحدد السياسة الاقتصادية : الداخلية والخارجية لهذا البلد النامي او ذاك، تبعا لطبيعة العلاقات الاقتصادية مع هذه المجموعة او تلك .. ويترتب على مثل هذه العلاقات التبادلية لليمن بشطريها مع العالم الخارجي ، ازدياد الحاجة الى ضبط ذلك التعامل باحدث النظم القانونية المكافئة لطبيعة تلك العلاقات ويأتي في طليعتها تنظيم وتحديد العلاقات الاقتصادية التي تتم بين اشخاص القانون المدني المنتمية الى بلدان مختلفة وبالتحديد العلاقات التي تنشأ نتيجة ممارسة الاشخاص الاجانب من شركات وافراد لانشطة تجارية او استثمارية في الاقليم اليمني .. هذه النظم تجد تعبيرا عنها في التشريع الوطني ، الاتفاقيات الدولية والاعراف التجارية الدولية ..

وتعد التجارة الخارجية من اكثر العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية، التي تربط مختلف : الامم، القوميات والشعوب ، بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية ، معتقداتها وايديولوجياتها السياسية ،بيد أن دقة وشمولية تنظيمها القانوني تختلف من بلد الى اخر ..

يلاحظ ان قواعد تنازع القوانين في مسائل التجارة الخارجية في بلدان النظام الرأسمالي مشوبة اكثر من غيرها من العلاقات ، بعدم الضبط والتحديد والدقة، فمعظم هذه القواعد تعد نتاجا للممارسات العملية

والسوابق القضائية للمحاكم ومراكز التحكيم، والبعض القليل من هذه القواعد ضمن في التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية، من هنا، فان تنظيم التجارة الخارجية في هذه البلدان ينطوي على تناقضات تبرز بدرجة اساسية في تناقض قرارات المحاكم واجهزة التحكيم مع بعضها ..

يرجع السبب في ذلك من وجهة نظرنا الى تعمد المشرعين الغربيين في عدم تنظيم مسائل التجارة الخارجية تنظيما كافيا وواضحا، خشية ان تكون القواعد الواضحة والمحددة في غير صالح الاحتكارات ..

مثل هذه الوضعية ادت وتؤدي الى عدم سلامة التعامل في مجال التجارة الخارجية والدولية، وتتضرر منها، بشكل اساسي البلدان النامية ،التي تعد المستورد الرئيسي للبضائع المصدرة من البلدان الرأسمالية ، ومصدر لمواردها الاولية، وفي مختلف المؤتمرات الدولية جرت عدة محاولات لوضع قواعد دقيقة، تنظم مسائل التبادل التجاري الخارجي، ابرمت عدة اتفاقيات بشأن توحيد بعض القواعد الموضوعية، وكذا وضع قواعد تنازع، التي بمساعدتها يمكن حل بعض مسائل التجارة الخارجية بشكل عادل، ومع ذلك فان هذه الاتفاقيات الدولية لاتزال غير قادرة على اعطاء حلول عملية ناجعة لكل المسائل المطروحة والمعقدة والتي تظهر باستمرار في مجال التبادل التجاري الدولي ..

في البلدان الاشتراكية وعلى وجه الخصوص في الاتحاد السوفيتي ، فان العلماء الحقوقيين يعيرون دراسة القواعد الحقوقية المادية وقواعد التنازع، الناظمة لمسائل التجارة الخارجية اهمية خاصة وفائقة ..

عالج الفقهاء السوفيت مختلف مسائل التجارة الخارجية، مثل : عمليات الاستيراد والتصدير، عقود التجارة الخارجية ، البيع والشراء في التجارة الخارجية، احتكار الدولة للتجارة الخارجية، اجازات الترخيص في التجارة الخارجية، مراكز التحكيم في مجال التجارة الخارجية ومسائل اخرى متعددة ..

تضمن التشريع اليمني القواعد المنظمة للتجارة الخارجية : سواء كانت قواعد مادية اوقواعد تنازع في قوانين مختلفة ..

واذا كنا قد تناولنا هذه المسألة او تلك من مسائل تنظيم التجارة الخارجية في اليمن، في مواضع متفرقة تم نشرها (١) غير اننا هنا سوف نتناول التنظيم القانوني للتجارة الخارجية في اليمن بصفة خاصة واكثر عمقا ، وبدرجة اساسية ،من منظور تاريخي مستخدمين المنهج الموضوعي - المنطقي واسلوب الدراسة المقارنة ..

وبشكل عام ، فان الاهتمام بدراسة التنظيم القانوني خصوصا والحقوقي عموما للتجارة الخارجية هنا يحمل مدلولين : اولهما مدلول تاريخي ، حيث ان قواعد القانون الدولي الخاص بوجه عام وقواعد التنازع بشكل خاص ظهرت في مجال التجارة الخارجية او مرتبطة بها، وللتشريع اليمني القديم

نصيب وافر في ذلك اما الثاني ـ فهو مدلول عملي، ذلك ان المصالح الاقتصاديه لمواطني مختلف الدول ومؤسساتها وشركاتها تتشابك وتتداخل في هذا المجال، وتقتضي الحماية القانونية من قبل الدول المعنية بغض النظر عن مكان تشوئها : داخل حدود الدولة او خارجها ..

مفهوم التجارة الخارجية

تنسب الى التجارة الخارجية ـ العقود التي يكون فيها على الاقل احد الاطراف اجنبيا ، ومحتواها : تصدير او استيراد البضائع ، اية عملية مرتبطة باخراج البضائع الى خارج الحدود او ادخالها من خارج الحدود، مثل : النقل، التأمين، العمولة، القروض وادخال العملة واخراجها . ولقد عبر عن هذا المفهوم البروفسور لونتس ل .أ. بقوله : «في حقوق التنازع السوفيتية ينسب الى العلاقات الحقوقية في مجال التجارة الخارجية : العقود والعلاقات التي يكون فيها احد الاطراف اجنبيا على الاقل (مواطن اجنبي او شخصية اعتبارية اجنبية) وموضوعها يعد عملية ادخال البضائع من خارج الحدود او اخراجها الى خارج الحدود، او اية عملية مشابهة ، متعلقة بادخال او اخراج البضائع ، وبالتالي يدخل في هذا الاطار ، بدرجة اساسية، عقد البيع ـ الشراء المتعلق ببضائع تخضع لادخالها من الخارج او اخراجها الى الخارج ، ايضا عقود المقاولات المتعلقة بالتصدير او الاستيراد ، العمولة، النقل، علاقات القروض والحسابات الجارية التامين وغير ذلك)..(٣).

وتجدر الاشارة هنا، الى ان دول المنظومة الاشتراكية تمكنت من توحيد القواعد الخاصة بعقد البيع في ميدان التجارة الخارجية، وذلك في اتفاقيات (الشروط العامة لصفقات دول مجلس التعاون الاشتراكي (الكوميكون) لعام ١٩٥٨ و ١٩٦٨م .. هذه الشروط تنظم عقد البيع التجاري الدولي، بقواعد مادية موحدة وبعض قواعد التنازع ، التي يرجع اليها بصفة استثنائية عند عدم كفاية القواعد المادية، وتقضي قواعد التنازع تلك تطبيق قانون البائع على معظم المسائل التي يختلف حولها . وتعد الاختلافات في القواعد المادية لمختلف تشريعات البلدان الاشتراكية طفيفة ، نظرا لانتمائها الى نظام اجتماعي ـ اقتصادي واحد، ويبرز التنازع بينها، بدرجة اساسية، في مسائل التكييف ..

لقد حاولت الدول العربية في اطار جامعة الدول العربية توحيد القواعد المنظمة للتجارة الدولية فيما بينها والعلاقات الاقتصادية عموما، بابرام عدة اتفاقيات دولية من بينها :ـ

اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة العبور (الترنزيت)

اتفاقية تسديد المعاملات الجارية وانتقال رؤوس الاموال،

اتفاقية المجلس الاقتصادي العربي عام ١٩٥٧ ..

اتفاقية مجلس الوحدة الاقتصادية العربية عام ١٩٦٤ ، اتفاقية السوق العربية المشتركة عام ١٩٦٥م وتعديلاتها ، اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري عام ١٩٨١م ، ميثاق العمل الاقتصادي العربي القومي عام ١٩٨٠م، الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الاموال العربية في الاقطار العربية عام ١٩٨٠م، عقد التنمية العربية المشتركة (٤) وغيرها . بيد ان احكام هذه الاتفاقيات لم تجد طريقها الى حيز التنفيذ، وذلك يرجع الى سببين رئيسيين هما :ـ

الاول : عدم انتماء الدول العربية الى نظام اجتماعي ـ اقتصادي واحد ..

الثاني : ارتباط هذه الدول بالاحتكارات العالمية التي تعتبر نجاح مثل هذه المحاولات ضربا لمصالحها في البلدان العربية، وتمكنت بفعل تأثيراتها الاقتصادية والسياسية من عرقلة هذه المسيرة عن طريق حكومات البلدان العربية نفسها ..

عود على بدء ، نعود الى موضوعنا الرئيسي بالقول : ان الحديث عن التنظيم القانوني للتجارة الخارجية في اليمن، يقصد به ـ مجموع القواعد الحقوقية، الناظمة للعلاقات التجارية المشوبة بعنصر اجنبي ويدخل ضمنها : العلاقات الناجمة عن عمليات الاستيراد والتصدير للبضائع من والى اليمن، العلاقات التجارية الناجمة عن التمثيل التجاري للدول الاجنبية في اليمن ، العلاقات التجارية الناجمة عن التمثيل التجاري لليمن في اقاليم دول اجنبية وغيرها من المسائل المتعلقة بصفقات التجارة الخارجية : كأن يلتزم بدفع قيمة البضائع بنك اجنبي او تدفع قيمة البضاعة بعملة اجنبية، ادخال واخراج النقد الاجنبي ، القروض الاجنبية من قبل الشركات والمؤسسات الخاصة الاجنبية وغيرها ..

التنظيم القانوني للتجارة الخارجية في اليمن القديم

تعد التجارة الخارجية اهم اشكال الصلات الاقتصادية لليمن بالسوق الخارجية، حيث لعبت التجارة الخارجية دورا حضاريا في اليمن منذ اقدم العصور . وكانت من العوامل الرئيسية في نشوء دول من اشهر دول العرب قبل قيام الدولة الاسلامية، واساسا لنشوء الحضارة والرفاهية في اليمن، وبالتالي اوصلت الشعب اليمني الى مستوى من الرقي بهر اليونان والرومان وجعل كتابهم يطلقون على هذا الجزء من الجزيرة العربية اسم (اليمن السعيد) لكثرة ترف اهلها ..

لقد كان لدولة معين في البحر الاحمر اسطولا تجاريا بحريا تشحن سفنه بالبخور لامداد الهياكل المصرية به، وورثت سبا عن معين ذلك المركز التجاري ، كما كان لها قوافل تخترق الصحراء الى الشام وفلسطين لنقل السلع التجارية بينها وبين البلاد الاخرى (٥) لذلك إهتمت الدويلات اليمنية باصدار التشريعات ، كما سبق وان اشرنا الى ذلك في موضوعات اخرى، المناسبة والملائمة لتلك العصور، والمنظمة للتجارة الخارجية، حيث كان، كما نعتقد، اصدار قانون قتبان التجاري اثر بارز لمدى اهتمام المشرع اليمني القديم بتنظيم التجارة بشكل عام والتجارة الخارجية بشكل خاص ..

من احكام هذا القانون يتضح ان المشرع هدف الى تنظيم مسائل التجارة الداخلية والخارجية وتحديد المركز القانوني للتجار الاجانب وكيفية ممارستهم للانشطة التجارية في اقليم الدولة ..

قيد القانون حق الاجانب في ممارسة النشاط التجاري في اقليم الدولة، بدرجة اساسية، بضرورة حصولهم على ترخيص خاص بذلك . كما حدد الاماكن والاسواق التي يحق لهم ممارسة التجارة فيها ..

ونعتقد ان المشرع قصد من وراء ضرورة الحصول على ترخيص لممارسة التجارة وتحديد الاماكن التي يحق للاجانب ممارسة التجارة فيها امرين :ـ

الاول : حماية وضمان امن البلد وتمكين اجهزة الدول من مراقبة تحرك التجار الاجانب ..

الثاني : حماية السوق الوطنية والتجار الوطنيين من المنافسة الضارة من قبل التجار الاجانب . ولعل تحديد اسواق معينة دون سواها للسماح للتجار الاجانب بممارسة الانشطة التجارية فيها، يلتقي الى حد بعيد مع الفكرة المعاصرة : المناطق الحرة او الاسواق الحرة ، المعمول بها في عصرنا الراهن وخاصة في الدول المرتكزة على سياسة الاقتصاد الموجه، ويقصد بايجاد مثل تلك

المناطق او الاسواق - حماية الاقتصاد الوطني من الاضرار التي تسببها المنافسة الحرة ..

كان الترخيص للاجانب بممارسة التجارة في المناطق المحددة وفقا للقانون منوطاً على سلطة في المنطقة - هو امير الامارة . ولعل ذلك دليل كافي على مدى دقة المشرع في تنظيم المسائل ذات العلاقة بالتجارة الخارجية ..

اعطى القانون الولاية القضائية للنظر في المنازعات وحلها والناشئة عند ابرام العقود التجارية او التي تظهر بعد ابرامها ، بين المواطنين والاجانب، لامير الامارة الذي له صلاحية النظر فيها وحلها ..

ونعتقد ان التشريع المنظم للتجارة الخارجية في اليمن لم يكن مقتصرا على قانون قتبان التجاري ، ذلك انه ليس من المعقول ان يظهر مثل هذا التشريع الناضج والمعبر عن وعي كبير : حقوقي اقتصادي وسياسي ، من فراغ ، اي دون ان تسبقه تشريعات مماثلة كما انه ليس من المنطق ايضا ان يتوقف التشريع عند هذا القانون دون تجديد وتطوير ، مع ان الحضارة اليمنية امتدت لقرون بعد انتهاء الدولة القتبانية ، وربما تمدنا الاكتشافات الاثرية في المستقبل بقوانين اخرى مماثله : سابقة لقانون قتبان التجاري او لاحقة له ..

لقد اتى الاسلام واعار التشريع التجاري اهتماما كبيرا ، واقر بعض القواعد القانونية التي كانت سارية المفعول حينئذ، الى جانب قواعد الاعراف التجارية التي كانت تطبق في مدينة مكة - باعتبارها حينذاك سوقا تجاريا عالميا ومحطة (ترانزيت) للقوافل التي تنقل البضائع عن طريق البر ..

من خلال الاحكام التي تضمنها القرآن الكريم ، يتضح ان الاسلام حرص على استقرار المعاملات التجارية الدولية وازدهار التجارة عموما، ومن هذه الاحكام نورد :-

« واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » (٦) «واوفوا الكيل والميزان اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم» (٧) « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون» (٨) «احل الله البيع وحرم الربا» (٩) وغيرها من الايات ..

كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (التاجر الامين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة) ..

وعلى الرغم من اهتمام الدولة الاسلامية بالتجارة الدولية، الا ان قواعد التشريع الاسلامي لم تخرج عن القواعد العامة، وكان حينئذ بالامكان الانطلاق منها لوضع قواعد خاصة تنظم التجارة الدولية، ومع ذلك فان الفقه اكتفى باستنباط قواعد خاصة لتنظيم التجارة عموما دون ان يخصص فيها قواعد لتنظيم التجارة الدولية، في الوقت الذي كانت فيه علاقات المسلمين التجارية واسعة الافاق غير مقيدة بحدود دولية معينة ، فوصل التجار المسلمون الى جبال الاورال وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا، ناهيك عن انتشارهم الكبير في جميع اقطار آسيا وافريقيا ..

ولقد شجع الحكام المسلمون النشاط التجاري عموما والتجارة الدولية خصوصا لسببين رئيسيين :

اولهما : يرجع الى عوامل تاريخية ،حيث ان العرب كانوا قبل الاسلام يمارسون دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، فتكونت لديهم خبرة واسعة في ممارسة التجارة الدولية ..

وثانيهما - ارتبط بالجانب العقائدي ، حيث اعتبرت التجارة مهنة محببة عند الاسلام والمسلمين ، ذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عمل بالتجارة والتجارة الدولية بالذات ، قبل ان يبدأ بنشر الدعوة الاسلامية ، إضافة الى ان التجار المسلمين كانوا يقومون بنشر الدين الاسلامي في البلدان التي يصلون اليها وتلقين تعاليمه لشعوب هذه البلدان . وهنا تجدر الاشارة الى انه في الوقت الحاضر لم تعد قواعد الحق

الاسلامي مستوعبة لمشكلات التجارة الدولية ومستوى تطورها ، بفعل محدودية المفاهيم الحقوقية التي وضعها الفقه في زمان كان فيه تشابك مصالح دول وشعوب العالم المختلفة ضمن إطر بسيطة لاتتعدى التبادل المباشر للسلع التجارية .. إذ لم يتطور الجانب الاجتهادب في الموضوع .. إلا انه يمكن القول أن الأخذ بالقوانين الحديثة يندرج في الفكر الاسلامي في باب الاجتهاد طالما والمصلحة متحققة فيه .

التنظيم القانوني المعاصر للتجارة الخارجية في اليمن

●● التشريع :-

حتى بداية ستينات هذا القرن لم تعرف اليمن قواعد التشريع الحديث، المنظمة للتجارة الخارجية ، بسبب ضعف هذه العلاقة مع العالم الخارجي، وعدم مسايرتها الى حد بعيد، لتطور التجارة الدولية ..

ان الوضعية المتخلفة للتجارة الخارجية في اليمن والتي كانت سائدة الى ما قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ترجع الى افتقار اليمن للعملة الوطنية ، زد على ذلك كنز النقود من قبل حكومة الامام، مما ادى الى استمرار نظام المقايضة بالاضافة الى ذلك فان الضرائب الباهضة على الاستيراد والرسوم الداخلية على البضائع بين منطقة واخرى لم تشجع على انتشار التبادل البضائعي، ناهيك عن عدم وجود شبكة مواصلات حديثة.. الخ ..

ساعدت العوامل الآنفة الذكر على ابقاء التجارة الخارجية حكرا على عدد قليل من افراد الاسرة الحاكمة بمشاركة كبار موظفي الدولة وممثلي الاوروستقراطية اليمنية وعدد قليل من اليهود الذين كانوا يتمتعون ببعض النفوذ في مجال التجارة الخارجية حتى عام ١٩٤٨م..

نتيجة لسياسة التحجر والانغلاق التي مارستها السلطة الاتوقراطية المتخلفة ، فان عددا من مسائل التجارة الخارجية والعلاقات لم يكن بامكانها الظهور .. وهكذا، فالممارسة العملية لم تعرف مبدئيا عمليات التجارة الخارجية بمفهومها الواسع مثل : عملية تصدير واستيراد الخدمات الفنية والتكنولوجيا، عمليات التامين ،الحسابات الجارية .. الخ ..

بعد قيام ثورة سبتمبر ، احتلت مسالة تنظيم العلاقات الاقتصادية الخارجية مكانا هاما في التشريع اليمني وكان لقوانين تنظيم التجارة الخارجية مكان الصدارة فيه نظرا لاهمية العلاقات التجارية مع البلدان الاخرى بعد سياسة الانغلاق الطويل ..

كما هو معروف فقد كان من اهداف الثورة - اخراج اليمن من عزلتها وانعاش اقتصادها ، وذلك لن يتم دون توسيع التبادل التجاري مع العالم الخارجي ومع مختلف الدول بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية - الاقتصادية ..

على الرغم من وجود عدد من الاتفاقيات التجارية الدولية حينذاك بين اليمن والدول الاخرى ، الا انه برزت امام حكومة الثورة ضرورة ملحة لاصدار قوانين تنظم التجارة الخارجية ، تنظيما استهدف تامين حصول البلد على احتياجاتها من مختلف السلع والمواد الاجنبية، بافضل الشروط وتسهيل استيراد الآلات والمعدات والمواد اللازمة لاقامة المشاريع الانمائية بصورة خاصة، وكذا تشجيع التصدير من اجل الحصول على عملة اجنبية ، لذلك كله اعارت الحكومة اهتماما خاصا لاصدار التشريعات المتعلقة بتنظيم التجارة الخارجية ، فنجد ان القوانين الناظمة للتجارة الخارجية، كانت من اوائل التشريعات الاقتصادية الصادرة بعد قيام الثورة، نذكر منها :-

قانون رقم ١٥ لعام ١٩٦٣م ببعض الاحكام المتعلقة بتنظيم التجارة الخارجية ، واصدرت تبعا لذلك القرارات الوزارية لتنظيم التجارة الخارجية ، مثل : عملية الاستيراد والتصدير . قانون رقم ٢٩ لعام

١٩٦٣م بشأن اختصاصات وتشكيل وزارة الاقتصاد، بما في ذلك تنظيم بعض عمليات الاستيراد والتصدير. قانون رقم ١٦ لعام ١٩٦٤م بتشكيل لجنة عليا للاستيراد والتصدير .. قانون رقم (١٧) لعام ١٩٦٤م بشأن التصدير. قانون رقم (١٨) لعام ١٩٦٤م بشأن الاستيراد، قانون رقم (١٩) لعام ١٩٦٤م بتنظيم الرقابة على عمليات النقد ..

وبموجب المنشور الصادر عن وزارة الاقتصاد رقم (٣) والمنشور رقم(٤) لعام ١٩٦٧م اصبحت عمليات الاستيراد والتصدير خاضعة لهيئة الرقابة على عمليات النقد ..

لقد حظر قانون الاستيراد المشار اليه، استيراد السلع من الخارج دون الحصول على ترخيص استيراد ،واعتبر الترخيص شخصي ولا يجوز التنازل عنه ..

كان قانون الاستيراد المذكور يهدف الى ما يلي :-

اولا : ان تتمشى سياسة الاستيراد مع التخطيط الاقتصادي للدولة، والذي كان لايزال في بداياته الاولى ، وذلك بواسطة احكام التصرف في حصيلة البلاد من العملات الاجنبية لامكان تنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية ..

ثانيا : اعطى الاولوية للسلع والمواد الانتاجية والحرص على توفير السلع والمواد الاستهلاكية الضرورية ،ومنع رأس المال الخاص من احتكار استيراد السلع التنموية الهامة ..

ولقد كان لاحكام هذا القانون والاجراءات التي اتخذت لتحقيقها في الواقع العملي، اثرا ايجابيا ملموسا على الاقتصاد الوطني (١٠).

هدف قانون تنظيم الرقابة على عمليات النقد، الى تقييد عمليات النقد الاجنبي : تحويله اخراجه،التعامل به، وحظر استعمال العملة الاجنبية، المرخص باستعمالها بغير الغرض المعين لها .. والاحتفاظ بجزء منها في الخارج (المادة ١).. وذلك بقصد حماية الاقتصاد الوطني، اي ان عمليات التجارة الخارجية لم تكن تخضع للرقابة والترخيص فحسب ، بل ان الترخيص لايمنح في حالة تعارض هذه العملية او تلك مع المصالح الاقتصادية للبلد .. كما ان القانون اشترط ضرورة استرداد قيمة البضائع المصدرة الى الخارج عن طريق البنوك خلال ثلاثة اشهر من تاريخ شحنها، حتى لاتستغل قيمة هذه البضائع خارج اليمن .. وتشجيعا للتصدير اجاز القانون للمصدرين استغلال قيمة صادراتهم بشراء بضائع الاستيراد عن طريق البنوك المعتمدة ..

ولعل ما يثير التساؤل - ان هذا القانون لم يلغ . ولا زالت احكامه من الناحية القانونية الشكلية سارية المفعول بيد ان عمليات التجارة الخارجية والعمليات النقدية قد سارت منذ بداية السبعينات بطريقة تتناقض تماما مع احكام هذا القانون واصبحت العمليات النقدية تتم بحرية تامة دونما اعتبار للشروط والقيود المحددة في قانون الرقابة على عمليات النقد، سواء فيما يتعلق بدخول وخروج وتحويل العملة او بالعمليات النقدية المرتبطة بعمليات التجارة الخارجية ..

في عام ١٩٦٥م صدر قانون رقم (١٨) بتأسيس شركة التجارة الخارجية، وكان من اغراض هذه الشركة تنظيم وتسويق البضائع الرئيسية وبمساندة الحكومة للشركة تمكنت من الوقوف امام سيطرة سوق عدن الكولونيالي على اسعار الحاصلات اليمنية ومنعت احتكار تجار عدن للاستيراد والتصدير، كما تمكنت هذه الشركة بمساندة المؤسسات العامة الاخرى من تدعيم النقد اليمني وتوفير العملات الاجنبية، ذلك ان تصدير المحاصيل الرئيسية، كان قبل ذلك يتم بصورة فردية

ولايحقق للدولة حصيلة من العملات الاجنبية . واصبحت العملة الاجنبية من عائدات التصدير وسيلة فاعلة لاستيراد ما يلزم من الآلات والمعدات للمشروعات التنموية الاقتصادية التي تزيد من الدخل القومي للبلاد وترفع من مستوى المعيشة للفرد اليمني، وكان في ذلك تحقيقا لمبدا رئيسي من مبادئ الثورة . وبفضل ذلك شهد الاستيراد تصاعدا مستمرا ، دونما ان يسبب ذلك اضرارا بالاقتصاد الوطني، فقد ارتفع عام ١٩٦٥م بنسبة ٤٤٦٪ بالنسبة الى عام ١٩٦٣م

بعد عام ١٩٦٧م ظهر اتجاه جديد نحو تشجيع القطاع الخاص وتوسيع نشاطه والسير وفق مبدأ حرية النشاط الاقتصادي، الذي كان بداية لنهاية طموح «الاشتراكية الناصرية» التي جسدت قبل ذلك في ممارسات الحكومة (١١) فصدرت تحقيقا لهذا التوجه النظم القانونية الجديدة المجسدة لها ..

في عام ١٩٧٠م صدر قرار حكومي رقم (١٤) والذي اعطى ضمانات لحرية ممارسة التجارة الخارجية للرأسمال الخاص، وبذلك ضرب دور شركة التجارة الخارجية ، وكان المقدمة الاولية لفشلها المستقبلي ..

خلال النصف الثاني من عقد السبعينات وكنتاج لهذه السياسة الجديدة ازداد حجم الاستيراد، وبدرجة اساسية ، للسلع الاستهلاكية الى حد كبير لايتناسب البتة مع البنية الاقتصادية والاجتماعية للبلد ، وبنفس الوقت انخفضت الصادرات على ما كانت عليه قبل ذلك فاختل التوازن تماما بين الاستيراد والتصدير، واستمر الحال على هذا المنوال ، حيث نجد ان قيمة الواردات بلغت عام ١٩٨٢م (٥٩٧٦ مليون) ريال بينما بلغت قيمة الصادرات (٩٨ مليون) ريال فقط ..

لذلك لم تعد القوانين الصادرة قبل عام ١٩٦٧م قادرة على مسايرة التطور الناجم عن السياسة الاقتصادية المنتهجة منذ بداية السبعينات والتي كان من شانها : تحجيم الى حد بعيد رقابة الدولة على التجارة الخارجية ومنح حرية كاملة لممارسة التجارة الخارجية من قبل القطاع الخاص : التجار والشركات التجارية ..

من اجل مسايرة الاتجاه الجديد صدرت في منتصف السبعينات سلسلة من القوانين والقرارات والتعليمات الوزارية ، المنظمة للتجارة الخارجية ، اهمها: قانون رقم (٢٣) لعام ١٩٧٥م بشان تنظيم عمليات الاستيراد والتصدير ، قانون رقم (١٣١) لعام ١٩٧٥م بشان اختصاصات وصلاحيات وزارة الاقتصاد ، ومنها مجال التجارة الخارجية ، القانون رقم (١٣٩) لعام ١٩٧٦م بشان اختصاصات وزارة التموين ، ومنها منح تراخيص إستيراد المواد الغذائية ، القانون رقم (١٤٢) لعام ١٩٧٦م بإنشاء المؤسسة العامة للتجارة الخارجية ، القانون رقم (٣٢) لعام ١٩٧٧م المعدل للقانون رقم (١٧٩) لعام ١٩٧٦م والمتعلق بمنح رخص استيراد المواد الغذائية وغيرها .

إلى جانب تلك القوانين صدرت مجموعة من القرارات واللوائح القانونية ، المنظمة للتجارة الخارجية، والتى تحمل قواعدها عادة الطابع الأمر ، ومن أهمها: قرار وزير الاقتصاد رقم (٣٤) الصادر في ١٨/١٠/١٩٧٦م تراخيص الاستيراد بشان تحديد المواد الممنوع استيرادها ، رقم (١٥) الصادر في ١٦/٦/١٩٧٦م بشان نظام التراخيص وما يتعلق بشكلها ومحتوياتها وتصحيحها وإلغائها وتحديدها وتجديدها ، قرار رقم (٥٢) الصادر في ١٦/٦/١٩٧٦م بشأن المخالفات لأنظمة الاستيراد والعقوبات والغرامات المفروضة بشانها ، وعدد آخر من اللوائح المنظمة للتجارة الخارجية .

بادئ ذي بدء ، نود التأكيد انطلاقا من مفهوم التجارة الخارجية ، على ان القواعد المنظمة للتجارة الخارجية ، تعد جزءا لايتجزأ من القانون الدولي الخاص ، ذلك

لانها تنظم علاقات حقوقية مدنية ـ تجارية ذات عنصر أجنبي ، وهذه القواعد تشكل جزءا رئيسيا من القواعد المادية (الموضوعية) للقانون الدولي الخاص ، وهذا يعني أن القوانين المذكورة آنفا وبالذات قواعدها المنظمة للاستيراد والتصدير تدخل ضمن القانون الدولي الخاص وليس القانون الداخلي .

من الدراسة المقارنة يمكن التوصل الى استنتاج عام ـ هو أن القوانين الصادرة ماقبل ١٩٦٧م كانت تعطي ضمانات قانونية وعملية كبيرة لممارسة الرقابة على عمليات التجارة الخارجية ، من قبل أجهزة الدولة ، بهدف حماية الاقتصاد الوطني: عن طريق فرض سيطرة القطاع العام ووضع رقابة مشددة على القطاع الخاص وصلت الى أن يمنح رئيس الجمهورية وحده حق الاشراف والرقابة المباشرة على نشاط القطاع الخاص المحلي والأجنبي ، في بعض المجالات ، فمثلا ، نجد أن القانون رقم (٢٠) لعام ١٩٦٣م بشأن نشاطات الوكالات التجارية الأجنبية ، لايمنح الوكيل التجاري حق ممارسة نشاطه التجاري كوكيل ، إلا بعد موافقة وترخيص رئيس الجمهورية ، ووجد نص مماثل في قانون الشركة المساهمة الصادر عام ١٩٦٣م وغيرهما من القوانين المتعلقة . بتنظيم العلاقات الاقتصادية .

إضافة الى أن عمليات التجارة الخارجية قد خضعت لاشراف لجان عليا ، ولقواعد قانون الرقابة على النقد ، وكانت تتم وفق الخطط الاقتصادية ، ولعب فيها القطاع العام دورا أساسيا . لكننا نجد اتجاها آخر لأحكام قوانين السبعينات: مال نحو إضعاف الرقابة على عمليات التجارة الخارجية، وربطتها بمستويات دنيا أعلاها الوزير من الناحية الشكلية بينما هي في الواقع متروكة لمدير الادارة المختصة ، شل دور القطاع العام بمنحه القطاع الخاص حرية النشاط في هذا المجال والاهم من هذا عدم ربط عمليات التجارة الخارجية بالخطط الاقتصادية العامة وإخراجها من دائرة إعمال أحكام قانون الرقابة على النقد : هذا من الناحية الحقوقية الشكلية ، أما من الناحية العملية ، فإن أنظمة التجارة الخارجية أصبحت شبه معطلة ، لاتفعل فعلها في الواقع العملي ، ذلك أن الكميات الأساسية من البضائع لم تعد تدخل الى البلد بالطرق الرسمية وإنما يتم إدخالها وإخراجها بطرق التهريب وبالأخص من والى العربية السعودية .

وهذا لايعني أن الجانب المتقدم في قوانين ولوائح التجارة الخارجية ، الذي حوفظ عليه جزئيا ، أصبح جامدا وغير معمول به فيما يتعلق بضمانات الرقابة وممارستها الفعلية فحسب ، بل إن النصوص التى قصد منها حماية الاقتصاد الوطني أصبحت معطلة ، وآثار التهريب لم تكن مقتصرة على تعطيل القواعد القانونية ، بل انعكست آثارها السلبية على الاقتصاد الوطني ومستوى المعيشة للغالبية العظمى من أفراد الشعب .

إلى جانب القوانين الخاصة بتنظيم التجارة الخارجية ، تأتي القواعد العامة للقانون المدني والمتعلقة بتنظيم هذه العلاقات ، شريطة أن لاتتناقض مع الأنظمة القانونية الخاصة ، الناظمة لها (١٢).

إن أهلية الشخص بموجب القانون المدني في ج.ع.ي تحدد على أساس قانون الجنسية ، ومع ذلك ، فإن القانون يسمح بالاستثناء في بعض الحالات المتعلقة بعقود التجارة الخارجية . فإذا كان الشخص كامل الأهلية بموجب القانون اليمني ،ولكنه ناقص الأهلية بموجب قانون جنسيته ، فإنه لايأبه بنقص أهليته . أي أنه إذا كان الأجنبي البالغ من العمر ١٨ سنة قد التزم بتوريد بضائع الى اليمن ثم لجأ بعد ذلك الى التملص من الوفاء بالتزاماته الناجمة عن العقد ، محتجا بأنه غير كامل الأهلية بالنسبة لقانون جنسيته ، فإن القانون اليمني يفرض عليه الوفاء بشروط العقد وإن كان لايعد أهلا لابرام عقود التجارة حسب قانونه الشخصي ، طالما اعتبر كامل

الأهلية بالنسبة للقانون التجاري اليمني . كما أن التشريع اليمني لايأبه بنقص أهلية الأجنبي بموجب قانونه الشخصي في مجال عقود التجارة الخارجية ، إذا كان كامل الأهلية بموجب قانون مكان إبرام العقد .

يخضع التشريع اليمني عقود التجارة الخارجية لمبدأ «سلطان الارادة» ، وبالتالي يجوز للأطراف اختيار القانون المنظم لعلاقاتهم دون قيود .

وهنا تجدر الاشارة ، إلى أن قانون القاضي عندما يجيز للأطراف اختيار نظام قانوني اجنبي ، فإنه يخرج علاقاتهم المحددة ، ليس من اختصاص القواعد غير الآمرة فحسب ، بل ومن اختصاص القواعد الآمرة لقانون القاضي ، باستثناء المسائل المتعلقة «بالنظام العام» مثلا ؛ على الرغم من أن القواعد المنظمة لمسألة التقادم تحمل الطابع الآمر بشكل عام ، ولا يجوز الخروج عنها عن طريق الاتفاق ، إلا أنه عندما يمنح القانون أطراف العقد ، حق اخضاع علاقاتهم الناجمة عن عقود التجارة الخارجية لنظام قانوني أجنبي ، فإن هذا يعني أن جميع المسائل الأخرى ذات العلاقة بالعقد تخضع أيضا لهذا النظام القانوني ، أي أن مسألة التقادم في هذه الحالة تخضع ليس لقانون القاضي وإنما لذلك النظام القانوني الذي يخضع له العقد نفسه .

ونجد بعض القوانين لاتنص على ذلك صراحة مثل ، القانون المدني في ج.ع.ي . لكن منح القانون الاختصاص لقانون أجنبي بموجب مبدأ «سلطان الارادة» يفرض اخضاع كل مسائل العقد لهذا القانون ، وهناك قوانين قد تتضمن نصوصا صريحة بهذا الخصوص تتعلق بهذه المسألة أو تلك ، فمثلا ، نص القانون المدني الشطر الجنوبي من الوطن في مادته (٢/٣٥) على أن مسائل تقادم الدعوى تحل وفقا للقانون المنظم للموضوع لأن التقادم مسألة موضوعية وليست مسألة إجرائية . غير أن هناك بعض التشريعات التي قد تعتبر التقادم من مسائل قانون المرافعات وبالتالي تخضع لقانون القاضي ، مثل القانون الانجليزي .

وبشكل عام ، عندما تكون علاقات الأطراف الحقوقية خاضعة في تنظيمها للقانون الأجنبي ، فإن تحديد فترة التقادم وسبل اسقاطها ، يتم عن طريق تحديد محتوى القاعدة المحددة للقانون الأجنبي ، الواجب تطبيقه على حالة معينة بمفردها(١٣) إذا لم يكن هناك نص صريح على إخضاع مسألة التقادم للقانون المختص .

عند النظر في النزاع الناجم عن عقود التجارة الخارجية ، تبرز صعوبة تحديد محتوى المفاهيم القانونية المختلفة ، منها: البيع الدولي لحظة انتقال حق الملكية ، لحظة انتقال مسئولية التعويض ، زمان ومكان إبرام عقد التجارة الخارجية ، وغيرها ، وترتبط هذه الصعوبة بمسألة التباين في التكييف من ناحية واختلاف المفاهيم القانونية من ناحية أخرى ، والتكييف يعد من أعقد مسائل القانون الدولي الخاص . ويتم التكييف الأولي ، كقاعدة عامة ، حسب قانون القاضي .

أخضع المشرع اليمني التكييف الأولي لقانون القاضي ، وهذا يعني أن مفهوم «التجارة الخارجية» ، «عقد التجارة الخارجية» وغيرها من مسائل التكييف الأولي تخضع للقانون اليمني ، اما تحديد المفاهيم الأخرى والتى تبرز أثناء النظر في النزاع ، فإنها تضخع للقانون المختص .

هناك صعوبات اخرى تبرز عند تطبيق القانون المختار وهذه الصعوبات ترتبط بمبدأ الاحالة Renvoi: عندما يكون القانون المختار معترفا بهذا المبدا، ويبرز هنا سؤال - هل يجب القبول بمبدا الاحالة حسب امر القانون المختار ام يجب رفضه ، بغض النظر عن اعتراف القانون واجب التطبيق بهذا المبدا ..؟

من وجهة نظرنا لايجوز القبول بالاحالة بموجب امر القانون المختار، لان مثل هذا القبول يعني الخروج عن مبدا (سلطان الارادة) فاطراف العلاقة عندما يختارون نظام قانوني معين لتطبيقه على هذه العلاقة، فان ذلك يعني انهم يرغبون اخضاع علاقاتهم لهذا القانون بالذات دون سواه، والقانون اليمني يضمن لهم هذا الحق.

- انطلاقا من هذا يمكن القول : انه ليس للاحالة مكان في مسائل عقود التجارة الخارجية ، عندما يختار الاطراف قانون دولة محددة وان كان هذا القانون نفسه وقانون القاضي معا يقبلان بالاحالة ، لان اختيار الاطراف يقتصر على القواعد الموضوعية لهذا القانون ولا شأن لهم بقواعد التنازع . وهنا نود التنبيه الى ان هذا الاستنتاج لايجوز تعميمه على العلاقات الاخرى الخارجة عن نطاق التجارة الخارجية وعن نطاق القانون المختار..

ولقد رفض مبدا - Renvoi - في مجال التجارة الخارجية من قبل الاتفاقيات الدولية منها على سبيل المثال : معاهدة لاهاي بشأن القانون الساري على البيع الدولي للبضائع، المبرمة في ١٥ يونيو عام ١٩٥٥، (المادة ٣)

الاتفاقيات الدولية

سبق وان اشرنا الى أن اليمن لم تعرف التشريع الحديث ، المنظم للتجارة الخارجية ، إلا بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر . اما قبل ذلك ، ونظرا لعدم تمشي القواعد الحقوقية السائدة حينئذ في اليمن مع العلاقات الاقتصادية الدولية ، فقد كان المصدر الحقوقي الوحيد الملائم لهذه العلاقات الجديدة: الاتفاقيات التجارية الدولية والاتفاقيات الدولية عموما ، الثنائية ومتعددة الأطراف ، التى ابرمتها اليمن مع مختلف الدول الرأسمالية والاشتراكية وبعض الدول العربية .

كانت معظم هذه الاتفاقيات تتضمن قواعد تنظم التجارة الخارجية لليمن مع هذه البلدان: بغض النظر عن مسمياتها المختلفة - معاهدة صداقة ، معاهدة الصداقة والتعاون ، اتفاقية تعاون وتجارة ، اتفاقية تجارية ....الخ .

من هذه الاتفاقيات: معاهدة الصداقة بين اليمن وإيطاليا عام ١٩٢٦م ، ١٩٣٧م والاتفاقية التجارية عام ١٩٢٧م ، ١٩٣٨م معاهدة الصداقة والتجارة والتعاون بين اليمن وفرنسا عام ١٩٣٦م ، معاهدة الصداقة والتجارة بين اليمن والمانيا الاتحادية عام ١٩٥٣م ، معاهدة بين اليمن وبريطانيا عام ١٩٣٤م وعام ١٩٥١م ، معاهدة بين اليمن والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٦م ، معاهدة التجارة بين اليمن وبلجيكا عام ١٩٣٦م ، الاتفاقية التجارية بين اليمن وهولندا عام ١٩٣٣م . كما ضمنت هذه القواعد في عدد من الاتفاقيات المبرمة بين اليمن والاتحاد السوفيتي: معاهدة الصداقة والتجارة عام ١٩٢٨م ، ١٩٤٦م ، ١٩٥٥م الاتفاقية التجارية عام ١٩٥٦م .

كما أبرمت اليمن حينذاك عدة اتفاقيات بشأن التجارة مع بعض البلدان العربية .

تضمنت كل هذه الاتفاقيات مبادئ القانون الدولي الخاص المعمول بها في التجارة الدولية ، مثل: مبدأ «الدولة الأحسن رعاية» مبدأ «المعاملة الوطنية» ، مبدأ «المعاملة بالمثل» وغيرها .

إن محتوى وغاية مبدأ «الدولة الأحسن رعاية» تختلف عند التعامل مع دولة وأخرى . في علاقات اليمن أو أي بلد نامي مع الدول الصناعية الكبرى الساعية إلى الهيمنة والسيطرة ، فإن مبدا «الدولة الأحسن رعاية» يؤدي عمليا الى تقوية الاستغلال الاحتكاري ، بدرجة أساسية ، الى تجارة غير متكافئة وتسلط رأس المال الخاص الأجنبي الاحتكاري . إن الاتفاقيات

التجارية مع الدول الرأسمالية تعتبر بالنسبة لشركاتها الاحتكارية ، وسيلة للحصول على المواد الأولية ، سوق روّج ووسيلة لتصدير رأس المال ، مجسدة في قالب حقوقي ، لاقامة سيطرتها الاقتصادية والسياسية ، من هنا ، يجب التفريق بين الاتفاقيات المبرمة مع هذه الدول والتي تمكن رأس المال الخاص من اختراق اقتصاديات البلد والعمل للسيطرة عليها والاتفاقيات المبرمة مع الدول التى تمارس فيها التجارة الخارجية مؤسسات حكومية وبالذات الدول الاشتراكية والتى لها مصلحة بالتحرر الاقتصادي للبلدان النامية ، ذلك أن هذا الاستقلال لايشكل عليها خطرا ،وإنما يشكل خطرا على مصالح الدول الرأسمالية واحتكاراتها وبالتالي تشكل الدول النامية عامل ضغط قوي على الامبريالية الرأسمالية في المجالات والمضامير الدولية .

تعتبر الاتفاقيات التجارية المبرمة بين اليمن والاتحاد السوفيتي ، من حيث طبيعتها وثائق حقوقية ذات كيفية جديدة ، تختلف مبدئيا عن الاتفاقيات المماثلة مع الدول الصناعية الرأسمالية ، حيث أن طبيعتها الحقوقية ترتكز على مبادئ: المساواة الفعلية ، المصالح المشتركة ، احترام السيادة . لذلك فلا غرو أننا نجد أن اليمن ومنذ أواخر عشرينيات هذا القرن كان لها علاقات تجارية تبادلية مع الاتحاد السوفيتي تفوق علاقات اليمن التجارية مع بلدان أوروبا الغربية وأمريكا مجتمعة من ناحية حجم التبادل والتعاون .

ويتضمن مبدأ «الأحسن رعاية» في الاتفاقيات التجارية مع البلدان الاشتراكية ، محتوا جديدا من حيث المبدأ ، بسبب أن حكومات هذه الدول تستخدم بشكل واسع الاتفاقات الدولية في علاقاتها التجارية مع البلدان النامية ، كوسيلة حقوقية ، موجهة الى كسب سمعة حسنة و لأفضلية، التعامل مع الأنظمة الاشتراكية وأفضلية البناء الاشتراكى نفسه في تطوير العلاقات السليمة والاقتصادية مع مختلف الدول وبالذات البلدان النامية. أضف الى ذلك ان شروط العقود المبرمة مع المؤسسات الحكومية تكون اكثر تسيرا من العقود المبرمة مع شركات راس المال الخاص وخاصة الشركات الراسمالية الاحتكارية .

بعد قيام ثورة سبتمبر أبرمت حكومة الثورة اتفاقيات دولية تتضمن قواعد تنظم التجارة الخارجية مع مختلف الدول الرأسمالية والاشتراكية والبلدان العربية وتشارك في عدد من الاتفاقيات الدولية متعددة الأطراف .

تشارك اليمن في عدد كبير من المنظمات والتجمعات الدولية ، التى تقوم باجراءات معينة في مجال تطوير قواعد حقوق التجارة الدولية ، تعد المعاهدات المختلفة ، قوانين نموذجية ، شروط متماثلة ، قواعد عرفية متماثلة تحدد المصطلحات التجارية ....الخ .

بهدف توحيد القواعد المتعلقة بتنظيم التجارة الدولية استخدمت وتستخدم الاتفاقيات الدولية والتى تتضمن قواعد موحدة تصدر بشكل ملحقات .

من هذه الاتفاقيات الدولية، اتفاقية بروكسل لعام ١٩٢٤م شأن بوليصة الشحن ، اتفاقيتا جنيف لعام (١٩٣٠ ـ ١٩٣١) بشأن توحيد قانون الكمبيالة والشيك السند لأمر ، اتفاقية لاهاي بشأن قواعد القانون الموحد ، الخاصة بالبيع الدولي للبضائع المبرمة في ١٥ يونيو عام ١٩٥٥م .

وتجدر الاشارة الى أن أهم الاتفاقيات الدولية المنظمة للتجارة الدولية (اتفاقيتا لاهاي لعام ١٩٦٤) بشأن البيع الدولي للمنقولات المادية ، وقد ابرمت هاتان الاتفاقيتان في الأول من يوليو عام ١٩٦٤م ، باشراف (معهد روما) الدولي لتوحيد القانون الدولي الخاص ، والحق بهما «قانون» يتعلق أحدهما بابرام العقد ، ويسمى (القانون الموحد لابرام عقد البيع الدولي للمنقولات المادية) وأصبحت هذه

الاتفاقية نافذة المفعول اعتبارا من ٢٣ أغسطس عام ١٩٧٢م بالنسبة للدول التى صدقت عليها ، ويتعلق الثاني بآثار العقد ويطلق عليه تسمية «القانون الموحد للبيع الدولي للمنقولات المادية» والأخيرة أصبحت نافذت المفعول بالنسبة للدول المصدقة عليها ابتداء من ١٨ أغسطس عام ١٩٧٢م .

بيد أن واضعوا ماسمي بقانون البيع الموحد ، لم يأخذوا بالحسبان مصالح الدول النامية ، بالاعتبار وفقا لما ورد في قرار لجنة قانون التجارة الدولية في الوثيقة رقم (١٧٦١٨ A) ١٨ ونتيجة لذلك وتحت ضغط مجموعة الدول النامية قررت لجنة قانون التجارة الدولية تشكيل فريق عمل متخصص يقوم بوضع التعديلات اللازمة على نصوص «قانون» البيع الموحد ، وقد توصل فريق العمل المذكور الى وضع مشروع «قانون» جديد للبيع الدولي الموحد في الأول من فبراير عام ١٩٧٤م .

تمثل الهيئات الدولية العاملة على توحيد قواعد القانون الدولي الخاص ولاسيما قواعده المتعلقة بتنظيم التجارة الخارجية (الدولية) ، مسرحا لصراع البلدان الراسمالية والبلدان النامية ، بسبب أن البلدان الراسمالية تعمل من خلال وسائل الضغوط على بعض البلدان النامية أو من خلال شراء أصوات البعض منها ، مستخدمة تفوقها الاقتصادي وتفوق خبرتها القانونية والفنية ، على وضع قواعد تخدم بالدرجة الأولى مصالح شركاتها الاحتكارية وعدم الأخذ بالحسبان مصالح البلدان النامية .

لذلك تكون ماسمي (بمجموعة «٧٧»(١٤) والتى تدخل فيها اليمن . هذه المجموعة تمثل تقريبا تكتل دول عدم الانحياز ، للمطالبة في اطار هيئة الأمم المتحدة ، بايجاد نظام اقتصادي دولي عادل ، وهي كحركة عدم الانحياز لم تتخذ لها شكل قانوني معين بين المنظمات الدولية ، تلعب مجموعة «٧٧» دورا كبيرا في تطور التجارة الدولية ، على أساس البحث عن مبادئ عامة ، من شأنها حماية مصالح البلدان النامية .

كما هو معروف ، يرجع الفضل الى مجموعة «٧٧» بمساندة الدول الاشتراكية ، في وضع قواعد اتفاقية ١٩٦١ - ١٩٦٤م واتفاقية عام ١٩٨٠م بشأن عقد البيع - الشراء الدولي للبضائع .

ويجري الاعداد لقواعد «قانون» نموذجي بشأن التحكيم التجاري الدولي . تقوم بهذا الاعداد لجنة الحقوق التجارية الدولية (القانون التجاري الدولي) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، كما يجري التحضير والاعداد أيضا لعدد آخر من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالقانون الدولي الخاص .

العرف الدولي وعلاقته بالتشريع والاتفاقيات الدولية

نتيجة للتوسع المستمر للتبادل التجاري الدولي ، كما أشرنا غير مرة ، بين البلدان مختلفة الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية ، فإن التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية ، لايمكنها أن تشمل كل العلاقات الحقوقية ، التى تظهر في مجال التجارة الخارجية (الدولية) ولا تستطيع مسايرة تطورها باستمرار . لهذا ، بالذات فإن أهمية كبرى لازالت تعلق على الأعراف التجارية الدولية ، المنظمة لمسائل التجارة الخارجية .

إن عددامن الحقوقيين البرجوازيين والمتخصصين في مجال التجارة الخارجية ، يعتبرون أن قواعد العرف قواعد الزامية ، بغض النظر عن التشريع الداخلي لهذه الدولة أو تلك ، أي أن قواعد العرف الدولي تعتبر قواعد «نظام حقوقي بين القوميات أو الدول أو نظام حقوقي فوق القومي أو فوق تشريع الدول» .

هناك آخرون ، انطلاقا من مبدأ «سلطان

الارادة» يعتبرون أن قواعد العرف التجاري ، الناظمة لمسائل التجارة الخارجية ، يجب أن تتضمنها عقود التجارة الخارجية ، تلك العقود التي يضع أحكامها الأطراف أنفسهم ، ونتيجة لذلك ، فإن القواعد المحددة هنا ـ ستحمل في طياتها تعبيرا عن ارادات أطراف العقد وبالتالي فإن علاقات الأطراف الحقوقية سوف تخضع لرضائهم فحسب(١٥) .

إن وجهة النظر الأولى (نظرية «الحقوق ذوو القومية») تتناقض مع مبدأ سيادة الدولة وقانونها الوطني . أما مبدأ حرية «سلطان الارادة» فإنه يلعب دورا تقدميا من وجهة نظرنا في مجال تنظيم مسائل التجارة الخارجية .

في ملحق اتفاقية لاهاي لعام ١٩٦٤م ، بشأن البيع ـ الشراء الدولي للمنقولات المادية «البضائع» ـ القانون الموحد» نص في المادة (٢/٩) على: «في حالة التعارض مع هذا «القانون» يغلب العرف ، إذا لم يتفق الأطراف على غير ذلك» . قاعدة مماثلة ضمنت في المادة (٢) من ملحق اتفاقية لاهاي عام ١٩٦٤م بشأن «القانون» الموحد لابرام عقد البيع ـ الشراء الدولي للمنقولات المادية .

وإذا كانت هاتين الاتفاقيتين قد أعطيتا الأولوية لقواعد العرف الدولي على قواعد الاتفاقيات الدولية ، بيد أن هذا التفضيل لقواعد العرف التجاري الدولي ، لايخرج عن كونه وفاق إرادي بين الدول ، ويستمد قوته من قوة الاتفاقية الدولية .

ولقد أعطت اتفاقية فينا لعام ١٩٨٠م بشأن عقد البيع ـ الشراء الدولي للمنقولات المادية (البضائع) كبير أهمية للعرف الدولي ، إلا أنها لم تعط بشكل مباشر لقواعده الغلبة على قواعد الاتفاقيات الدولية ، كما فعلت اتفاقيتا لاهاي لعام ١٩٦٤م ، وإنما تركت حق الاختيار والتقدير للقاضي ، ونص على ذلك في المادة (١/٩ و٢):

١ ـ يرتبط الأطراف بأي عرف ، بالنسبة للشيء المتفق عليه ، وبالممارسة التي ثبتوها في علاقاتهم المشتركة .

٢ ـ عندما لايوجد اتفاق على ذلك يعتبر أن الأطراف قصدوا ان يطبقوا على عقدهم أو على ابرامه العرف الذي يعلمون به أو يجب أن يعلموا به ، والمتعارف عليه عموما في التجارة الدولية ويراعيه الأطراف باستمرار في عقود من هذا النوع وفي المجالات التجارية المعينه .

ارتباطا بوجود مداخل متعارضة الى مشكل علاقة العرف والقانون في مجال التجارة الخارجية ، بين مختلف الانظمة الحقوقية ، فإن كثيرا من الاتفاقيات الدولية ، لاتتعرض لهذا المشكل ، وتكتفي بالاشارة الى امكانية تطبيق قواعد العرف مثلا الاتفاقية الأوروبية بشان التحكيم في مجال التجارة الخارجية لعام ١٩٦١م المادة (١/٧) تنص على: «يجوز للأطراف باختيارهم وباتفاق عام تعيين القانون واجب التطبيق من قبل المحكمين عند حل النزاع جوهريا إذا لم يعين الأطراف القانون المختص ، يطبق المحكمون ، القانون المعين بموجب قواعد التنازع التي يعتبرها المحكمون واجبة التطبيق في الحالة المحددة . وفي كلتا الحالتين يسترشد المحكمون بأحكام العقد والأعراف التجارية» . نصوص مماثلة ضمنت في: النظام الموحد لهيئات التحكيم التابعة للغرف التجارية للدول الأعضاء في مجلس التعاون الاشتراكي لعام ١٩٧٤م («الفصل»١٢) . وقواعد التحكيم للجنة الاقتصادية الأوروبية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، فيما يتعلق ببعض أنواع النقل السريع للمحاصيل الزراعية لعام ١٩٧٨م المادة (٢٤) نظام التحكيم للجنة منظمة الأمم المتحدة للحقوق التجارية الدولية (لجنة «قانون» التجارة الدولية «ونسيترال») لعام ١٩٧٧ م المادة (٣٣) ، نظام التحكيم للغرفة التجارية الدولية لعام

١٩٧٥م المادة (١٣) قواعد إجراءات لجنة التحكيم التجارية الدولية لعام ١٩٧٩م المادة (٣٣)

بيد أن هناك اتفاقيات دولية تنص صراحة على امكانية تطبيق قواعد العرف في تنظيم العلاقات الحقوقية الناجمة عن عقود التجارة الخارجية فقط ، في حاله أن يجيز تطبيقها القانون المختص . من هذه الاتفاقيات الدولية ، نظام محكمة التحكيم الدولية لأعمال الملاحة البحرية والنهرية لعام ١٩٦٠م ، حيث ينص في فصله (٢٨) على أن «تعمل الأعراف التجارية وأعراف الملاحة البحرية والنهرية عندما يجيز ذلك القانون واجب التطبيق» .

وهذا ـ هو التحديد الصحيح ، من وجهة نظرنا ، للعلاقة بين التشريع الوطني وقواعد العرف الدولي في مجال التجارة الخارجية خصوصا وفي مجالات القانون الدولي الخاص عموما

تعد قواعد العرف الدولي التجاري ، الناظمة للتجارة الخارجية: قواعد شاملة بالأساس ، غير أن هناك بعض الدول ، تحل محلها في بعض الحالات قواعد العرف التجاري المحلي . ويجوز لأطراف عقد التجارة الخارجية الاتفاق على اعتبار قواعد العرف المحلي ، المطبقة على مسائل التجارة الخارجية ، قواعد عرف دولي .

تعتبر اهم قواعد العرف التجاري الدولي ـ تلك المضمنة في «إنكوتيرمس» لعام ١٩٣٦م ، ١٩٥٣م(١٦) ، ١٩٨٠م(١٧) ، وهي قواعد شاملة، في قرار غرفة التجارة الدولية ، التى تقوم بجمع هذه القواعد ، نص على اعتبار هذه الوثيقة ملزمة للأطراف إذاوجد إسناد إليها في العقد التجاري فقط(١٨)(. أي أن المصطلحات التجارية الدولية تعتبر قواعد اختيارية غير ملزمة .

وتعيد غرفة التجارة الدولية باستمرار ، النظر في قواعد العرف هذه . أضيف الى انكوتيرمس» الصادرة سنة ١٩٨٠م مصطلحين جديدين: «نقل فرانكو ... (تسمية المكان المتفق عليه)» و «فراخت ـ أي دفع أجور النقل والتأمين دفعا الى .... «تسمية المكان المحدد» . وإذا كان أطراف عقد التجارة الدولية يرغبون في الخضوع للقواعد والأحكام الواردة في المصطلحات التجارية الدولية الصادرة سنة ١٩٨٠م ، أن ينصوا في العقد صراحة على أن هذا العقد يخضع لأحكام وقواعد المصطلحات التجارية الدولية الصادرة سنة ١٩٨٠م .

تستخدم قواعد «إنكوتيرمس» في عقود التجارة الخارجية بهدف التغلب على الصعوبات التى تواجه المستوردين والمصدرين التابعين لدول مختلفة ، والتى تتمثل بالآتي :

١ـ الصعوبات التى تنشأ نتيجة عدم تحديد القانون واجب التطبيق على العقود التى يبرمونها .
٢ـ الصعوبات الناتجة عن قصور أو نقص عقود التجارة الخارجية .
٣ـ الصعوبات الناتجة عن الاختلاف في تفسير المفاهيم القانونية

Incoterms هي مجموعة من القواعد المتعارف عليها دوليا لتفسير أهم المصطلحات المستعملة في عقود التجارة الخارجية .

إضافة الى «إنكوتيرمس» هناك قواعد عرفية شاملة أخرى ، ذات علاقة بتنظيم التجارة الخارجية ـ وهي القواعد الشاملة والأعراف المثبتة في وثائق مقرة في مؤتمر فيينا لغرفة التجارة الدولية لعام ١٩٣٣م وتعديلاتها في: ١٩٥١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٧٤م ، ويعترف القضاء في معظم الدول الرأسمالية لهذه القواعد بقوة الأعراف الدولية والعادات(١٩) وتعترف الأدبيات الحقوقية (الفقه) السوفيتية لهذه القواعد بقوة الأعراف والعادات الدولية .

وتجدر الاشارة هنا ، الى أن الأعراف التجارية الدولية: («فوب» F.O.B و («سيف» C.I.F تنظم اهم مسائل

عقود التجارة الخارجية ، مثل: لحظة انتقال الملكية من البائع الى المشتري ، مسألة لحظة انتقال تبعات المسئولية من البائع الى المشتري وغير تلك من المسائل .

في المادة (١٤٢) من القانون التجاري اليمني الصادر سنة ١٩٧٦م حول البيع (سيف) والبيع (فوب) نص على ان تعتبر البضاعة قد تم تسليمها عند شحنها بالسفينة ، وتقع تبعة الهلاك على المشتري من وقت الشحن، اي ان انتقال المسئولية على المشتري تكون من لحظة تنفيذ البائع لكل التزاماته ، النابعة من عقد التجارة الخارجية، لكن هذه الالتزامات تختلف باختلاف انواع البيوع (سيف وفوب) والمسألة المشتركة ـ هي ان لحظة انتقال المسئولية الى المشتري مرتبطة بتنفيذ الالتزامات من قبل البائع . وليس من لحظة انتقال حق الملكية من البائع الى المشتري ..

ان قرارات المحاكم اليمنية بشأن تطبيق قواعد العرف الدولي، غير معروفة، وبالتالي فان رأي القضاء اليمني غير معروف بهذا الخصوص ، ومع ذلك يمكن الاستناد الى النصوص التشريعية القاضية بتطبيق قواعد العرف الدولي . فالمادة (٣٣) من القانون المدني تنص على (واذا لم يوجد نص في قوانين الجمهورية يحكم مسألة تنازع القوانين المعروضة على القضاء فيرجع الى قواعد القانون الدولي الخاص المتعارف عليها دوليا ..» ويقصد بقواعد القانون الدولي الخاص المتعارف عليها دوليا ، قواعد العرف الدولي بما في ذلك قواعد العرف الدولي التجاري ، المنظم لمسائل التجارة الخارجية، يضاف الى هذا نص المادة (٥) من القانون التجاري باعتبار العرف التجاري مصدرا من مصادر القانون التجاري ..

من هنا يستنتج ـ ان قواعد العرف الدولي تعد من المصادر الاساسية المنظمة للعلاقات الحقوقية في مجال التجارة الخارجية وفقا للتشريع اليمني .

وتجدر الاشارة هنا، الى ان قواعد العرف الدولي التي اقتبسها القانون التجاري اليمني .وبالذات من وثيقة «انكو تيرمس قد اصبحت قواعد داخلية .طالما ضمنت في التشريع الوطني ..

ان مجمل حديثنا عن وسائل التنظيم القانوني (الحقوقي) لعقود التجارة الخارجية : التشريع، الاتفاقيات الدولية والعرف التجاري الدولي، يستدعي ضرورة التأكيد على ان المصادر الداخلية (التشريع) تكون فاعلة في اداء دورها التنظيمي فقط، في حالة انسجامها التام مع المصادر الدولية (الاتفاقيات الدولية والعرف التجاري الدولي)..

وان الشروط الاكثر ملاءمة لمثل هذا الانسجام يمكن توافرها فقط، في حالة اشراف الدولة الكامل او قل تحملها مسئولية عمليات التجارة الخارجية، ومثل هذا الاجراء وحده يوفر الضمان الكافي لحماية البلد من الهيمنة الاقتصادية الخارجية، ومن التبعية الاقتصادية للاحتكارات العالمية ..

المراجع والهوامش :

١ ـ سبق وان تعرضنا باشارات مقتضبة لمشكل تنظيم التجارة الخارجية في اليمن قديما وحديثا في من تاريخ التشريع في اليمن . «دراسات يمنية» العدد العشرون ، ابريل ـ مايو ـ يونيو ، ١٩٨٥ العدد الحادي والعشرون يوليو ـ اغسطس ـ سبتمبر ، ١٩٨٥، انعكاسات التوجه الاقتصادي التنموي لثورة ٢٦ سبتمبر . «اليمن الجديد» العدد التاسع ،سبتمبر ١٩٨٦، ثورة ٢٦ سبتمبر واثرها على لتشريع واتجاهه . «الوطن» العدد الثامن، سبتمبر

ـ اكتوبر ،١٩٨٥، اهم مصادر القانون الدولي الخاص في اليمن . «الاكليل» العدد الاول، ١٩٨٧ وغيرها ..

٣ـ لونتس ل.ا.، البيع والشراء في التجارة الخارجية . موسكو ١٩٧٢ ص١٤ـ١٥ . انظر ايضا لنفس المؤلف . القانون الدولي الخاص . القسم الخاص، موسكو، ١٩٦٣، ص ١٠٥ـ١٠٧ (باللغة الروسية)..

٤ـ حول هذه الاتفاقيات وابرز محتوياتها ، راجع ، عبدالمحسن زلزله. التكامل الاقتصادي العربي امام التحديات . «المستقبل العربي» العدد الحادي والعشرون ، نوفمبر، ١٩٨٠، ص٨ـ١٧ ،وفاروق محمود الحمد ، تطور محاولات الاندماج الاقتصادي العربي مع الاشارة الى اهم مشكلاته . «شئون عربية» العدد التاسع والاربعون ،مارس ١٩٨٧، ص١٥٤ـ١٧٨.

٥ـ راجع حسين ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الاول، القاهرة، ١٩٥٩، ص٢٦ وما بعدها ،ايضا زيد بن علي عنان ، تاريخ حضارة اليمن القديم . القاهرة ، ١٩٧٦، ص١٠٧

٦ـ سورة الرحمن ، الآية «٩».

٧ـ سورة الاسراء ، الآية «٣٥».

٨ـ سورة المطففون، الآية «٣٦».

٩ـ سورة البقرة، الآية «٢٧٥».

١٠ـ لمعرفة الاثر المشار اليه، راجع الكتاب السنوي لعام ١٩٦٥، ص ٤٠ وما بعدها، والكتاب السنوي لعام ١٩٦٧، ص١٢٢ وما بعدها .،

١١ـ راجع .تاريخ اليمن الحديث ـ ١٩١٧ـ١٩٨٢م . موسكو، ١٩٨٤، ص١٨١ (باللغة الروسية) .

١٢ـ انظر. روز ينبيرج م.ج. التنظيم القانوني للعلاقات بين المؤسسات الاتحادية العامة للتجارة الخارجية والمؤسسات السوفيتية صاحبة البضائع المستوردة .موسكو،١٩٦٦، ص ١٤ ، لنفس المؤلف . تنظيم الاجهزة السوفيتية عند استيراد البضائع . «الدولة والقانون السوفيتي» العدد ٣ لعام ١٩٧١، ص١٠٩، ايضا انظر كاتشالوف س.م. وموجيليا نسكي ا.ف. التنظيم القانوني للتصدير . موسكو ١٩٧٢، ص٣٩ (باللغة الروسية) ..

١٣ـ انظر . رامزا يتسيف د.ف.. التحكيم في التجارة الخارجية في الاتحاد السوفيتي . موسكو ١٩٥٧، ص٦٤ـ٦٥.

١٤ـ لقد سمي هذا التجمع بمجموعة (٧٧) نسبة الى عدد الدول التى تشكل منها، اما الان فان مجموعة (٧٧) تضم (١٢٩) دولة نامية

١٥ـ عرض وجهات النظر تلك بالتفصيل : زكين ي.س. في اعراف وعادات التجارة الدولية .. «القانون الدولي السنوية السوفيتية»، ١٩٨٠، موسكو، ١٩٨١ (باللغة الروسية) ..

١٦ـ حول المصطلحات التجارية الدولية المضمنة في «انكويترمس» ١٩٥٣، راجع بالتفصيل : مختار السويفي . اساسيات النقل البحري والتجارة الخارجية «بدون مكان اصدار» «بدون تاريخ اصدار». الباب الاول الفصل الاول ..

١٧ـ راجع النصوص المترجمة من اللغة الانجليزية «لانكويتر مس» ١٩٨٠ في : مختار السويفي . مصطلحات النقل البحري والتجارة الخارجية . القاهرة ، «بدون تاريخ اصدار» ص١٧٧ـ٢٨٢ .

١٨ـ راجع . رامزا يتسيف د.ف. تطبيق الاعراف التجارية الدولية في التجارة الخارجية السوفيتية . «التجارة الخارجية» العدد ١٩٧١،٣، ص٧٢ وما بعدها «باللغة الروسية».

١٩ـ انظر. لونتس ل.ا. القانون الدولي الخاص. القسم الخاص . موسكو ، ١٩٧٥ ص٣٤٢ ، (باللغة الروسية)

حكايات وأساطير شعبية:

حكاية بنت السلطان

إعداد صالح السعيدي

كان به واحد ، ، وماواحد الا الله ومن عليه ذنب قال استغفر الله ، كان هذا الرجل من الاغنياء وكـان يسمى السلطان ظافر السلطان وكـان يملك مائتي ، قريـة بيوتها ومرعويتها وبقرها واغنامها ومعه في كل قرية وكيل للاشراف على المحاصيـل وكتـابة مياليد البقر والغنم وقبض حصـة السلطان من الغـلات والسمن وغـيرها وكان لهذا السلطان اربعة اولاد اسم الكبير عامر السلطان والثاني حازم السلطان والثالث منصور السلطان والـرابـع طاهر السلطان وكان الكبير اغلف لايعـرف سيـاسـة الامور وفي ذات يوم ركب على حصانة المخصص له وخرج دورة الى احـدى القـرى القـريبة من مدينتهم وفي هذه القرية استقبله وكيل والده وكان هذا الوكيل من ادهاء وكلاء السلطان وكان يحاول التقرب من السلطان بأية وسيلة وذلك لكسب ثقته ليتمكن من بنـاء ثروتـه برضـاء السلطان لا انه يخشى محاسبة السلطان له مثل غيره من الوكلاء ، وعند وصـول ابـن الـسـلطان اقـام لـه الضيـافـات البـاهـرة وجلله اعـظم تجليـل

واكر مه اعظم تكريم وباليوم الثاني حينما خرج ابن السلطان للدورة الى اسفـل الـوادي قال الـوكيـل لابنتـه تاخذ معها من تريد من بنات القرية وتنتظر معهن على المورد حتى يعود ابن السلطان وعنـدمـا يصـل الى المـورد يسقين له الحصان واذا سألهن بنات من هن يجوبين عليه اويعرفنه بنات من هن وماساماؤهن وعندما وصل ابن السلطان الى المـورد ورآهن قفـز من على الحصـان وقـربـه الى حوض المـاء وحينـما كان الحصـان يشرب لفت الى البنات وسألهن بنات من وماساماؤهن فقالين له هذه هيفاء ابنة الوكيل ونحن من بنات رعايا هذه القرية فكرر النظر في بنة الوكيل فرأها اجملهن فاقترب منها وسألها هل تزوجتي ياهيفاء فردت عليه المتزوجات في قريتنا لايخرجـين المورد فاشار اليها وقال اقتربي مني فاقـتربت منـه وهي في خجل من رفيقاتها وقد سألهـا هل يوافق والـدش اذا خطبتش منـه فضحكت هيفاء لغباوة ابن السلطان ولم ترد عليه فقال لها ليش تضحكي هل في سئوالي مايضحك فقالت ضحكت على سؤالك كان هذا السؤال

تسأل به والدي فقال لها وانتي راضية وهل اعجبتك ان قلتي الجمال فانا جميل وان قلتي المال فاموالنا لاتحصى اسألي ابوش اذا كنتي لاتعرفيني فتركته هيفاء وعادت الى رفيقاتها واخذت جرتها واشارت اليهن بالعودة الى القرية اما ابن السلطان فانه ركب حصانه وسار خلفهن واحيانا يعارضهن حتى وصلوا الى القرية وحينما التقي بالوكيل قال له هل هيفاء ابنتك فضحك الوكيل على هواجة السئوال وقال له اذا كان وقد قالت لك انها ابنـتي فنعم فقال ابن السلطان هل تزوجني اياها قال الوكيل اذا رضي والدك فانا راضي فقال ابن السلطان مالي ومالوالدى فاذا كنت انت راضي فاسمعني شروطك ادفع لك ماتريد وزوجني على هيفاء واذا عرف والدي بزواجي من ابنتك فلا بد مايوافق اترك والدى علي ولاتخش منه شيئا . . فقال الوكيل لايتم زواجك من بنتي الا بعد رضا والدك فلا تسبب لي مالأطيق قال هذا بعد ان عرف سذاجة الولد وصلابة والده وذكاءه ومايحفظه من المكر والدهاء وطلب من ابن السلطان ان يعرض الامر على ابيه وخرج ابن السلطان من عند الوكيل وعاد الى المدينة وحينما التقى بوالده وطلب منه ان يخطب له ابنة الوكيل هواش فعرف السلطان ان الوكيل قد حاول اغراء ابنة بابنته وقال في نفسه هذا هو الذى كنت اتوقعه فانا اعرف مطامع الوكيل هواش واغراضه التى تدور في نفسه ولفت الى ابنه وقال له اذا كنت مستعجل الزواج فعليك ان تقوم اولا بزيارة القرى التى تملكها وتعرف مافيها من الاشياء ومن هم الوكلاء وكم الابقار والاغنام والمعمور وغيره وحينما تصل الى قرية جهة الشرق ؛

حدود املاكنا احذر ان تنزل بالمدينة القريبة من حدودنا فيعتبر ونك خالفت عادة والدك ، وبعد ان تعود ازوجك على بنت الوكيل هواش او غيرها فقال الولد السمع والطاعة لامر والدي وقام من ساعته وبدع من اول قرية وكان في كل قرية يستقبله وكيلها ويقدم له الضيافة التي تليق به وقد رأى ما يملكه والده من اموال لا توصف وكان يسمع شكر الناس وثنائهم على والده وحينما وصل أخر قرية جهة الشرق واكمل ضيافته بها كان قد رأى مدينة بالقرب من القرية عظيمة البنيان سأل الوكيل عن هذه المدينة فقال له الوكيل هي لسلطان آخر اسمه السلطان مصطاح فقال في نفسه لابد لي من زيارتها مكتوم عن والدي وباليوم التالي طلب من وكيل والده ان يتجهز معه لزيارة هذه المدينة فقال له الوكيل ياسيدي والدك لم يزرها طول حياته واذا علم بزيارتك لها فسوف يغضب فقال له نزورها دون ان يعرف والدي بزيارتنا لها غادر القرية ومعه الوكيل وعند ان وصلوا الى المدينة نزلوا بالخان المخصص لابناء السلاطين والملوك وقد استقبلهم صاحب الخان وخصص لابن السلطان مكانا ولوكيله مكانا بجواره وحينما دخل صاحب الخان مع السلطان عامر الى مكانه المخصص له قال له ارجو لك اقامة مريحة في هذا المكان واحذرك من حاجة واحدة في هذا المكان وهي هذه الطاقة يامولاي لاتفتحها فاذا احببت ان تتعرف على بعض شوارعها اي شوارع المدينة افتح غيرها وتركه صاحب الخان ونزل الى حيث عمله وفتح السلطان عامر بعض الطياق في مكانه وكان يقول ليتني افهم ما خلف هذه الطاقة وقال في نفسه لابد لي ما افتحها وما حدث حدث ومد يده وفتح الطاقة واذا بها تطل على بستان فيه كلما خلق الله من الاشجار والانهار والاطيار تطلع منه روائح الازهار وظل يتمتع بما رآه من جمال الطبيعة في هذا البستان وكان يقول في نفسه لا ادري ما لصاحب الخان يحذرني من فتح هذه الطاقة وما هو الخطر الذي خلفها وبينما كان ينظر في البستان واذا به يرى بنتا ما قد خلق الله بالخلق مثلها وهي تمشي وتتنقل بالبستان من جهة الى اخرى وحولها مجموعة من البنات الحسان وهي بينهن كأنها حورية من حور الجنان وكان ينظر اليها ويقول سبحان الخالق لما شاء والمصور كيف يشاء ويعود الى نفسه ويقول من هي هذه الحسناء ؟ ومن ابوها؟ وهل هي متزوجة ؟ وعاد الى فراشه مضطرب الافكار ، احيانا يقوم وأحيانا يقعد ويدخل عليه صاحب الخان ويراه مضطرب الكون متغير اللون واقترب منه وقال له اظنك فتحت الطاقة فرد عليه هي مفتوحة

لكن اسمع من هي هذه البنت التي لم ار بمثلها في خلقها وجمالهافقال له صاحب الخان هذه بنت السلطان ولها حكايات وشان ، وانها تقتل من يريد الزواج بها فقال له كيف وما هي الشروط التي تشترطها ؟ فقال له تشرط على من وصل يخطبها من ابيها ان ينزل معها الى الميدان (يتمخيل) هو واياها فان اخذها من فوق حصانها تزوجها وان اخذته من فوق حصانه تقطع راسه هذا هو شرطها وقد عملت بناس كثير وهكذا حتى أبوها نفسه لايقدر يعارضها برغبتها ، فقال السلطان عامر هذا الشرط بسيط انا لها واعرف كيف اتغلب عليها خذ هذه الدنانير مقابل سعايتك وسر الى والدها وبلغه ان ابن السلطان ظافر السلطان وصل يريد الزواج من ابنتك وانه مستعد ان ينفذ كل الشروط التي تشترط عليه وخرج صاحب الخان وعرض الموضوع على الوكيل الذي وصل معه وطلب منه ان يدخل يراجع صاحبه ويدخل الوكيل على السلطان عامر لمحاولة اقناعه ولكنه اصر على تنفيذ الشروط ويتزوج من البنت ، وعليك ان تبقى حتى تحضر الزفاف واظن ان زواجي من هذه البنت سيرضي ابي والح على صاحب الخان ان يتوسط له لدن السلطان والد البنت وسار صاحب الخان الى سلطان المدينة وحينما طلب مقابلته امر بادخاله عليه وقال له يمكن قد معك خطيب لابنتي جديد قال نعم يامولاي هذه المرة معي ابن السلطان ظافر السلطان وصل يريد الزواج من ابنتك وقال هو مستعد ان ينفذ الشروط التي تطلبها منه فقال له السلطان وقد افهمته الشرط قال نعم وقبل الشرط فقال السلطان مصطاح وكيف ترى الولد هل هو قادر ان يتغلب على البنت ما لم فاعرض عليه ان يتخلى عن طلبه قبل فوات الاوان ، فقال صاحب الخان حاولت يامولاي لكنه مصر على الزواج منها ولوادى ذلك الى نهاية حياته فقال السلطان مصطاح مادام والده يعرف شرط ابنتي فانه لايمكن يلومنااذاهزم ويسرناواياه اذافاز،

فعد اليه وقل له يجهز نفسه الى اليوم الذي فيه تعلن المبارزة وعاد صاحب الخان الى ابن السلطان وقال له ان السلطان وافق اذا كنت مقتنعا وعليك ان تجهز نفسك حتى يستدعوك للمبارزة وبدع ابن السلطان يعدّ نفسه لمبارزة معشوقته ويطعم حصانه اللحم والزبيب ، لغرض التفوق عليها وفي اليوم المحدد للمبارزة خرج المبلغون يبلغون الناس ليخرجوا الى الميدان وخرج معهم السلطان والوزراء وأعيان المدينة وأهلها وتجارها ونساءها وأطفالها وفي الساعة المحددة وصلت ابنة السلطان وفي نفس اللحظة وصل ابن السلطان ظافر السلطان وبدأت خيولها تدور بالميدان ولفت عليه البنت اللفة الأخيرة وأخذته من على الحصان ورجمته الى الأرض وقفزت إليه وضربت عنقه وأخذت رأسه وصرحته في رأس قصر والدها فقام الوكيل وأخذ الحصان وأدوات ابن صاحبة السلطان وهو يقول كيف أواجه السلطان بعلم البلا الذي حل بولده وخرج من المدينة ومعه الحصان وسار حتى وصل الى السلطان ودخل عليه وحدثه بما حدث لابنه ، فقال السلطان أنا قد حذرته من الوصول الى هذه المدينة وماحل به فهو جزاء لمخالفته ماقلت له وأخفى غيظه وقال للوكيل عد الى قريتك ولا تظهر ماحدث على أحد . أما السلطان فقد ظل يعاني من الحزن أنواع العذاب في مصاب ابنه وحاول أن يكتم السر الذي انتشر بطول البلاد وعرضها وبعد مرور ثلاثة أشهر من الحادث وهو يفكر كيف يمكن القضاء على هذه البنت التي يمكن أن تقضي على كل أولاده وفي يوم من الأيام دخل عليه ابنه حازم وطلب من أبيه أن يزوجه وخطر على بال السلطان أن ماهذه البنت الداهية إلا ابنه حازم الذي كان يعرف عنه أنه أذكى أولاده وأنه أشرف على تعليمه بنفسه وكان الناس يقولون ماخليفة السلطان ظافر الا ابنه حازم لأنه لايختلف عن والده بالرصانة ورجاحة العقل والسبب أنه درس شطارة الشطار وحكمة الحكماء الأوائل وعرف كيف يتغلب على عوارض الحياة وصعوباتها وكيف يتعامل مع الناس على مختلف طبايعهم وهواياتهم واتجاهاتهم وحينما طلب من ابيه ان يزوجه قال له الزواج ياابني امر واجب ولكن عليك اولا ان تقوم بزيارة لكل املاكنا لتعرف اين اولها واخرها وحينما تصل الى اخر قرية جهة الشرق فلا تخرج من حدودها ولاتنزل

بالمدينة المجاورة لها وشرح له ما حدث لاخيه عامر فعرف حازم من خلال كلام والده انه مايزال حزينا على اخيه فقال لابيه اطمئن ياوالدي والذا زرتها فسوف تسمع ما يسرك وودع والده وخرج وبدع من اول قرية وكان يستقبله كل وكيل من وكلاء والده ويقيم له الضيافة التي تليق به وبعد ان طاف البلاد عرضها وطولها وصل الى القرية الاخيرة التي جهة الشرق فاستقبله وكيل والده وضيفه وذبح له الذبائح وباليوم الثالث قال حازم للوكيل جهز نفسك لتكون بصحبتي غدا لزيارة هذه المدينة القريبة منا فقال الوكيل أطلب مني ما تريد وامرني ان اسير معك الى اية جهة اخرى ولو الى جزر (واق الواق) اما الى هذه المدينة فلا يمكن الذهاب اليها ويكفي ما حدث لاخيك عامر واذا كنت مصر على العزم اليها فاختر لك وكيلا غيري فقال له حازم لابد من مسيرك معي ولكن اذا وصلنا هذه المدينة غير من شكلك حتى لايعرفك احد من اهلها فقال له الوكيل اذا كان ولابد من مسيري معك فلا يمكن ان ننزل بالخان المشئوم الذي نزلنا فيه انا واخوك السلطان عامر فقال حازم لابد من نزولنا بالخان نفسه ولي عليك شرط اذا سألك عني صاحب الخان فلا تعطه اسمي بل سمني باسم (الولهان حسن الولهان) واذا قال لك صاحب الخان انت وصلت اليه قبل الان فرد عليه ان الانسان يتشابه مع الانسان ، ولاتعترف له باي شيء سبق بينك وبينه قبل الآن . وسار الاثنان حتى وصلا المدينة واتجها نحو الخان فاستقبلهم صاحبه ورحب بهم اعظم ترحيب وطلع معهم الى اعلى الخان وحدد لهم لكل واحد منهم مكانا فقال له حازم انا اريد منك احسن مكان لكي استطلع منه على بعض احياء المدينة فقال صاحب الخان هذا هو المكان المناسب وفتح المكان الذي جلس فيه اخوه عامر وحينما دخل فيه حازم التفت صاحب الخان الى الوكيل خفية من حازم وقال له هل انت من وصل المرة الاولى الى هذا الخان مع السلطان عامر فقال له انا لااعرف السلطان عامر ولا من هو ولا من اين هو عاد صاحب الخان الى حازم وقال له ما اسمك فقال له الولهان حسن الولهان وصلت من جزاير الخيزران ولم يكن لي في هذه المدينة اي شأن سوى أني متجول والغرض اني ابحث عن المكان المناسب حتى اعمل فيه اي عمل استغل اموالي فقال له صاحب الخان وما اسم صاحبك فقال اسمه سليمان ابن ابي الوردان فقال صاحب الخان ستجدون عندي من الخدمة مايسركم ولكن أحذرك (ياولهان) من أن تفتح هذه الطاقة وتركه وعاد الى حيث كان ، فقام حازم الى الوكيل وقال له اسمك هنا سليمان ابن أبي الوردان د فلا تسمع أحدا إلا بهذا الاسم ، وفي الوقت الناسب فتح الطاقة المطلة على بستان السلطان مصطاح فراى من عجايب الزمان ، وظل يقلب نظاره على اشجاره وانهاره ويشم روايح أزهاره وبينما كان كذلك وإذا قد ظهر من بوابة البستان ابنة السلطان وحولها جواريها والغلمان ، ، فرأى ماأدهشه وحير عقله وبلبل باله ، وبعد فترة وصل صاحب الخان ومعه شراب التوت والرمان .

ودخل على حازم فرآه على ماكان ، وسأله صاحب الخان هل مازلت حافظا نصيحتي بعدم فتح هذه الطاقة فقال له حازم مادام وليس لي اي غرض فيها وليش افتحها فقال صاحب الخان هذا الرجل عاقل ولم يكن من الهوجان ، وبعد أن خرج صاحب الخان من عند حازم بدع يفكر كيف ينتقم من قاتلة أخيه ويشفي غليل أبيه في اليوم الثاني خرج مع الوكيل يتجولون بالمدينة وساروا في أسواقها وعرفوا مداخلها ومخارجها وعرف حازم من خلال تجولاته بالمدينة وأسواقها ، ماهو الذي يمكن أن يعمله وبدأ يفكر أن يستكري له بعض المحلات المواجهة للسوق ويشتغل فيها المشروبات التى تجعل الناس يميلون اليها ، واستدعى صاحب الخان وقال له اسمع أنا اشتي تخرج معي الى السوق لغرض مهم وخرج معه وساروا في الأسواق حتى وصلوا الى المحل المناسب الذي اعجب حازم وقال لصاحب الخان هذا هو المحل الذي يمكن اصلاحه وبدع بالاصلاح ولم تكن إلا أيام قليلة حتى انتهى من اصلاح المحل ، وكان قد درس وعرف ماهي الاشياء التي يستعلمها للشراب وجمع الحواران والوروائح وطلب المزيد من

الشغالة وأصحاب الخبرة وأفهم الشغالة أن أي انسان يطلبهم شرابا يعطونه حتى ولو لم يكن معه قيمة الشراب وهكذا اشتهر خبر الشراب في طول المدينة وعرضها حتى وصل الى مسامع السلطان مصطاح وحينما خرج في بعض الأيام للدورة عاد ونزل في محل صناعة الشراب التى يصنعها الولهان فشرب حتى اكتفى وأخذ معه الى البيت وحينما وصل البيت اعطى الشراب لأولاده ومن ظمنهم ابنة السلطان التى شربت الشراب وسألت والدها من أين هذا الشراب العجيب ، فقال لها ياابنتي هذا يصنعه انسان غريب ، وصل الى هذه المدينة ولا نعرف لماذا اختار هذا العمل مع أنه باين عليه أنه ابن ملك ولم يكن انسانا عاديا ، وفوق هذا فإنه جميل المنظر ومن أحسن الشباب الذين عرفتهم فتعجبت البنت من كلام أبيها وفي اليوم الثاني ارسلت جاريتها تدي لها شرابا وعندما وصلت الجارية قالت من هو صاحب المحل فرد عليها حازم أنا من تقصدين . فسلمت اليه القيمة وقالت هات شرابا لابنة السلطان ، فقام وسلم اليها شرابا خاصا يليق بابنة السلطان فأخذته وعادت الى البيت وبدأت تشرح لبنت السلطان مارأته وماهو عليه صاحب الشراب من الخَلْق والخُلُق وهكذا استمرت الأمور لمدة خمسة أشهر .

والجارية كل يوم تأخذ الشراب وتوصله الى ابنة السلطان وأبيها وبدأ حازم يفكر كيف يعرف ماهي الأسباب التى تجعل بنت السلطان تتمسك بهذا الشرط وحينما وصلت اليه الجارية قال لها لك عندي أكبر جائزة وإذا سألتي إبنة السلطان عن السبب الذي يمنعها من الزواج ، قالت الجارية ربما تضربني وتحبسني ، فقال لها لاتخافي عليّ أن أخرجش من الحبس قالت الجارية السمع والطاعة ، وعندما عادت الى بنت السلطان وجهت اليها السؤال الذى قال لها الولهان ، فقامت بنت السلطان الى الجارية وضربتها ومنعتها من الوصول الى صاحب الشراب وفي اليوم الثاني جاءت جارية غيرها فعرف أن قد الجارية بالحبس فأرسل مع الجارية الجديدة شرابا عاديا .

وحينما طعمته ابنة السلطان عرفت أن الشراب تغير وشكّت بالجارية أنها هي التى لعبت بالشراب فأخرجت الجارية الأولى وأرسلتها للشراب فأوصلت الشراب حسب العادة وقد قال لها صاحب الشراب إذا طلبت منك غدا أن تخرجي توصلي لها الشراب اقسمي عليها أن لاتخرجي حتى ترد على سؤالشْ وإذا حصل أي شيء عليّ إخراجش وباليوم الثاني ألزمتها ابنة السلطان أن تخرج للشراب فقالت لها لايمكن أخرج إلا إذا قلتي لي إيش لذي منعش من الزواج فقالت لها بنت السلطان إذا كلمتش فلن تكلمي أحدا ، قالت لن أكلم . فقالت لي ياجارية ذات ليلة رأيت في منامي أنني ظبية وكنت في وادي سيبسان فجاني ظبي في هذا الوادي وشعرت أنه افتض بكارتي فأقسمت أن لاأتزوج إلا ذلك الظبي حينما يجيء اليّ ويشرح لي نفس الكلام هذا هو السر ولكن أحذري أن تكلمي أحدا ، وإلا قتلتش فخرجت الجارية من عندها وحينما وصلت الى صاحب الشراب وفي غفلة من الشغالة حدثته بما سمعته من بنت السلطان فأخذ صرة من الذهب وأعطاها الجارية وبدأ يفكر بالعمل الذي يؤثر على بنت السلطان وقد عرف أنه لايوجد في هذه المدينة حمام فقام واختار المكان المناسب وبدع بإصلاح الحمام وحينما أكمل إصلاحه بدأ الشغالة بالتسخين للمياه واستدعى الى الحمام كبار المدينة وأعيانها والسلطان ومن معه من المقربين وقد أدهشهم مارأوه بالحمام من الاصلاحات العجيبة وترك عمل الشراب يمشي حسب العادة واستمر يعمل بالعملين وقد حدد أوقاتا للرجال وأوقاتا للنساء ومن كثر ماقد وصف السلطان الحمام ونظافته ونبل أخلاق صاحبه حصلت الرغبة في ابنته (بدر البدور) أن تعرف الحمام فأرسلت جاريتها الى صاحب الحمام وقالت لها قولي له بنت السلطان تشتي تتحمم وقولي له يحدد لي وقتا خاصا ولا أريد أن يكون معي نساء بجانبي فأخبرته الجارية فكاد أن يطير عقله من الفرح فألزم عمال الحمام أن يعلنوا أن هذه الليلة الحمام مشغول في بعض الاصلاحات وكان قد اشترى غزالين ذكراوانثى وعلمهم على بعض التمرينات وفي نفس الليلة وفي آخر الوقت من الليل

وصلت بنت السلطان ونزلت الحمام ولم يكن معها سوى جاريتها التى كانت توصل لها الشراب وبعد أن تحممت بنت السلطان مع جاريتها انتقلت الى المحل المعتدل للبرد وفي مقابل هذا المكان غرفة صاحب الحمام الذى عمل الواجهةمن جهة الحمام كلها من زجاج وحينما أحس أن بنت السلطان في المكان المقابل له أخذ العود وبدأ يضرب عليه الضربات التى درب الغزالين الرقص عليها وحينما ينتهي من العزف يقفز الغزال فينكح الغزالة ويعودان الى محلهما لاحظت ابنة السلطان حركات الغزالين واستغربت من ذلك المنظر وبعد قليل غادرت الحمام وهي في غاية من الاعجاب وعندما وصلت البيت عاشت مع افكارها وهي تردد في نفسها هذا صاحب الحمام عجيب ، وما يعمله أعجب ، وبعد مضي خمس ليالي ارسلت جاريتها الى صاحب الحمام يفرغ لها الحمام وعمل ذلك ، وبعد أن تحممت انتقلت الى غرفة التبريد وحينما أحس بها أخذ العود وعمل نفس العمل الأول فقالت بنت السلطان للجارية اطلعي الى صاحب الحمام وقولي له احنا داخلين عليه إذا هناك أحد من الناس يخرجه وأخبرته الجارية بكلام بدر البدور فقال لها هذا المكان لايدخله أحد غيري ، قولي لها تدخل ولاحرج ودخلت بنت السلطان فرحب بها أجمل ترحيب وأخذ العود وبدأ يعزف للغزالين وبعد أن رقصين وسكت العود قفز الغزال وركب الغزالة وعادين الى حيث محلهن وبعد أن طاب السمر للأثنين خرجت ابنة السلطان وفي نفسها أخبار وأفكار وعندما وصلت البيت قالت في نفسها ربما وقصة الولد هذا مثل قصتي وقد سمعته وهو يغني ويقول :

يا غزال البوادي والجبال
ايــن يوجـد غزال يا غزال
ضاع مني غزال ماله مثال

وقالت في نفسها لابد لي ما استدعيه الى محل خاص واعرف ماهي قصته وكتبت له كتابا تقول فيه من بدر البدور بنت السلطان مصطاح عاشور الى الوهان حسن الوهان بعد السلام عليكم اخبركم ان في خيرة من امري فاذا وصل اليك كتابي هذا جهز نفسك هذه الليلة وكن جوار الباب حق البستان الغربي وحددت له الوقت بعد منتصف الليل وقد نام الناس ، وفي غفلة من الحراس وقالت له احذر ان يراك احد وحينما يفتح لك الباب ادخل ولا تتردد وفي نفس الموعد المحدد افتتح باب البستان فدخل الوهان ورأى نفسه في بستان السلطان والتقى بالبنت وجها لوجه وكانت قد احضرت معها من الاكل مالذ وطاب وبعد ان تعشيا قاما في البستان يتمشيان،قالت بدر البدور اسمع يا هذا ماهي قصتك مع هذين الغزالين فقال اتكلم ولي الامان فقالت قل ولا عتاب عليك فقال يا بدر البدور قصتي اني في ليلة رأيت في منامي اني في وادي سيسبان واذا انا في صورة ظبي وفيه التقيت بغزالة وكنت منها فاقسمت بنفسي ان لااتزوج غير الغزالة التي رأيت ومن كثرة ما انا مغرم بتلك الغزالة اشتريت غزالة وغزالا ودربتهما على ضرب العود والحركات التي رأيتي فهذه هي قصتي فتعجبت بنت السلطان وقالت له هذا الامر غريب وقد عاش مع بدر البدور لحظات السعادة كلها لكنه كان يقول في نفسه هذه قاتلة اخي ولابد لي من قتلها هذا بعد ان اتغلب عليها واخذها.كانت بدر البدور تبادله النظرات التي تدل على الرغبة بالاقتران به ولكنها فكرت ربما هذا ملعوب من واقع ما سمعه من الجارية ولابد لي ما اعود اليها واعرف منها ربما وقد افهمته السر الذي عندي وفي الوقت المحدد لعودتها البيت وادعت الوهان وهو ايضا وادعها وعاد من حيث اتي وحينما وصلت ايقظت الجارية وقالت هاتي لي عهد الله وميثاقه انك ما قلتي الكلام الذي قلت لك بشأن ظبي وادي سيسبان للوهان فحلفت لها وصدقتها وفي اليوم الثاني قالت لها سيري الى صاحب الحمام وقولي له يخطبني من ابي ولا تقولي له اني قلت لك هذا الخبر وصلت اليه الجارية وقالت له اذا كنت راغبا بالزواج من بنت السلطان ادخل واطلب زواجها من أبيها . فقال لها ربما ترفض فقالت له اني قد عرفت رغبتها دون ان تقول لي قال لها وشرط المبارزة ربما تقول لابد لي من المبارزة فقالت له موضوعك يختلف عمن هم قبلك، ولابد من تدبير الحيلة وقام الوهان ودخل على السلطان

وطلب منه الزواج من ابنته فصاح السلطان وقال مابك سخى يا ولدي وطرح عليه الشرط الذي تشرطه ابنته فقال له قبلت الشرط ولو ادى ذلك الى نهاية حياتي فقال السلطان انا موافق وابنتي موافقة اذا قبلت الشرط ودخل على ابنته واخبرها بالخبر فقالت موافقة اذا قبل شرط المخيلة وفي اليوم الثاني اعلنوا الخبر بالمدينة اما البنت فقد استدعت عبدها اليقظان وقالت له بعد غد المبارزة ما بيني وبين الوهلان صاحب الشراب والحمام وعليك ان تعتني باطعام الحصان حقي والفرس الحصان اطعم الزبيب وقليل من الشعير ولا تسقه الماء والفرس اطعمها شعير وزيد لها الماء فقال العبد السمع والطاعة واطعم الحصان حسب الامر وكان يقول هذه حيلة من ابنة السلطان ربما يكون الحصان لها والفرس لخصمها وفي اليوم المجدد اعلنوا المبارزة وعندما سمع اهل المدينة هذا الكلام صاحوا واستكبروا وندموا الندم الكبير على صاحب الحمام وخرج اهل المدينة واعيانها ونسائها واطفالها وهم يدعون الله ان ينصر الوهلان وخرج السلطان وعساكره والوزراء وكبار حاشيته ولم تكن الا ساعات معدودة حتى وصل الوهلان الى بيت السلطان لاخذ الخيل التي هي معدة له وكانت ابنة السلطان قد ارسلت اليه الجارية تقول له اذا خيره العبد فيختار الحصان وعند ان وصل اختار الحصان وركب عليه وتحرك الاثنان الى الميدان،

وبدأ يدوران على الخيول وكلما كانت تدور الفرس التي هي لابنة السلطان كانت تسير بخطى ثقيلة والسبب انها اكلت من الشعير فوق ما تستحقه وكذلك شربت ماء زيادة على العادة أما الحصان فكان يسير كالبرق الخاطف. وماهي الا لحظات حتى لف على ابنة السلطان واخذها من على فرسها ووضعها تجاهه فوق حصانه وسارها الى بيت والدها فحمد الله جميع المتفرجين على فوز الوهلان وكان هذا عند الجميع يوم عيد وتوافد اهل المدينة واعيانها الى الوهلان وهنؤه بنجاحه وفي اليوم الثاني امر السلطان برفع اعلام الزينة في ساير المدينة وحضر الجميع زفاف الوهلان على بدر البدور وضربت الطبول وتجمع اهل المدينة تجارها واعيانها وذبحوا الذبايح واقام السلطان لابنته عرسا لا اوله يعرف ولا اخره يوصف وفي المساء دخل الوهلان الى عريسته ونظر جمالها ودلالها وسمع من عذوبة منطقها ما يحير العقول ويلين الحجارة القاسية وتذكر قتل اخيه وقال في نفسه اتمتع بهذا الجمال واروي ظمأ نفسي وسأوصلها الى ابي فهو صاحب الامر يعتقها او يقتلها هذا ما سمعناه من الخبر وطحس من نخر وغاب من كفر والصلاة على سيد البشر والله اعلم . .